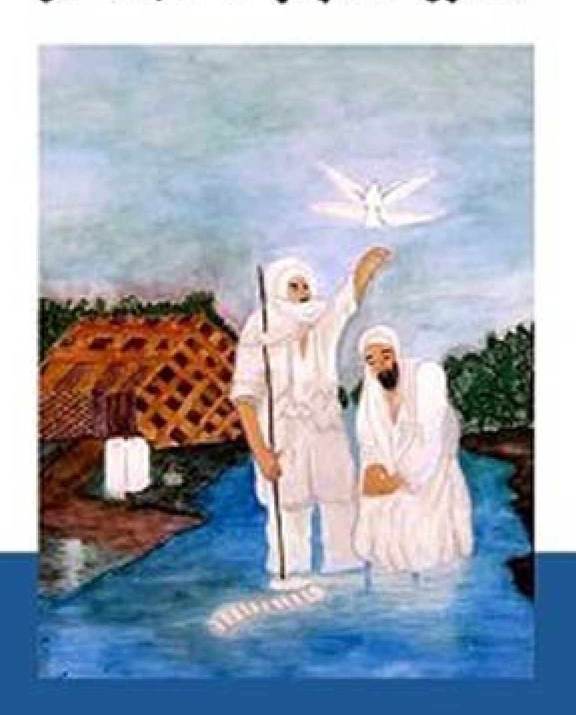
سلسلة أديان مقارنة

الصَّابِئَةُ المَنْدائِيّون

الأصولَ - الشرائع - الكتابِ المقدس



مقالات: للأب أنستاس ماري الكرملي

مراجعة وتنظيم:
محمد وليد فليون



الصَّابِئَةُ المَنْدائِيَّون

الأصول - الشرائع - الكتاب المقدس

مَقَالاتٌ

للأب أنستاس ماري الكرملي

مراجعة وتنظيم

محمد وليد فليون

الصَّابِئَةُ المَنْدائِيُّون : الأصول – الشرائع – الكتاب المقدس

SABEAN OR MANDAEAN

مقالات لحضرة اللغوي البارع الأب انستاس الكرملي، مراجعة وتنظيم : محمد وليد فليون

تصميم الكتاب وغلافه :علي الحسناوي، التقويم اللغوي : محمد وليد فليون

الناشر :المركز الأكاديمي للأبحاث / العراق ـ تورنتو ـ كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

Library and Archives Canada/ موثق بدار الكتب والوثائق الكندية

ISBN 978-1-927946-54-1

Email: info@acadcr.com   website\\http://www.acadcr.com

nasseralkab@gmail.com

بيروت ـ الطبعة الأولى 2019

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : بيروت ـ لبنان 7611-2047

الجناح ـ شارع زاهية سلمان ـ مبنى مجموعة تحسين الخياط

Tel:+961-1-830608 — Fax: +961-1-830609

Website:www.all-prints.com   Email:tradebooks@all-prints.com

انستاس ماري الكرملي

١٨٦٦ _ ١٩٤٧م

- ولد في بغداد من أب لبناني وأم عراقية.
- تلقى تعليمه الأولي في مدرسة الآباء الكرمليين.
- بعد تخرجه عام ١٨٢٢ عيّن مدرساً للغة العربية في مدرسته.
- أجاد فضلاً عن العربية الفرنسية، اللاتينية، الإنكليزية، الإيطالية، والفارسية.
- انتخب عضواً في مجمع المشرقيات الألماني عام ١٩١١م وعضواً في المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٢٠م ومجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٣٢م، وعضواً في المجمع العلمي العراقي.
- من أبرز أعماله الفكرية تأسيس مجلة لغة العرب وإشرافه على تحريرها.

مؤلفاته:

- الفوز بالمراد في تاريخ بغداد عام ١٩١١م.
- النقود وعلم النميات ١٩٣٩م.
- خلاصة تاريخ بغداد ١٩١٩م.
- متفرقات تاريخية.
- اللمع التاريخية والعلمية.
- حشو اللوزينج وهو بحوث وتعليقات تاريخية.
- ترجم كتاب أرض ما بين النهرين لمؤلفه الإنكليزي بيفين.

فهرس المحتويات

مَدْخلٌ:

إذا أخذَ أحدُ الأدبَاءِ يبحثُ عنْ هذهِ الدِّيانَةِ وأصحَابِهَا، وتصفَّحَ لهذهِ الغايَةِ كُتُبَ المتأخِّرينَ والمتقدِّمِينَ على اختلافِ مشَارِبِهِم وأحزابِهِم، وقابلَ ذلكَ بمَا هو مشهُورٌ عَنْ الصَّابِئَةِ في هذهِ الأيَّامِ؛ سمعَ أقوالاً متناقِضَةً في الفحْوَى كمَا في الكَلامِ! إذ يكذِّبُ كلُّ واحِدٍ مَنْ سبَقَهُ، لا، بل وكلَّ مَنْ خالَفَهُ أو ناصَبَهُ! ويدَّعِي لنفْسِهِ الهدايَةَ وينسبُ إلى غيرِهِ الغوايَةَ، فيرجعُ القَارئُ أكثرَ خَيْبَةً مِنَ القابضِ على المَاءِ، محتقِرَاً المُؤرِّخِينَ ومدوِّنِي الأخبَارِ والأنبَاءِ، لأنَّهُم لا يتثبَّتُونَ مِنْ صحَّةِ الحقَائِقِ قبلَ إيداعِها المهارِقَ، بل يقيِّدُونَ كلَّ ما مرَّ بخيالِهِم. أو خطرَ على بالِهِم.[1]

أمَّا الحقيقةُ فهِيَ على خلافِ ما يتصوَّرُها هذا الباحِثُ المستبِينُ عنْ أقوالِ الأوَّلينَ والآخِرينَ، بل فِي الاطِّلاعِ عليها وجمعِها فوائدُ عديدَةٌ وعوائدُ فريدَةٌ، تدلُّ على انتقالِ هذهِ الدِّيانَةِ انتقالَةً بعدَ انتقالَةٍ مِنْ حالَةٍ إلى حالَةٍ على توالِي الدُّهورِ وانسدَالِ ستائِرِ العصُورِ، إذ إنَّ هؤلاءِ الكَتَبَةَ دوَّنُوا ما علِمُوهُ مِنَ الصَّابِئَةِ في عهدِهِم، واعتمَدُوا على ما رَأَوْا أو سمِعُوا منذُ وجودِهِم في مهدِهِم، فخُيِّلَ إلى المتأخِّرِ الكذِبُ والاختِلاقُ[2] فيمَنْ سبقَهُ مِنْ كتبَةِ الآفَاقِ، وقدْ بحثْنا عنْ هذهِ الأمَّةِ ودِيانَتِها، وعشْنا بينَ أصحابِها وكَهَنَتِهَا.

---

(1) قيَّد العلمَ: كَتَبَه ومنه قوله:

العلــمُ صــيدٌ والكتــابةَ قيــدَه ... قيِّــد صــيودَك بالحبــالِ الواثقــة

فمــن الحماقــة أن تصــيد غزالــة ... وتعيفهـــا في الـــبراري طالقـــة

*****

والمهارق ج. مُهْرَقٍ. بفتح الرّاء: الصّحيفة، وهو فارسيّ مُعرّب. (المقوّم اللّغويّ).

(2) الاختلاق: الافتراء. وهو أعظم الكذب. (المقوّم اللّغويّ).

وقدْ سألْنا شيوخَها وخاصَّتَها وعامَّتَها، ومازلْنا نتتبَّعُ تلكَ الحقائِقَ، ونستقصِي الدَّقائِقَ بعدَ الدَّقائِقِ، فتنجلِي عندَها كلَّ الجلاءِ، وأُيِّدَ قولُنا هذا تأييداً لمْ يبقَ وراءَهُ شكٌّ ولا خَفَاءٌ، ولهذا فنَحْنُ لا نخَطِّئُ واحِدَاً مِمَّنْ تَقَدَّمَنَا، ولا نعزُو الوَهْمَ إلى واحِدٍ مِنْ أولئِكَ القَوْمِ، بل نتَّخِذُ كلامَهُ شَاهِداً على مُعْتَقَدِ تلكَ الأمَّةِ في ذلكَ اليوم، ونسندُهُ بالأسَانيدِ البَيِّنَةِ، وندعَمُهُ بالأدِلَّةِ الرَّاهِنَةِ.

وتمْهيداً لذلكَ نقولُ ـ طالِبينَ مِنَ اللهِ الهدايةَ إلى سواءِ السَّبيلِ والحصُولَ على المأمُولِ:

الصَّابِئَةُ دِيانةٌ تغيَّرَت على مرِّ العصُورِ، وتبدَّلَت متنقِّلَةً مِنْ طَوْرٍ إلى طَوْرٍ بسبَبِ ما حلَّ بها مِنَ الأغْيَارِ، وما طَرَأَ في عصْرِها مِنَ الحَادثَاتِ الكِبارِ، أو الأدْيَانِ السَّائدَةِ في تلكَ الأقطَارِ؛ فتفرَّعَ منها فرُوعٌ عديدَةٌ، واتَّسَع معْنَى لفظَةِ الصَّابِئَةِ فاشتمَلَت على شِيَعٍ غيرِ زهيدَةٍ، مثلَمَا اشتملَت لفظَةُ اليهُودِيَّةِ والنَّصرَانِيَّةِ والمحمَّدِيَّةِ على فِرَقٍ مختلفَةٍ، يرجعُ إليها أصحَابُها في أمورٍ مهمَّةٍ، آراؤُهُم فيها مؤتلِفَةٌ.

ـ البِدايَةُ والنَّشأةُ والأطْوارُ.

وبناءً عليه، فإنَّ أوَّلَ نشأةِ الصَّابِئَةِ كانَت عبادَةَ النُّجُومِ والكَواكِبِ، وذلكَ منذُ عهدٍ بعيدٍ، ثمَّ انتقلَت إلى إكرامِها بهيئةِ الأصْنَامِ والرُّمُوزِ والاحتفَاءِ بها عيداً بعدَ عيدٍ. وانتشَرَت بعدَ ذلكَ آراءُ فلاسفةِ اليونَانِ، فزادَ أئمَّةُ الصَّابِئَةِ على مُعتَقَدِهِم شَيْئاً مِنْ تلكَ المذاهِبِ زيادَةً في الافتِنَانِ، ثمَّ لمَّا ظهرَ الدِّينُ القويمُ وانبثَّ نورُ الإيمَانِ، وأضَاءَ على السَّهلِ والحَزَنِ والودْيَانِ؛[1] اقتبسَ

---

[1] الحَزْنُ من الأرض ما غلظ منها. (المقوّم اللّغويّ).

الصَّابِئَةُ آراءً مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ اقتباسَ العَجْلانِ، وكُتِبَت في القرُونِ الأولى بعدَ المسِيحِ بعضٌ مِنْ كتبُهِم مِنْ دُونِ ذِكْرِ أسمَاءِ المدوِّنينَ، ونُزِّلَت منزلَةَ في التَّنْزِيلِ دوَّنَها الإنجيلُ المبِينُ، فوقَفَ عندَ ذلكَ تغييرُ الدِّينِ، إذ نضَبَ عنه المَاءُ المَعِيْنُ، وبقِيَ مذهبُهُم منذُ ذلكَ الحِينِ على ما نسمَعُهُ عنْهُم أو نشَاهِدُهُ فيهِم في أُخرَيَاتِ السِّنينَ.

هذهِ هِيَ الأطوَارُ الكُبرَى، سوَى ما تجَاذَبَها مِنَ الأغيَارِ الصُّغرَى التِي اختلَفَت باختِلافِ الأماكِنِ والبلدَانِ، أو بتنوُّعِ الشُّعوبِ والألسنَةِ والأزمَانِ.

غيرَ أنَّنا لا نلتفِتُ إليْها في هذهِ المقالَةِ لكَيْ لا يهجُمَ على القارِئِ الإشْكَالُ أو الإبْهَامُ، فيسَاورَهُ مسَاوَرَةً دونَها مُناورةُ الضِّرغَام.[1]

وبناءً عليه فإنَّ انتقَالَ دِيانَةِ الصَّابِئَةِ كانَ على أربعَةِ أطْوارٍ كبْرَى هِيَ:

طَوْرُ عبادَةِ النُّجُومِ مباشَرَةً.

طَوْرُ عبادَةِ النُّجُومِ برمُوزٍ وأصْنَامٍ.

طَوْرُ إدخَالِ آراءٍ فلسفِيَّةٍ فيها.

طَوْرُ إدخَالِ آراءٍ نصْرَانِيَّةٍ فيها أو: الطَّوْرُ الأخِيرُ.

ويجِبُ علينا الآنَ أنْ نتكلَّمَ عنْ كلِّ طَوْرٍ بمَا يحتَمِلُهُ المكانُ، وقوفاً بالقارِئِ على رأيِنَا هذا الجدِيدِ، المستنِدِ إلى سديدِ الأسَانيدِ، وهو على ما خُيِّلَ إليْنا ليسَ عنْ الحقيقَةِ ببعِيدٍ؛ ولنبيِّنَ له أنَّ كلَّ طوْرٍ مِنْ هذهِ الأطوارِ، قدْ أبقَى وراءَهَ بعضَاً مِنْ تلكَ الآثارِ التِي جعلَتْهُ مِنْ هذا القبِيلِ شبيهاً بطبَقَاتِ الأرْضِ التِي يُرى فيها بالطُّولِ والعَرْضِ، مُستودَعَاتُ العصُورِ الغابِرَةِ، ودلائِلُ السُّيولِ الجَارفَةِ العابرَةِ.

---

[1] الضِّرغام: الأسد. (المقوّم اللّغويّ).

الفصلُ الأوّلُ

طورُ عبادةِ النُّجومِ مباشَرةً

كانَ أَوَّلُ نشْأةِ الصَّابِئَةِ عبادَةَ النُّجُومِ والأجْرَامِ العُلْوِيَّةِ، وهِيَ أَوَّلُ دِيانَةٍ وُجدَت بعدَ فسَادِ الدِّينِ الحقِيقِيِّ. وهذا الفسَادُ قدِيمٌ يرتقِي إلى ما قَبْلَ حدُوثِ الطُّوفَانِ، وهو مَا يدَّعِيهِ الصَّابِئَةُ أيضَاً إلى يومِنَا هذا؛ إذ يقولُونَ: إنَّ آدمَ كانَ صابئاً، وكذلكَ حوَّاءُ وسائرُ الآبَاءِ الأقدَمِينَ. فهذا الكَلامُ. وإنْ كانَ لا يخلُو مِنْ غُلُوٍّ ظاهِرٍ ظهُورَ الصُّبحِ لذِي عَيْنَيْنِ. إلَّا أنَّهُ يدلُّنا على أنَّ الصَّابِئَةَ قدِيمَةُ الوجُودِ. والكتَابُ الكرِيمُ يقولُ: **(وفَسَدَت الأرضُ أمَامَ اللهِ ومُلِئَت جَوْرَاً)**.[1] فلا شكَّ في أنَّ هذا الفسَادَ لمْ يكُنْ مِنْ جِهَةِ الآدَابِ فقطُ بل مِنْ جِهَةِ الدِّيانَةِ أيضَاً، لأنَّ القلبَ لا يفسُدُ إلَّا بعدَ فسَادِ العقلِ.

ـ الأدلَّة على عبَادَةِ الصَّابِئَةِ النُّجُومَ:

أمَّا أنَّ الصَّابِئَةَ بمعنَى عبادَةِ النُّجُومِ فهِيَ قديمَةٌ والأدلَّةُ على ذلكَ كثيرَةٌ، منها:

. **أوَّلاً: قِدَمُ وجودِ الوثنِيَّةِ** الذِي تشهدُ به آثارُ الغابرينَ التِي وُجدَت في هذا القرنِ مِنْ آشورِيَّةٍ وبابلِيَّةٍ وكِلدانِيَّةٍ وفينيقِيَّةٍ ومصْرِيَّةٍ. ولمَّا كانَت الوثنِيَّةُ هي بنتَ الصَّابِئَةِ. كمَا سيأتِي إيضَاحُ هذهِ القضِيَّةِ. فقدْ نتجَ أنَّها أقدَمُ منها.

. **ثانِياً: تُوجَدُ عندَ الصَّابِئَةِ** الحالِيِّينَ أسماءُ نجُومٍ وأصْنَامٍ و رَوحانِيِّينَ كلُّها لمْ تكُنْ معروفَةً إلَّا في عهدِ القُدامَى مِنْ بابلِيِّينَ وآشورِيِّينَ وغيرِهِم؛ لمْ يذكُرْها أصحَابُ التَّواريخِ المعروفَةِ، لكنْ عثرَ عليها العلماءُ في هذهِ الأزمَانِ في المُدْرَجَاتِ، والكِتابَاتِ العادياتِ.[2] فنتجَ مِنْ ذلكَ أنَّ الصَّابِئَةَ الحالِيِّينَ حفِظُوا

---

[1] (سفر التّكوين ٦:١١).

[2] العاديات: القديمات. (المقوّم اللّغويّ).

خَلَفَاً عنْ سَلَفٍ تلكَ الأسمَاءَ كمَا أخذُوا عنها عبادَةَ النُّجومِ، فمِنْ ذلكَ مثلاً: (بيليتُ، ونيدغلُ، وأنبو، وبيلو، وشمشُ) وهلمَّ جرَّاً.

. **ثالثاً: يُجْمِعُ المؤرِّخُونَ بلسَانٍ واحدٍ** على أنَّ معنَى الصَّابِئَةِ عبَادَةُ أو تعظِيمُ الأجرَام السَّماويَّةِ.

. **رابعاً: نَشَأَت الصَّابِئَةُ في مهدِ المُجتَمَع الإنسَانِيِّ** قبلَ تفرُّقِهِ في الأرْضِ، وذلكَ حينَما لمْ يكنْ البشرُ يتكلَّمُونَ إلّا لسّاناً واحِدَاً أو ألسنَةً قليلَةً. ويُستَدَلُّ على ذلكَ مِنْ وحدةِ اسمِ الجلالَةِ عندَ مختلفِ الشُّعوبِ وتصحِيفِهِ وتحريفِهِ، ومِنْ أسمَاءِ جميعِ الأصنَام القدِيمَةِ التِي تُرَدُّ إلى أصلٍ واحدٍ يقترِبُ مِنَ الأصلِ السَّامِيِّ المُرادِ به النُّورُ أَو العُلُوُّ، أو مِثْلُ هذا المعنَى، ممَّا تتَّصفُ به الأجرَامُ العُلْوِيَّةُ؛ ممَّا يدلُّ على أنَّهُم لمَّا جهلُوا اللهَ الذِي لا يُرَى بالأبصَارِ ألَّهُوا تلكَ الأجرَامَ النَّيْرَةَ وعبدُوها، ثمَّ نقلُوها إلى ذواتٍ مُجَسَّمَةٍ أي إلى أصنَامٍ سَمَّوْهَا بها، فللَّهِ عندَ علمَاءِ السَّنْسَكْرِيْتِيَّةِ اسمَانِ شهيرَانِ هما: **(إيلُ)** السَّامِيَّةِ و **(ديفُ.Dev)** الموهومَةُ.

ويحسُنُ بنا أنْ نوردَ هنا الألفَاظَ المُشتقَّةَ مِنْ كلٍّ مِنْ هذينِ الاسمَيْنِ، وكيفيَّةَ انتقَالِ معنَى تلكَ المُشتَقَّاتِ إلى أسماءٍ تدلُّ على النُّورِ أو السَّماءِ أو نحوهِمَا، ثمَّ إلى أسمَاءِ الأصنَامِ عندَ كلِّ أمَّةٍ بحسبِ مُعتَقَدِها أو تدرُّجِهَا فيه مسمِّيَةً بتلكَ الأسمَاءِ أوَّلَ إلهٍ عظِيمٍ اتَّخَذَتْهُ بعدَ الإلهِ الحَقِّ ثمَّ نقلَتْهُ شَيْئاً فشَيْئاً إلى صفَاتِهِ تعَالى ثمَّ حَصَرَت تلكَ الصِّفَاتِ في آلهَةٍ مختلِفَةٍ.

وفي ذِكْرِنَا هذا الاشتقَاقَ فائدَةٌ أخرَى، هِيَ دعْمُ رأيِ قِدَمِ التَّوحِيدِ عندَ أمَمِ المَعمُورَةِ جميعِها، ثمُّ انتقالُهُ إلى الصَّابِئَةِ أو عبَادَةِ الأجرَامِ العُلْوِيَّةِ، ثمَّ إلى

عبَادَةِ تماثِيلِها تزلُّفاً بها إليها؛ وهو رأيُ علمَاءِ عصْرِنا، زيادَةً على أنَّهُ رأيُ العلمَاءِ الأقدَمِينَ المستَنِدِ إلى كتَابِ اللهِ العظِيمِ.[١]

ـ معنَى (إيلُ) و (إلُ):

اختلفَت آراءُ العلمَاءِ في أصْلِ اشتقَاقِهِ. **وإنْ اتَّفَقُوا في مُؤدَّى معنَاه أيْ الإلهُ**. فمنْهُم مَنْ قالَ: إنَّهُ غيرُ مُشتَقٍّ بل إنَّهُ أصْلٌ، وإنَّ معنَاهُ: القوَّةُ والقدرَةُ والشَّجاعَةُ والبسَالَةُ. ومنهُ (الإلُّ) بالعربيَّةِ بمعنَى الرُّبوبيَّةِ أو الإلهِ.[٢]

ومنهُم مَنْ قالَ: إنَّهُ مُشتَقٌّ مِنْ أصْلٍ معنَاهُ العُلُوُّ، لأنَّ الكِلدَانَ والآشوريِّينَ الأقدَمِينَ يقولُونَ: (إيلو) بمعنَى إيلُ، وإبدالُ الهمزَةِ بالعَيْنِ وعكسُهُ أمرٌ مُثبَتٌ مشهُورٌ. وبناءً عليه يكونُ معنَى (إيلُ) أو (إيلو) العَلِيَّ أو العالِيَ العربيَّتَيْنِ.

ومنهُم مَنْ قالَ: إنَّها مشتقَّةٌ مِنْ (ألَهَ) المانت اليومَ في الأصُولِ السَّامِيَّةِ ما خلا العربِيَّةَ، ومعناهُ: (عبَدَ)، ومُحصَّلُهُ (المعبودُ).

---

[١] يُشار إلى أنّ الثّقافة الإسلاميّة ذكرت حالة التّقرّب إلى الإله الحقّ بالأصنام لدى المشركين المعاصرين للنّبيّ محمّد. وحين كانوا يُسألون عن سبب عبادتها يذكرون ذات السّبب وهو تقرّبهم إلى الإله الحقّ بها. وقد سجّل القرآن ذلك في سورة الزّمر في الآيتين (٢. ٣) حيث يقول: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ). (المقوّم اللّغويّ).

[٢] ذكر ابن كثير في تفسيره للآية العاشرة من سورة التّوبة في القرآن الكريم: (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) عن ابن جرير أنّه قال: حدّثني يعقوب، حدّثنا ابن عليّة، عن سليمان، عن أبي مجلز في قوله تعالى: (لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة) مثل قوله: جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل؛ كأنّه يقول: يضيف جبر، و ميكا، و إسراف إلى إيل. يقول عبد الله: لا يرقبون في مؤمن إلًّا، كأنّه يقول: لا يرقبون الله. (المقوّم اللّغويّ).

وذهبَت جماعةٌ مِنَ المُحدَثِينَ مِنْ علماءِ الآشوريَّةِ وغيرِها إلى أنَّ أصْلَ اللَّفظِ بادِئَ بدءٍ هو (أنْ) باللُّغَةِ السُّومريَّةِ، وهِيَ أقدَمُ اللُّغاتِ عندَهُم. على ما استنتَجُوهُ إلى هذا اليومِ مِنْ قراءَةِ المدرَجَاتِ المسمارِيَّةِ، ثمَّ ضُوعِفَت وصَارَت (أنا)[1] ومِنْ بعدِ أنْ كانَ معنَاها في الأوَّلِ (إلهاً) صَارَت في العُرْفِ بمعنَى (السَّماءِ) ثمَّ نُقِلَت إلى أسماءِ آلهَةٍ أو أرواحٍ أو أصنَامٍ.[2]

أمَّا السَّاميُّونَ فإنَّهُم أبدَلُوا نونَ (أنْ) بلامٍ فقالُوا: (أل وإل وأيل وإيل وإيلو).

والخلاصَةُ أنَّ الآراءَ كثيرَةٌ متشعِّبَةٌ لا يسعُنا ذكرُها.

ولإيلَ اسمٌ آخَرُ عندَ العبرانيِّينَ هو **(عليون . elion)** وهو مُشتَقٌّ مِنْ עלה العبرانِيَّةِ التِي يقابلُها في العربيَّةِ (علا) وهي بمعْنَاهَا. ومِنْ المُشتقِّ (إيل) العبرانِيَّةِ أي (الإلَئيةُ) بتثلِيث الهمزَةِ و(أليهَةٌ).

ـ ما قالَه في التَّاجِ في ترجمَةِ هذهِ المادَّةِ:

{(هي) (الشَّمسُ. غيرُ مَصرُوفٍ بلا ألفٍ ولام، وربَّما صرَفُوه وأدخَلُوا فيه الألفَ واللَّامَ وقالُوا: الآلِهَةُ. فكأنَّهُم سَمَّوْها إلاهَةً لتعظِيمِهِم لها وعبادَتِهِم إيَّاهَا)... ومِنْ هنا ترَى أنَّ العربَ نقلُوا اسمَ الإلهِ إلى الشَّمسِ، وكما أنَّ هذا

[1] يُشار إلى أنّ القرآن الكريم أورد اللّفظ (أنا) في خطاب الله للنّبيّ موسى عليه السّلام. (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي) "سورة طه الآية (١٤)". على أنّ سائر المفسّرين المسلمين ذكروا أنّ اللّفظ (أنا) هو ضمير الرّفع المنفصل جيء به للتّأكيد على أنّ المتكلم هو الله لا أحد غيره. (المقوّم اللّغويّ).

[2] راجع مثلاً كتاب Lenormani: La magie chez les chaldeens, pp 15, 139, 140, 142, 144, 283, 318, 323.

النَّيِّرَ مُؤنَّثُ الَّلفظِ عندَهُم زادُوا التَّاءَ في الآخِرِ، ثمَّ بعدَ ذلكَ عبدُوا الشَّمسَ بصُورَةِ أصنَامٍ مختلِفَةِ الهيئَاتِ والأشْكالِ فصَارَ مِنْ معنَى الإلاهَةِ أيَضاً: (الحَيَّةُ والأصنَامُ)}.[1]

وقدْ سمَّى الفينيقِيُّونَ أعظمَ آلهتِهِم أو أصنَامِهِم **(إل، أو إله، أو عليون)** قالَ سنكينُ يتنُ: إنَّ (إيلَ) الذِي يسمِّيهِ الفينيقِيُّونَ "إسرائيلِ" هو الذِي ماتَ مقتنصَاً للكوكَبِ زحلَ، وكانَ اليونانُ يُسمَّونَهُ "مينرفة" (أيلوتي) أي إلاهَتِي.[2]

ثمَّ إنَّ الفينيقِيِّينَ عبدُوا هذينِ الجرمَيْنِ العُلويَّينِ بهيئَةِ أصنَامٍ مختلفَةٍ، وقدْ أخذَ اليونانُ عنْ هؤلاءِ أكثرَ معبوداتِهِم، وممَّا يناسِبُ اشتقاقَ "إيل ʼΗλ و ʼΙλος، وهوَ زحَلُ عندَهُم، ويُرادُ بها الشَّمسُ ثمَّ عبدُوهُما ونحتُوا لهَما أصنَامَاً كمَا فعَلَت العرَبُ.

وحبَّاً بالاختصَارِ نقولُ: قابلْ هذهِ الألفاظَ ومُشتقَّاتِها معَ ألفاظِ السَّامِيَّةِ جميعِها ترَ العجبَ مِنْ ذلكَ! الَّلهمَّ إلَّا في **الُّلغاتِ الحبشِيَّةِ** فإنَّ هذا الأصلَ (ا ي ل) لا وجودَ له بهذا المعنَى؛ ولعلَّهُ فُقِدَ. وإذا تتبَّعْتَ كلَّ ما أشرْنا إليهِ تتحقَّقْتَ مِنْ أنَّ الأديانَ قبلَ فسَادِها كانَت توحيدِيَّةً ثمَّ صابِئِيَّةً ثمَّ وثنِيَّةً.[3]

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرّزّاق الحسينيّ، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى الزّبيديّ. (المقوّم اللّغويّ).

[2] راجع تاريخ لبنان للأب مرّتين ص ٢١٨ وفي مواطن شتّى، وفي ص ٢٥٠.

[3] من ذلك ما رواه ابن إسحاق في سيرته: أنّ سبب نصب الأوثان في مكّة، وتغيير دين إبراهيم عليه السّلام أنّ عمرو بن لحيّ خرج من مكّة إلى الشّام، فلمّا قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق أولاد عمليق – ويُقال عملاق – بن لاوذ بن سام بن نوح، رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نستمطر بها فنُمطر، ونستنصر بها فنُنصر؛ فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنما أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنما يُقال له (هبل) فقدم به مكّة فنصبه، وأخذ النّاس بعبادته وتعظيمه. (المقوّم اللّغويّ).

أمّا لفظةُ (ديف) أو (ديو . Dev au Dew) المشهورَةُ في فرُوع الُّلغةِ السَّنسكْريتِيَّةِ بمعنَى (النُّور) أو (السَّماء) فلا شكَّ في أنَّهُ كانَ يُرادُ بها بادئَ بدءٍ معنَى (الإله) **ثمَّ نُقلَت إلى معنَى (النُّور) أو (السَّماء)** على الطَّريقَةِ التِي ذكرنَاها. غير أنَّه ليسَ عندِي بثبْتٍ قولُ العلماءِ: إنَّ هذهِ الَّلفظَةَ لا وجُودَ لها في الُّلغاتِ السَّامِيَّةِ! ولهذا قلْنا في صدْرِ هذهِ النبذَةِ: وللهِ اسمَانِ شهيرَانِ (إيل) السَّامِيَّةُ و (ديف) الموهومةُ عندَ علماءِ السَّنسكْريتِيَّةِ. وهذا الحرفُ موجودٌ في الُّلغةِ العربيَّةِ بلفظَةِ: (ضوء) وبالسَّنسكْريتِيَّةِ (ديف) أو (ديف .Div ou dev) وفي اليونانيّة Θεός ثمَّ اشتقُّوا منها Ζεύς بمعنَى المشتَري، **وفي الَّلاتينِيَّةِ (Deus)[1] وفي الهندِيَّةِ والبهلوِيَّةِ والفارسِيَّةِ (ديو) وفي المصرِيَّة (طوط) أو (ثوث . Thout) وبالصِّينِيَّةِ (تي) أو (تيان).**

ولو أردْنا أنْ نستقرِيَ هذهِ الَّلفظةَ ومصَحَّفَاتِها[2] في جميعِ الُّلغاتِ المتفرِّعَةِ مِنْ هذهِ الأمَّهَاتِ لتغلْغَلَ بنا الكلامُ إلى ما يضِيقُ به نطاقُ هذهِ المجلَّةِ ويخرجُنا عنْ الموضُوعِ؛ ولذلكَ رأينا الاكتفاءَ بالإشَارةِ عنْ الاستفاضَةِ في

---

(١)ونقول هنا استطرادا: إنّ كلمة (dies) التي معناها (اليوم) والمشتق منها (day) الإنكليزيّة مأخوذة من (div) السّنسكريتيّة بمعنى (الضّياء) العربيّة لكنّها صُحّفت قليلا لإفادة معنى جديد وهي مُشتقة اشتقاق (النّهار) العربيّة من (النّهر) المماتة بهذا اللّفظ بالعربيّة والمقلوبة فيها (نوراً) بإبدال الهاء واوا كما قالوا في هشمة: ه ثمه ه في ماهي: ماه ح،، ه نحوهما. والنّهر بهاء بمعنى النّور أو الضّياء موجودة في السّريانيّة ܢܘܗܪܐ والعبرانيّة נהרא وسائر اللّغات القديمة السّاميّة واشتقاق (dies) (ديا) بعد حذف السّين) من (ضياء) السّنسكريتيّة لم يصرّح بها أحد من العلماء، فاحفظها.

(٢)المُصَحَّف اسم المفعول من صحَّف. مصدره تصحيف، وهو أهون الشّرّين. يكون بتحويل وضع حروف الكلمة أو تحويلها إلى أخرى تشبهها في الرَّسم وتخالفها في النّقط كقولنا هنا: الصّابئة. الصّابية. والتّحريف أسوء منه وهو ما كان اختلاقا للكلام وإبداله بغيره جملة وتفصيلا، كقولك في السّلام عليكم: السّام عليكم. فالسّلام معروف والسّام هو الموت. (المقوّم اللّغويّ).

العبارَةِ. لكنْ ممَّا يجبُ أنْ ينتبهَ القارئُ إليه، هو أنَّ هذهِ الأسمَاءَ المذكُورَةَ كلَّها مِنْ بعدِ وضعِها للدِّلالَةِ على ذاتِ الجلالَةِ عينِها، نُقلَت بعدَ ذلكَ إلى معنَى النُّورِ والسَّماءِ، ثمَّ إلى الشَّمسِ أو إلى أحدِ الكواكِبِ، ثمَّ إلى تمثيلِهنَّ بهيئةِ الأصنَامِ؛ فلمْ يعدْ معنَاها عندَهُ مشهُوراً في أكثرِ الأحايينِ إلَّا بمعنَى تلكَ الأصنَامِ.

وإنَّ ما أوردْنَاه هنا، هو عنْ اسم الجلالَةِ لا غيرَ، لكنَّنا تتبَّعْنا على حدَةٍ أسمَاءَ الأصْنَامِ عندَ سائرِ الأقوامِ فرأَيْنا أكثرَها ترجِعُ إلى هذا الأصْلِ، أي إلى أنَّها كانَت قَبْلاً أسمَاءَ كواكِبَ أو نحوِها، وكانت قبلَ هذا الأصْلِ مِنْ صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ أو مِنْ أسمَائِهِ. أمَّا بعضُها الآخرُ وهو النَّزرُ القليلُ فقدْ خفِي عنَّا وجهُ رَدِّهِ إلى أصلِهِ، وهو ـ مِنْ دُونِ مراءٍ ـ لا يخفَى على غيرِنا مِنَ المتبحِّرينَ في هذهِ الموادِّ! ثمَّ، وإنْ كانَت لا تُردُّ إلى هذا الأصْلِ فلكونِها قليلَةَ العددَ فلا يُعتَدُّ بها.

أمَّا الصَّابِئَةُ الحاليُّونَ فقدْ بقِيَ لهُم مِنْ هذا الطُّوْرِ أسمَاءٌ كثيرةٌ مِنْ رَوحانِيَّتِهِم أو رَوحانِيَّاتِهِم؛ هكذا مُسمَّى العربِ للوسَطَاءِ الذِينَ بينَ ذي الجلالَةِ والإنسَانِ على ما تخيَّلَهُ هؤلاءِ الصَّابِئَةُ والأدْرِيُّونَ[1] (gnostiqces)

[1] الأدْريّون نسبة إلى (أدري) مضارع درى في المتكلّم المُفرد. ويُراد بهم طائفة من سَقَطِ الفلاسفة أرادوا الجمع بين النّصرانيّة والمذاهب الشّرقيّة المتضاربة. ولابدّ من أنّك تتعجّب من اتّباعنا بعضا من العلماء بإدخال ياء النّسبة على الفعل. قلنا لا عجب من ذلك فإنّهم لمّا نسبوا إلى لفظة (أدري) اعتبروا فيها الحكاية لقول هؤلاء الفلاسفة الفسافسة أنّهم يدرون كلّ شيء. وعليه فإن اعتبرت الحكاية في اللّفظة جاز لك حينئذ أن تتصرّف بها تصرّفك بالاسم فتدخل عليها أداة التّعريف وتنسب إليها. لا بل ويجوز لك أن تمرّ بها وتصرّفها سواء كانت تلك اللّفظة فعلا أو حرفا. وقد ورد مثل هذا في كلام قدامى الجاهليّة فإنّهم سمّوا كبير العمر الذي يقول: (كنت في شبابي كذا وكذا) كنتيا أو كنتنيا، قال الشّاعر:

وما كنتَ كنتيا وما كنتَ عاجنا   وشرّ الرّجال كنتني وعاجنُ=

*****

ويُسمِّي الإفرنجُ هذهِ الرَّوحانِيَّات (eons)[1] وهِيَ كلُّها راجعَةٌ إلى معنَى النُّورِ أو شبهِهِ، ولا مريَةَ في أنَّ هذهِ الحقيقَةَ مِنَ الشَّواهِدِ الدَّامغَةِ الدَّالَّةِ على مُعتَقَدِهِم الأوَّلِ! وإلَّا فلو أنَّهُم كانُوا فرقَةً نصْرَانِيَّةً نشَأَت في القرُونِ الأُولى للمسيحِ كما يظنُّهُ بعضُهُم، فأنَّى لهُم تلكَ الأسمَاءُ والمُسمَّياتُ؟ فالنَّصَارَى على اختلافِ مِلَلِهِم ونِحَلِهِم لا يعتقدُونَ بشيْءٍ مِنْ ذلكَ؛ ومِنْ تلكَ الأسمَاءِ مثلاً: أنبوطُ زيوا، و زُهيرُ، و زهرونُ، و شيشلامُ زيوا، و هيولُ زيوا، وغيرُهُم.

ومِنْ بقايَا هذا الطَّوْرِ أيضَاً تكريمُ الصَّابِئَةِ الحالِيِّينَ للكوَاكِبِ والنُّجُومِ وفي مُقدَّمَتِها السَّيَّارَاتُ السَّبعُ.

ـ النجم القطبيّ:

للنَّجمُ القطبِيُّ عند الصَّابئةِ مكانة خاصَّةٌ فإنَّهُم لا يتمُّمُونَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِم ولا شعِيرَةً مِنْ شعائِرِهِم ولا عمَلاً دينِيَّاً مِنْ أعمالِهِم؛ إلَّا وقبلَتُهُم هذا النَّجْمُ وإذا أرادُوا أنْ يبنُوا بِيْعَتَهُم جعلُوا بابَها مفتُوحاً بحيثُ يكونُ وجهُ

= وأمّا في الحروف فقد نسبوا إلى كم وكيف ونحوهما. وقد أعربوا كثيرا منها كقول أبي زبيد الطّائيّ:

ليت شِعري وأين منّي ليت … إن ليتا وإن سَوفا عناءُ

*****

وقد ذكرنا كلّ ذلك لأنّ جماعة من المحدّثين المتفرّعين أنكروه فأردنا أن نقحمهم بشواهد أهل الجاهليّة.

[1] الإفرنج أو الفرنجة أو الفرنسيس هو الاسم التّاريخيّ لمجموعة قبائل جرمانيّة شكّلت ما عُرف لاحقا بتحالف القبائل الجرمانيّة المكوّن في أصله من قبائل السّليان والتّشاتي والبروكتيري وغيرهم. وقد دخلوا الأراضي الرّومانيّة عبر ألمانيا ـ الحاليّة ـ واستوطنوا المناطق الشّماليّة من بلاد الغال ـ فرنسا ـ وفي العقود الأخيرة صار الاسم يُطلق على الغربيّين بوجه عام. (المقوّم اللّغويّ).

الدَّاخلِ مستقبِلاً نجمَ القطبْ تبرُّكاً بطلعَتِهِ، ولهُم سُنَنٌ أخرَى لتكريمِ الشَّمسِ والقمرِ والزُّهرَةِ.. الخ. وكلُّ ذلكَ لا يوجدُ في فرقةٍ مِنْ فِرَقِ النَّصارَى.

ـ استخارةُ الكواكب:

ومِنْ آثارِ هذا الطَّورِ أيضاً أعمَالٌ كثيرَةٌ لا تتمُّ إلَّا بعدَ استخارَةِ الكواكِبِ كمَا كانَ يفعلُهُ قدامَى الآشوريِّينَ والبابليِّينَ والكِلدانِيِّينَ مِنْ ولادَةٍ وزوَاجٍ وتطبيبٍ وتقليدِ الكهنوتِ والدَّفنِ وغيرِ ذلكَ.

أمَّا شواهدُ المُؤلِّفِينَ على أنَّ الصَّابِئَةَ عبدُوا النُّجومَ أوَّلاً ثمَّ الأصْنَامَ بعدَ ذلكَ، فهِيَ أشهرُ مِنْ أنْ تُذكرَ، ولابُدَّ مِنْ أنْ نستشِهدَ في كلِّ طورٍ مِنَ الأطوارِ الأربعَةِ بأقوالِ الأئمَّةِ وبالأخصِّ أئمَّةَ الشَّرقِ لقربِهِم مِنَ الصَّابِئَةِ ونشوئِهِم معَهُم.

ـ ما قاله ابن قيم الجوزيّة:

قالَ الشَّيخُ شمسُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ أبِي بكرٍ بنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ في كتَابِهِ (إغاثةُ اللَّهفانِ. في مصايدِ الشَّيطانِ)[1] ما نصُّهُ:

(أصلُ هذا المذهبِ "أي عبادةُ الأصنَامِ عندَ الهنودِ" مِنْ مشركِي الصَّابِئَةِ، وهُم قومُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ الذِينَ ناظَرَهُم في بطلانِ الشَّركِ وكسَرَ

[1] ابن القيّم: هو أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد بن حريز بن مكّيّ زين الدّين، الزّرعيّ، ثمّ الدّمشقيّ الحنبليّ، الشّهير بابن قيّم الجوزيّة وُلد في دمشق (٦٩١هـ . ١٢٩٢م) كان والده قيّما على المدرسة الجوزيّة بدمشق مدّة من الزّمن، واشتهر بذلك اللّقب ذريّته وحفدتهم من بعد ذلك، وقد شاركه بعض من أهل العلم بهذه التّسميّة. وتقع المدرسة الجوزيّة في سوق البزوريّة الحاليّ المُسمّى قديما "سوق القمح" أحد أسواق دمشق، وقد بقي منها الآن بقيّة ثمّ صارت محكمة إلى سنة (١٣٧٢هـ). التقى ابن القيّم ابن تيميَّة سنة (٧١٢هـ) وتتلمذ عليه وتأثّر بفكره المتشدّد. (المقوّم اللّغويّ).

حجَّتَهُم بعلْمِهِ وإلهتَهُم بيدِهِ فطلَبُوا تحريقَهُ، وهو "مذهبٌ قديمٌ في العالَمِ" وأهلُهُ طوائِفُ شتَّى، فمنْهُم عبَّادُ الشَّمسِ، وقدْ زعمُوا أنَّها مَلَكٌ مِنَ الملائكَةِ لها نفْسٌ وعقلٌ، وهِيَ أصلُ نورِ القمرِ والكواكبِ؛ وتكوُّنُ الموجُودَاتِ السُّفلِيَّةِ كلِّها عندَهُم منها، وهي عندَهُم مَلَكُ الفَلَكِ فتستحِقُّ التَّعظِيمَ والسُّجُودَ والدُّعاءَ، ومِنْ شريعَتِهِم في عبادَتِها أنَّهُم اتَّخذُوا لها صنَماً بيدِهِ جوهَرٌ على لونِ النَّارِ وله بيتٌ خاصٌّ قد بنَوْهُ باسمِهِ، وجعلُوا له الأوقافَ الكَثيرَةَ مِنَ القُرى والضِّياعِ ولهُ سَدَنَةٌ وقُوَّامٌ وحَجَبَةٌ يأتُونَ البيتَ **ويصلُّونَ فيه لها ثلاثُ كرَّاتٍ في اليومِ** ويأتِيهِ أصحَابُ العاهَاتِ فيصُومُونَ لذلكَ الصَّنَم ويصلُّونَ ويدعُونَهُ ويستشفُونَ به؛ وهُم إذا طلَعَت الشَّمسُ وإذا غرَبَت وإذا توسَّطَت الفَلَكَ، سجدُوا كلُّهُم لها، ولهذَا يقارنُها الشَّيطانُ في هذهِ الأوقَاتِ الثَّلاثَةِ لتقعَ عبادَتُهُم وسجُودُهُم له، ولهذا نهَى النَّبيُّ (ص) عنْ تحرِّي الصَّلاةِ في هذهِ الأوقاتِ قَطْعَاً لمشُابَهَةِ الكفَّارِ ظاهِراً، وسدًّا لذريعَةِ الشِّركِ وعبادَةِ الأصنَامِ. واتَّخذَت طائفَةٌ أخرَى القمرَ، وزَعمُوا أنَّهُ يستحِقُّ التَّعظيمَ والعبادَةَ وأنَّ إليهِ تدبيرَ هذا العالَمِ السُّفلِيِّ، ومِنْ شريعةِ عبادَتِهِ أنَّهُم اتَّخَذُوا له صنَماً على شكلِ عِجْلٍ أو نحوِهِ مِنْ ذواتِ الأربعِ وبيدِ الصَّنَم جوهَرَةٌ؛ يعبدُونَهُ ويسجدُونَ له **ويصُومُونَ له أيَّامَاً معلومَةً مِنْ كلِّ شهرٍ** ثمَّ يأتُونَ إليهِ بالطَّعَامِ والشَّرابِ والفرَحِ والسُّرورِ؛ فإذا فرغُوا مِنَ الأكلِ أخذُوا في الرَّقصِ والغناءِ وأصواتِ المعازفِ بينَ يديهِ، ومنهُم مَنْ يعبُدُ أصنَامَاً اتَّخذُوها على صورَةِ الكواكِبِ ورَوْحانِيَّتِها بزعمِهِم، وبنَوا لها هيَاكلَ، ولكلِّ كوكَبِ مُتَعَبَّدَاتُ يعبدُونَهُ بها، ولكلٍّ منها هيكلٌ يخصُّهُ وصَنَمٌ يخُصُّهُ وعبَادَةٌ تخصُّهُ.

وكلُّ هؤلاءِ مرجعُهُم إلى عبَادَةِ الأصنَامِ، فإنَّهُم لا تستمِرُّ لهُم طريقَةٌ إلَّا بشخْصٍ خاصٍّ على شكلٍ خاصٍّ، ينظرُونَ إليه ويعكفُونَ عليه، ومِنْ هنا اتَّخَذَ أصحَابُ الرَّوحانِيَّاتِ والكواكِبِ أصْنَاماً زعمُوا أنَّهَا على صُورتِها . فَوَضْعُ الصَّنَمِ إنَّمَا كانَ في الأصْلِ على شكلِ معبُودٍ غائبٍ فجُعِلَ الصَّنَمُ على شكلِهِ وهيئَتِهِ وصُورَتِهِ ليكونَ نائِبَاً منابَهُ وقائماً مقامَهُ . وإلَّا فمِنَ المعلومِ أنَّ عاقِلاً لا ينحتُ خشبَةً أو حجَرَاً بيدِهِ ثمَّ يعتقِدُ أنَّهُ إلهُهُ ومعبودُهُ).

انتهى كلامُ شمسِ الدِّينِ وقدْ أوردْنَاهُ بالتَّفصِيلِ لِمَا فيه مِنَ الفوائِدِ الجليلَةِ ولعزَّةِ وجودِ الكتِابِ وجهلِ النَّاسِ هذا الكلامَ.

الفصلُ الثّاني
طورُ عبَادَةِ النُّجومِ برمُوزٍ وأصنَامٍ

ـ المُدَّةُ بينَ الطَّوْرَين:

يتحقَّقُ القارئُ ممَّا مرَّ به أنَّ المدَّةَ التِي انقضَت بينَ الانتقَالِ مِنْ عبادَةِ الكواكِبِ مباشَرَةً إلى عبادتها بهيئَةِ الرُّموزِ والأصنَامِ لمْ تكنْ مُحدَّدَةً بل ربَّما كانَت متَّصلَةً بالمدَّةِ الأُولى عندَ طائفَةٍ ومنفصِلَةً عنها ببرهةٍ مِنَ الزَّمانِ عندَ طائفَةٍ أخرَى، وما ذلكَ إلَّا للسَّببِ الذي يجدُهُ كلُّ عاقلٍ مِنْ نفسِهِ، وهو السَّببُ الذِي صرَّح به المسعُودِيُّ في كتابِهِ (مروجُ الذَّهبِ)[1] إذ قالَ: فأقامُوا على ذلكَ برهَةً مِنَ الزَّمانِ وجُمْلَةً مِنَ الأعصَارِ حتَّى نبَّهَهُم بعضٌ مِنْ حكمَائِهِم إلى أنَّ الأفلاكَ والكواكِبَ أقربُ الأجسَامِ المرئيَّةِ إلى اللهِ تعَالى، وأنَّها حيَّةٌ ناطِقَةٌ. وأنَّ الملائكَةَ تختلفُ فيما بينَها وبينَ اللهِ،[2] وأنَّ كلَّ ما يحدُثُ في هذا العالَمِ؛ فإنَّما هو على قدْرِ ما تجري به الكوَاكِبُ على أمرِ اللهِ فعظَّمُوها وقرَّبُوا لها القرابِينَ لتنفَعَهُم، ومكَثُوا على ذلكَ دهراً. فلمَّا رأَوْا الكواكِبَ تختفِي بالنَّهارِ وفي بعضٍ مِنْ أوقاتِ الَّليلِ لِمَا يعرضُ في الجوِّ مِنَ السَّواتِرِ؛ أَمَرَهُم بعضٌ ممَّنْ كانَ فيهم مِنْ حكمَائِهِم بأنْ يجعلُوا لهَا أصْنَامَاً وتماثيلَ على صُوَرِها وأشكَالِها فجعَلُوا لها أصْنَامَاً وتماثيلَ بعدَدِ الكواكِبِ المشهُورَةِ. وكلُّ صنفٍ منهُم يعظِّمُ كوكَباً منها ويقرِّبُ لها نوعَاً مِنَ القربانِ خلافَ ما لِلآخَرِ؛ على أنَّهُم إذا عظَّمُوا ما صوَّرُوا مِنَ الأصنَامِ

---

[1] أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ. (٣٤٦.٢٨٣هـ) كنيته أبو الحسن، ولقبه قطب الدّين، وهو من ذريّة عبد الله بن مسعود. جغرافيّ ورائد نظريّة الانحراف الوراثيّ. من أشهر العلماء العرب، والمعروف بهيرودوتس العرب. توفّي في مصر. وكتابه "مروج الذّهب ومعادن الجوهر" كتاب في التّاريخ يبدأ بالخليقة وينتهي بعهد الخليفة العباسيّ المطيع لله. (المقوّم الّلغويّ).

[2] تختلف، هنا، بمعنى تذهب إليه وتعود وليس المقصود الاختلاف الذي هو التّنوّع. (المقوّم الّلغويّ).

تحرَّكَت لهُم الأجسَامُ العُلوِيَّةُ مِنَ السَّبعَةِ بكلِّ ما يريدُونَ وبَنَوْا لكلِّ صنَمٍ بيتاً وهيكَلاً مُفْرَداً وسمَّوْا تلكَ الهياكِلَ بأسمَاءِ تلكَ الكواكبِ).

وقدْ استقلَّ فرعٌ منهُم عنْ الأصلِ بعدَ انفصالِهِ عنْ عبادَةِ الأجرَامِ بالرُّموزِ وتعظيمِها بهيئَةِ النَّارِ، ودُعِيَ هذا الفرعُ مِنَ الصَّابِئَةِ (المجوسِيَّةِ) وهذهِ العبادَةُ متوغِّلَةٌ في القِدَمِ وهِيَ بقِدَمِ عبادَةِ النُّجُومِ. كمَا يشهدُ بذلكَ المؤرِّخُونَ والأخبَاريُّونَ الأقدَمُونَ والمُحدَثُونَ. وهو ما أيَّدَتْهُ اكتشَافاتُ العادِيَاتِ في البِلادِ القدِيمَةِ.

وقدْ أشارَ إلى قِدَمِ عبادَةِ النَّارِ بشَّارُ بنُ بُردٍ إذ قالَ:

الأرضُ سافلَةٌ سوداءُ مظلِمَة … والنَّارُ معبُودَةٌ مذ كانَت النَّارُ

*****

القديرانِ القويَّانِ المتضَادَّانِ:

- ما قاله المسعوديّ:

قالَ المسعُودِيُّ في هذا الصَّدَدِ ما حَرْفُهُ:

(وجدَ الملكُ أفريدونُ ناراً يعظِّمُها أهلُها وهُم معتكِفُونَ على عبَادَتِها فسَأَلَهُم عنْ خبرِها ووجْهِ الحكْمَةِ منْهُم في عبَادَتِها فأخبرُوهُ أنَّها واسطَةٌ بينَ اللهِ وبينَ خلقِهِ، وأنَّها مِنْ جنسِ **"الإلهيَّةِ النُّوريَّةِ"** وأشياءَ ذكرُوها أعرضْنا عنْ ذكرِها لاعتيَاصِها![1] وذلكَ أنَّهُم جعلُوا للنُّورِ مراتِبَ ففرَّقُوا بينَ طبعِ النَّارِ والنُّورِ... وأنَّ بالنُّورِ صلاحَ هذا العالَمِ؛ وشرَّفَ النَّارَ على الظُّلمَةِ وإفادتَها لها،

[1] كلّ ما صعُب استخراجه فهو عويص. (المقوّم الّلغويّ).

ومرتبةَ المَاءِ وزيادَتَهُ على النَّارِ بإطفائِهِ ومضادَّتِهُ لها وأنَّهُ أصلٌ لكلِّ شيْءٍ ومبدأٌ لكلِّ تمام).

قلْتُ: وتولَّدَت مِنَ القولِ بالظُّلمَةِ والنُّورِ وانتشَارِهِ في بلادِ الفُرْسِ وبقائِه فيها على كرُورِ العصرِ... تولَّدَت بعدَ ردحٍ مِنَ الدَّهرِ المَثنَويَّةُ الذَّاهبَةُ إلى أنَّ **فاعلَ الخيرِ هو نورٌ وفاعلَ الشَّرِّ هو ظُلمَةٌ، وهما قديمَانِ قديرَانِ قويَّانِ متضَادَّانِ**. وقدْ بقيَ مِنَ المجُوسِيَّةِ والمثنَويَّةِ عندَ الصَّابِئَةِ الحَاليِّينَ تعظيمُهُم للنَّارِ والرَّعدِ والبرْقِ والشُّهُبِ والنَّيازِكِ وسائرِ الظَّاهِراتِ الجوِّيَّةِ.

ـ الماءُ عندَ الصَّابئَة:

وكذلكَ **يعظِّمُونَ الماءَ** تعظِيماً يكادُ يكونُ عبادَةً إذ ليسَ مِنْ سنَّةٍ مِنْ سَنَنِهِم إلَّا مِنَ اللَّازِمِ اللَّازِبِ أنْ يكونَ فيها المَاءُ والنَّارُ.[1] وإلّا تُمتَنَعُ إقامَةُ تلكَ السُّنَنِ والشَّعائرِ الدِّينِيَّةِ، ولهذا تراهُم لا يقيمُونَ إلَّا في بلادٍ مبنِيَّةٍ على الأنْهارِ ليتيسَّرَ الحصولُ لهم على المَاءِ.

ومِنْ بقايا عبَادَةِ الأوثَانِ عندَ الصَّابِئَةِ الحاليِّينَ استعمَالُ جُمَلٍ في السِّحرِ ومعالَجَةِ المرضَى وطردِ الشَّياطِينِ على الطَّريقَةِ المعهودَةِ عندَ قدامَى الكِلدَانِ، وهِيَ التِي عَثَرَ عليها علمَاءُ الآثارِ في هذهِ الأزمَانِ.[2]

---

[1] اللَّازِبُ الثَّابِتُ الأكيد تقول: صار الشّيءُ ضَرْبَةَ لازِبٍ أي لا غنى عنه. (المقوّم اللّغويّ).

[2] راجع لنورمان كتاب: (تاريخ الشّرق القديم) Lenor mant- Hist.anc.de l'orient.V,p. 151,154,224 ولولا ضيق المقام لأوردنا كلامه معرّبا. وعند هذا العاجز قديم وُجد في جوار شطرة المنتفق به عبارات وعزائم تشبه العزائم السّحريّة الكلدانيّة القديمة على ما ذكرها العلّامة لنورمان في كتابه الآخر المُترجَم بـ (السّحر عند الكلدان).

وممَّا حفظُوا مِنْ عقائدِ قدامَى الكِلدَانِ **كيفِيَّةَ تولُّدِ الآلهَةِ وكيفِيَّةَ خلقِ الإنسَانِ الأوَّلِ**. فإنَّ كتَابَ الصَّابِئَةِ الموسومَ باسمِ (سدرا ربا) أي (الكتابُ العظِيمُ) يقولُ عينَ مقالِ أولئكَ الكِلدَانِ القدامَى.[1]

ومَنْ تلكَ البقايا الوثنِيَّةِ الكِلدانِيَّةِ عبَادَةُ الصَّابِئَةِ مِنَ الفرقَةِ الحرَّانِيَّةِ للقمَرِ، فإنَّهُم بقَوْا عاكفِينَ على تلكَ العبَادَةِ إلى نحوِ غرَّةِ القرنِ التَّاسعَ عشرَ. وكانَت الصَّابِئَةُ الحرَّانِيَّةُ تسمِّي هيكلَ القمرِ هناكَ: (هيكلَ سينٍ) كمَا هو اسمُهُ عندَ قدامَى اليونَانِ. وقدْ جاءَ في التَّاريخِ: أنَّ "ما قرينس" الإمبراطورَ الرُّومَانِيَّ قُتِلَ في ذهابِهِ إلى (هيكلِ سينٍ) في حرَّانَ ليقرِّبَ قربَاناً مشهُوداً؛ وقدْ جاءَ عنْ يوليانوسَ المارقِ: أنَّهُ لمَّا وصلَ إلى حرَّانَ وأرادَ الخرُوجَ منها نكَسَ رأسَهُ سَاجِداً لآلهةِ الحرَّانيِّينَ فسقطَ تاجُهُ عنْ رأسِهِ وصُرِعَ تحت فرسِهِ.[2]

وقدْ ذكرَ العربُ هيكلَ سينٍ في كلامِهِم عنْ الصَّابِئَةِ الحرَّانِيَّةِ ونجتزِئُ بذكرَ كلامِ واحدٍ منهُم.

قالَ المسعودِيُّ في مروجِ الذَّهبِ: (وقدْ حكَى رجلٌ مِنْ ملكِيَّةِ النَّصَارَى مِنْ أهلِ حرَّانَ يُعرفُ بالحارثِ بنِ سنبساطَ للصَّابئَةِ الحرَّانيِّينَ أشياءَ ذكرَهَا مِنْ قرابِينَ يقرِّبونَهَا مِنَ الحيوانِ ودُخَانٍ للكواكبِ يبخِّرُونَ بها، وغيرِ ذلكَ ممَّا امتنعْنَا عنْ ذكرِهِ مخافَةَ التَّطويلِ. والذِي بقِيَ مِنْ هياكِلِهِم المُعظَّمَةِ في هذا الوقتِ وهو سنةُ (٣٣٢هـ.٩٤٣م) بيتٌ لهُم بمدينَةِ حرَّانَ في بابِ الرَّقَّةِ يُعرفُ بـ "مصلينا" (كذا في النُّسخَةِ المطبوعةِ في مصرَ) وفي مخطوطٍ (بمينسِينا) وهو الأصحُّ عندِي. لأنَّ ذلكَ الهيكلَ كانَ يسمِّيهِ اليونَانُ: (هيكل مين.Min) وهو

---

[1] راجع كتاب الشّرق القديم للعلّامة المذكور ص ٢٩٣-٢٤٠.
[2] (ابن العبري: تاريخ مُختصر الدّول. طبعة الأب صالحانيّ اليسوعيّ ص ١٣٩)

الإلهُ القمرُ عندَ يونانَ حرَّانَ وفريجِيّةَ في ذلكَ العهدِ. و (سين) هو اسمُهُ بالُّلغةِ الكِلدانِيَّةِ القديمَةِ، فكأنَّ المسعُوديَّ سمعَ باسمِ ذلكَ الهيكلِ باليونانِيَّةِ مفسَّراً بِردْفِهِ[1] بالكلدانِيَّةِ، أو بالكلدانِيَّةِ مُفسَّراً باليونانِيَّةِ فظنَّهُ اسماً مركَّباً ثمَّ صحَّفَهُ الكُتَّابُ لعُجْمَةِ الكلمَةِ، وهو هيكلُ آزرَ أبي إبراهيمَ الخليلِ).

ومِنَ الآثارِ الوثنِيَّةِ الكِلدانِيَّةِ أو الآشُورِيَّةِ عندَ الصَّابِئَةِ الحاليِّينَ أسماءٌ مُركَّبَةٌ مِنْ كلمتَيْنِ، أُولاهُما اسمٌ أو فعلٌ وثانيهما اسمُ الجلالَةِ: (إيلُ). وأوَّلُ مَنْ أحدَثَ هذا البنَاءَ الكِلدانِيُّونَ الصَّابئُونَ وأخذَها الإسرائيلِيُّونَ عنهُم، وقدْ بيَّنَت مُكتَشَفَاتُ هذهِ الأيَّامِ صحَّةَ هذا الرَّأيِ.

- أسمَاءٌ كِلدانِيَّةٌ:

ومِنْ تلكَ الأسمَاءِ الكِلدانِيَّةِ القدِيمَةِ: (سين إيلو) أي الإلهُ المعرُوفُ باسم "سين" (القمرُ هو إلهِيٌّ) ومُحصَّلُهُ: (إلهِي هو سينُ) و (بعلُ إيلو) أي (بعلُ إلهِي) و (أربع إيلو) وهو اسمُ أربيلَ الحاليَّةِ. و (أربيلُ) منحوتَةٌ مِنْ تلكَ، ومعناها: مدينةُ الآلهةِ الأربعَةِ،[2] و (شمولا إيلو) أي (أنا أحبُّ إيلو

[1] بردفِهِ: بالذي يليه. (المقوّم اللّغويّ).

[2] سأل سائل الضّياء يوماً (١:٣٣٧) أن يفيده: (عن الصّحيح من قولهم جاء الثّلاثة الرّجال وجاء الثّلاثة رجال) فأجاب: (الصّحيح المثال الأوّل وأمّا الثّاني فمع أنّه من التّراكيب المهجورة فصحّته أن تنصب الرّجال (كذا) فتقول: جاء الثّلاثة رجالا وكذا المئة رجلا والألف رجلا لأنّه مع تعريف اسم العدد تمتنع الإضافة فلا يبقى إلّا النّصب على التّمييز) (كذا غير أنّنا قرأنا في شرح "درة الغوّاص" للآلوسيّ المُترجم بـ "كشف الطرّة عن الغرّة". ما نصّه (ص ٩٨) (ويدخلون أل على العدد المُفرد ومعدوده مع إضافته إليه) كما فعل الضّياء مرارا عديدة، فيقولون: ما فعلت الثّالثة الأثواب؟. مثلا: (والاختيار أن يُعرّف الأخير من كل عدد مضاف فيُقال: ما فعلت ثلاثة الأثواب. وفيم الثّلاثمئة؟ وعليه قول ذي الرّمة:

وهل يرجع التّسليم أو يكشف العمى ... ثلاثُ الأثافي والدّيارُ البلاقعُ=

هنا) و (أبل إيلو) أي (أنتَ ابنُ أيلو) و (أبو إيلو) أي (أبوك هو إيلو) و (مَنُّو إيلو) المنحوتةُ مِنْ (مَنُّو كِم إيلو) أي (مِنْ مِثْلِ إيلو) فنقلَ العبرانيُّونَ هذا الَّلفظَ والمعنَى فقالُوا: (ميكائيل) المُركَّبَةَ مِنْ: (مي ك إيلو) أي: (مِنْ مثلِ اللهِ) و (بظلِّ إيلو) أي (أنا بظِلِّ إيلو) و (يوسف إيلو) وأصلُها: (أبل يوسف أيلو) أي (ابن زاده إيلو). **وقدْ نقلَ الصَّابِئَةُ الحاليُّونَ هذا التَّركيبَ إلى أسماءِ رَوحَانِيِّيهِم الذِينَ في السَّماءِ لِمَا في اسم (إيل) أو (إيلو) مِنَ العظمَةِ والجلالَةِ والرُّبوبِيَّةِ،** فقالُوا مثلاً: (هيويل) وهو قَلْبٌ وتصحِيفٌ للكلمةِ (قوة) ومعنَاه: (الرَّوحَانِيُّ القويُّ) أو (قوَّةُ اللهِ) أو (إيلُ القويُّ) و (مركازيل) أي (إيل) أو (الرَّوحَانِيُّ المُغتَاظُ) و (أزازيل) أي (الرَّوحَانِيُّ العزيزُ أو القويُّ) و (تقفيلُ) أي (الرَّوحَانِيُّ القديرُ) و (يونيل) أي (الرَّوحَانِيُّ المريدُ) إلى غيرِ ذلكَ ممَّا يطولُ ذِكْرُهُ ويصعُبُ حصرُهُ.

= ظاهر قوله: (والاختيار) أنّ ذاك ليس بممنوع. وفي التّسهيل: (إذا قُصد تعريف العدد أُدخل تعريفه على الآخر إن كان مضافا وعليهما (شذوذا لا قياسا) خلافا للكوفيّين. وهل يصحّ أن يُقال: الألف درهم بتعريف المضاف فقط. حكى ابن عصفور جوازه. ووقع في صحيح البخاريّ: وأتى بالألف دينار. والمانع لما ذكره المصنّف قياسه على (الحسن وجهٍ) والفرق واضح. قلت: وعلى كلّ فإن الشّيخ صاحب الضّياء ربّما صوّب سهمه إلى الأصح من كلام العرب فلا يجوز له (وإن كان يجوز لغيره) أن يتشبّث بأذيال الصّحيح (إن سمّيت ما مرّ بك صحيحا) ويترك مطارف الأصح المشهور المتبوع.

ـ توثيقُ ابنِ العبرِيِّ:[1]

للهِ درُّ ابنِ العبرِيِّ ما أَحْسَنَ قولَهُ في هذا الصَّدَدِ وقدْ ذكَرَ ما ذكَرَ كأنَّهُ رأَى الأمُورَ أمسِ و روَاها اليومَ! إذ قالَ في الصَّفحةِ ٢٦٦: والذِي تحقَّقْنَا مِنْ مذهَبِ الصَّابِئَةِ أنَّ دعوتَهُم هي دعوةُ الكِلدانِيِّينَ القدامَى (بعينِها) وقبلتُهُم القطبُ الشِّماليُّ (إلى يومِنَا هذا) ولزمُوا فضَائلَ النَّفسِ الأربعَ (حتَّى هذا اليومِ) و(**المُفتَرَضُ) عليهِم (ثلاثُ) صلَواتٍ في اليوم**، أوَّلُها قبلَ طلوعِ الشَّمسِ بنصفِ ساعَةٍ أو أقلَّ لتنقضِيَ معَ الطُّلوعِ، وهِيَ ثمانُ ركعَاتٍ، في كلِّ ركعَةٍ ثلاثُ سجدَاتٍ. والثَّانِيَةُ: انقضَاؤُها معَ نصفِ النَّهارِ والزَّوالِ، وهِيَ خمسُ ركعَاتٍ في كلِّ ركعَةٍ ثلاثُ سجدَاتٍ. والثَّالثةُ مثلُ الثَّانِيةِ وتنقضِي معَ الغرُوب (وهذا كلُّهُ جارٍ إلى هذا اليومِ بحرفِهِ). **والصِّيامُ المفروضُ عليهِم: ثلاثُونَ يومَاً من السَّنةِ،** أوَّلُها الثَّامِنُ من اجتمَاعِ آذارَ، وتسعَةُ أيَّامٍ أوَّلُها التَّاسعُ مِنْ اجتمَاعِ كانُونِ الأوَّلِ، وسبعةُ أيَّامٍ أوَّلُها ثامِنُ شباطَ (لمْ يغيِّرُوا مِنْ ذلكَ شيئاً إلى هذا اليومِ). ويدْعُونَ الكواكبَ (هذا أمرٌ لا يشوبُهُ ريبٌ) **وقرابِينُهُم كثِيرَةٌ لا يأكلُونَ منْها بل يحرقُونَها.** (كلُّ ذلكَ صحيحٌ). ولا يأكلُونَ الباقلَّاء والثُّومَ وبعضُهُم لا يأكلُونَ

---

[1] ابن العبريّ: غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطيّ. المعروف بـ ابن العبريّ. ويُعرف في أوروبّا باسمه اللّاتينيّ "Bar-Hebraeus" هو لاهوتيّ وفيلسوف وعالم سرياني ولد عام (١٢٢٦م) في مدينة ملاطية، ولقّب بابن العبريّ لأنّ جدّه أو والده قدم من قرية (عبرى) الواقعة قرب نهر الفرات، بينما يذهب بعضهم للاعتقادِ بأنّه عبرانيّ يهوديّ الأصل، ولكنّ ابن العبريّ نفسه ينفي ذلك.

انتقل عام (١٢٤٣م) مع أسرته إلى أنطاكيّة ومن ثمّ إلى طرابلس الشّام، ودرس هناك الطّبّ وعلم المنطق، كما أنّه درس لغات عديدة فألمّ بالسّريانيّة والعربيّة والأرمنيّة والفارسيّة. نال عام (١٢٤٦م) رسامته الكهنوتيّة على يد بطريرك الكنيسة السّريانيّة الأرثوذكسيّة آنذاك اغناطيوس داود الثّاني ثمّ أصبح أسقفا لبلدة جوباس، وهو شابّ يافع في العشرين من العمر. ثمّ أسقفا لبلدة لاقبين، وبعد خمس سنين نُصّب مطرانا على حلب. (المقوّم اللّغويّ).

الُّلوبياءَ والقُنبيطَ والكرنبَ والعدسَ (هذا قد أبطَلَهُ المُحْدَثُونَ لإقامةِ الصَّابئَةِ الحالِيِّنَ في بلادٍ ليسَ لهُم فيها طعامٌ آخرُ سوى هذا القطَانِيِّ). **وأقوالهُم قريبَةٌ مِنْ أقوالِ الحكماءِ ومقالاتهُم في التَّوحِيدِ على غايةٍ مِنَ التِّقانَةِ، ويزعُمُونَ أنَّ نفْسَ الفاسِقِ تُعذَّبُ تسعةَ آلافِ دَوْرٍ ثمَّ تصيرُ إلى رحمَةِ اللهِ تعَالى.** (وهذا هو ذاتُ مُعتَقَدِهِم إلى هذا اليومِ).

الفصلُ الثالث

طورُ إدخالِ آراءٍ نصرانيّةٍ فيها أو الطّورُ الأخيرُ

لَمَّا فسدَت الأديَانُ، وبلغَت هذا المبلغَ مِنَ الضَّلالِ والطُّغيانِ، عمَّت الصَّابئِيَّةُ بفَرْعَيْهَا الوثنِيَّةِ والمجوسِيَّةِ جميعَ البلدَانِ وعمُومَ سلالاتِ الإنسَانِ، وبقيَت محافِظَةً على ذاكَ المُعتَقَدِ أو الإيمَانِ مدَّةً مديدَةً مِنَ الزَّمانِ؛ لا، بل وبقِيَ منها مَنْ حافظَ عليه حتَّى الآنَ.

أمَّا الصَّابِئَةُ التِي بقيَت منحصِرَةً فيمَا نسمِّيهِ اليومَ ببلادِ العربِ وجنُوبِ تركية آسيَةَ ووسطِها، فإنَّها لا زالَت متوغِّلةً في عقائِدِهَا مجدِّدَةً آراءَها على الدَّوامِ على أثرِ ما ينبغُ على طولِ الأيَّامِ مِنَ المذاهِبِ الدِّينِيَّةِ والتَّعاليمِ الفلسفيَّةِ.

- التَّأثُّرُ بالغَيرِ:

ولَمَّا كانَت الصَّابئِيَّةُ ليسَ بيدِها كتابٌ مُنْزَلٌ تعتمِدُ عليه أو سندٍ تستنِدُ إليه، وأنْ لا منَاصَ لها مِنْ مخالطَةِ الأقوامِ التِي تحيطُ بها إحاطَةَ السِّوارِ بالمعصَمِ؛ اندفعَت وراءَ تلكَ الآراءِ كأنَّ وراءَها السَّيْلَ الجارفَ! وهكَذا (فرَّارَةٌ تسفَّهَت قرَّارَةً)[1] حتَّى آلَ بها الأمرُ إلى ما آلَ، أمَّا الأجيالُ الصَّابئِيَّةُ التِي شطَّ مزارُها، واعتزلَت الأممَ غريبَةَ الجنسِ، فإنَّها بقيَت حذِرَةً حذَرَ

(1) قرّارة تسفّهت قرّارة. مثل يُضرب للرّجلِ يتكلّم في القوم بالخطأ فيوافقونه على ذلك ويتابعونه. قال الأصمعيّ: القرار والقرارة: النّقد وهو ضرب من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه. وهذا مثل قولهم: نزو الفرّار استجهل الفرّار. وقال المنذريّ: فرّارة بالفاء قال: وهى البهمة تنفر إلى أمّها فيتبعها الغنم. (المقوّم الّلغويّ).

القَرْلَى مِنَ البدعِ والمُبتَدَعَاتِ.[1] ناظرَةً إليها نظرَها إلى شرٍّ عظِيمٍ وضرٍّ جسيمٍ، حتَّى ثبتَت في وثنيَّتِها أو مجوسيَّتِها إلى يومِنَا هذا.

ـ المُصطَفَى أبرامُ "إبراهِيمُ":

ولمَّا رأى اللهُ عزَّ شأنُهُ ما وصلَ إليه ابنُ آدمَ مِنَ التِّيهِ والضَّلالِ، ولمْ يَسْلَمْ مِنَ الغوايَةِ جيلٌ مِنَ الأجيَالِ، أرادَ أنْ يصطفِيَ مِنْ بينِ الأممِ أمَّةً يقيها مِنَ التُّهَم، لتبقَى محافظَةً على عبادَةِ اللهِ الصَّمَدِ الواحِدِ الأحَدِ، وهو مِنْ عندِهِ يمدُّها بعونِهِ ويرَاها بعينِهِ، وندبَ لأنْ يكونَ رئيسَها الهُمَامَ وإمَامَها المِقدَامَ ذاكَ الرَّجُلُ العظِيمُ المعرُوفُ يومَئِذٍ باسمِ "أبرام"[2] فقالَ له: **(اخرُجْ مِنْ**

[1] القرلى أو الرّفراف أو القاوند أو صائد السّمك. طير مائيّ شديد الحذر، وهو أسرع طائر صيّاد، يستوطن مناطق شرق الخليج العربيّ. الفارسيّ وجنوب العراق، يبني أعشاشه في الجحور وأشجار النّخيل. (المقوّم اللّغويّ).

[2] هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل بن تارح بن ناحور. ومعنى أبرام الأب الرّفيع، أو الأب المُكرّم، ولمّا نزل عليه الوحي سمّاه الله إبراهيم أي أبو رهام، أي أبو جمهور كبير. وُلد ولأبيه سبعون سنة، وذلك في أور كلدان جنوب العراق نحو سنة (١٩٠٠ق.م) وقد اكتُشفت في بابل آثار ونقوش ترجع إلى ذلك العصر، ووُجد عليها اسم إبراهيم في هذه الصّيغ: أبرامو. أبرام. أبمراما.

تزوّج إبراهيم من ثلاث نساء، هنّ: سارة أخته لأبيه (ولم يكن هذا الزّواج مُحرّما) وهاجر. وكانت هاجر جارية زوجته سارة، وقد بقيت سارة عشر سنين بعد زواج إبراهيم منها لا تنجب، وقد كان العرف في ذلك الوقت يقضي بأنّ من العار ألّا تحمل المرأة، وأنّ على المرأة العقيم أو التي تأخّر حملها أن تقدّم لزوجها جارية من جواريها كزوجة، فإذا حملت وولدت نُسب الولد إلى السّيّدة التي قدّمت الجارية لا إلى أمّه الجارية، وقد أنجبت هاجر إسماعيل، غير أنّ سطوة العرف جعلت إبراهيم يلحّ في الدّعاء والطّلب من الله أن يرزقه ولدا من امرأته الحرّة، حيث أنجبت سارة إسحاق، وبعد موتها تزوّج إبراهيم قطورة وأنجبت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا، ولم يكن من أولاد إبراهيم أنبياء إلّا إسماعيل وإسحاق، ومن ذريّتهما كان كلّ الأنبياء والرّسل.

كان لإبراهيم تجربتان في الدّعوة إلى التّوحيد، وقد أوصلته الأولى إلى حقيقة مهمّة هي أنّ العنف لا يولّد إلّا العنف ولا يأتي إلّا بالنتائج السّيّئة على كل صعيد، فقد وقف في وجه قومه وعقيدتهم وحطّم أوثانهم وكسّرها تحت دافع الحماس والفتوّة، وذلك بعد أن جرت بينه وبينهم=

=مجادلات وحوارات مُطوّلة أورد القرآن جزءاً منها، وكيف أنّ الطّريقة العنيفة التي اتّبعها إبراهيم بتكسير أصنامهم قد انتهت بمحاولتهم إحراقه في نار عظيمة أوقدوها، غير أنّ الله نجّاه منها بمعجزة.

عاصر إبراهيم الملك (نمرود) الذي كان مسيطرا على جنوب العراق، وبعد فشل التّجربة الأولى في عصر النّمرود قرّر إبراهيم الهجرة إلى فلسطين، غير أنّه لم يسلك في خروجه إليها الطّريق عبر الصّحراء، وأغلب الظّنّ أنّ السّبب في ذلك تجنّب أخطارها، حيث سلك الطّريق المحاذية لنهر الفرات نحو الشّمال يرافقه ابن أخيه النّبيّ لوط عليه السّلام حيث اتّجها نحو حاران (حرّان) الواقعة إلى الشّمال من وسط الحدود السّوريّة التّركيّة، واستقرّا فيها مدّة. ويذكر العهد القديم أنّ أبا إبراهيم رافقه في خروجه إلى حاران. وهناك كانت التّجربة الثّانية، وكانت سلميّة خالصة، ومع ذلك كان العناد الصّفة الأبرز لقومه هناك.

بعد أن لم يجد إبراهيم ثمرة في حاران، على الرّغم من الطّريقة السّلميّة التي اتّبعها، هاجر إلى (أرض كنعان) فلسطين، وأقام في مدينة نابلس وقد صحبه كذلك في رحلته النّبيّ لوط عليه السّلام.

لمّا حدث القحط المشهور ذهب إبراهيم إلى مصر، مصطحباً معه زوجته وجاريتها هاجر، وقد اضطرّ حينها لأن يقول لفرعون: إنّ سارة أخته. وذلك خوفاً على حياته. والذي يبدو هو أنّ كلّ ما فعله إبراهيم ممّا مرّ، فإنّما كان باجتهاد منه لا بوحي، إذ إنّه بعد عودته من مصر نزل عليه الوحي، وقد لقي من فرعون في مصر كلّ تكريم و قدّم له عطاء جزيلا من الأغنام والأبقار وسائر الأنعام والعبيد.

في مرحلة لاحقة أوحى الله إليه أن يأخذ زوجته هاجر وابنها إسماعيل إلى صحراء الحجاز في موقع مكّة اليوم ويتركهما هناك، وفي الحديث أنّ هاجر سألته: آلله أمرك بهذا؟! فأشار برأسه: نعم، فقالت: إذن فلن يضيّعنا. ثمّ عاد إلى فلسطين.

يذكر العهد القديم أنّ ما حدث كان بأمر من زوجته سارة له بدافع الغيرة الذي يكون بين الضّرائر!! وأنّ الله أمره أن يطيع زوجته سارة فيما تأمره به، وذلك بعد نزاع حدث بين ابنها إسحاق وبين إسماعيل ابن جاريتها وضرّتها هاجر.

يقول سِفر التّكوين في ذلك: (ورأت سارة آنئذ ابن هاجر المصريّة الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحاق، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها فإنّ ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحاق، فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه، فقال الله له: لا يسوء في نفسك أمر الصّبيّ أو أمر جاريتك، واسمع لكلام سارة في كلّ ما تشير به عليك... فنهض إبراهيم في الصّباح الباكر، وأخذ خبزا وقربة ماء ودفعهما إلى هاجر ووضعهما على كتفيها ثمّ صرفها مع الصّبيّ، فهامت على وجهها في بريّة بئر سبع). سِفر التّكوين (٢١ :٩.١٤).

أمر الله إبراهيم بذبح ولده، ولم يحدّد القرآن عند المسلمين من هو الولد المقصود، إسماعيل أم إسحاق، وينصّ العهد القديم على أنّ المقصود هو إسحاق. وإلى ما ذكره العهد القديم ذهب بعض من المفسّرين المسلمين، منهم ابن عبّاس في إحدى روايتيه، ونسبه القرطبيّ إلى الأكثرين، وغيره إلى عكرمة وسعيد بن جبير، وغيرهم، وجزم به القاضي عياض في الشّفاء.=

أرضِكَ "أي أورُ الكِلدانيِّينَ" وعشيرتِكَ وبيتِ أبيكَ إلى الأرضِ التِي أُرِيْكَهَا،[1] **وأنا أجعلُكَ أمَّةً كبيرَةً وأباركُكَ وأعظِّمُ اسمَكَ.** فخرَجَ (ومَنْ معه) مِنْ أورِ الكِلدانيِّينَ ليذهبُوا إلى أرضِ كنعَانَ فجاءُوا حرَّانَ وأقامُوا هناكَ؛ وكانَ أبرامُ ابنَ خمسٍ وسبعينَ سنةً حينَ خرجَ مِنْ حرَّانَ.[2]

ومنذُ اصطفَى اللهُ أبرامَ أخذَت الصَّابِئَةُ بالتَّزَعْزُعِ.

والمأثورُ عنْ الخليلِ أنَّهُ وقعَت له مُجادَلاتٌ كثيرَةٌ بينَهُ وبينَ أبناءِ جلدَتِهِ مِنَ الصَّابِئَةِ الكِلدانِ، حتَّى إنَّ هؤلاءِ زَجُّوهُ مرَّةً في النَّارِ **فجعلَها اللهُ** عليه بردَاً وسلامَاً. **وهذا الرَّأيُ هو رأيُ العربِ بأسْرِهِم مِنْ نصَارَى ومسلِمِينَ،**[3] **وهو رأيُ اليهودِ أيضاً**، ورأيُ القدِّيسِ "هيرونيموس" في

= لإبراهيم عليه السّلام أخوان شقيقان هما ناحور وهاران، والاسم ناحور ساميّ و معناه: متثاقل الأنفاس، وقد تزوّج ناحور من ابنة أخيه هاران، حيث لم يكن مُحرّما هذا الزّواج بعد، وبقي ناحور في أور كلدان ولم يصحب إبراهيم إلى حاران، وإنّما لحقهم فيها بعد، غير أنّه قبل وصوله، كان إبراهيم قد ذهب ولوط إلى فلسطين، وفي حاران تزوّج ناحور امرأة اسمها ملكة وأنجبت له ثمانية أبناء أصبحوا فيها بعد أجداد القبائل الآراميّة. وبالقرب من حاران مدينة باسمه.

واسم هاران قريب من اللّفظ /هارا/ وهو اسم آراميّ معناه جبل. وله ولد وبنتان هم النّبيّ لوط وأختاه ملكة و يسكة، ولم يهاجر هاران مع إبراهيم.

تُوفّي إبراهيم في فلسطين، عن مئة وخمس وسبعين سنة ودُفن في مغارة المكفيلة في مدينة الخليل، وقيل إنّه دُفن في دمشق، وله فيها مقام مشهور. انظر أطلس القرآن الكريم المجلّد الأوّل مادّة (الأنبياء. إبراهيم). لمحمّد وليد فليون. (المقوّم اللّغويّ).

[1] نصّ سفر التّكوين على أنّ هذا كان وعدا من الله لإبراهيم فهو أنّه لمّا مرّ إبراهيم بأرض الكنعانيّين ظهر له الرّبّ وقال له: (لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ) وجاء فيه أيضاً: (فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيْثَاقاً قائلاً: لِنَسْلِكَ أَعْطِيْ هذِهِ الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلى النَّهْرِ الكَبِيْرِ نَهْرَ الفُرَاتِ).(سِفر التّكوين ١٥/١٨). (المقوّم اللّغويّ).

[2] (سِفر التّكوين ١٢:١ و ١١:٣١).

[3] في القرآن (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ). سورة الأنبياء (٦٨ . ٧٠). (المقوّم اللّغويّ).

تفسيرِهِ لسفرِ التَّكوينِ (Trad.Heb.in Gen) لا بل إنَّ نسخةَ التَّوراةِ اللَّاتينِيَّةَ المعرُوفةَ باسمِ "الفلكاتا" أي العامِّيَّةُ؛ تشيرُ إلى ذلكَ مِنْ طرْفٍ خفِيٍّ فإنَّها تقولُ مانصَّهُ:

Tu.Domine… qui…eduxisti eum (Abram) de igne Chaldaeorum, Neh.IXM7.

ومعنَاهُ: أنتَ الرَّبُّ الإلهُ الذِي أخرجْتَهُ (أي أبرام) مِنْ نارِ الكِلدانيِّينَ.

أمَّا ترجمَةُ الآباءِ اليسوعيِّينَ فقدْ أعرَبَت الآيةُ عنْ أصلِها العبرانِيِّ فقالَت: (مِنْ أورِ الكِلدانيِّينَ) وسببُ هذا الفرقِ في الاستخرَاجِ أنَّ اسمَ النَّارِ واسمَ المدينةِ في الكِلدانِيَّةِ أي أورُ هما واحدٌ بالعبريَّةِ.

والظَّاهرُ مِنَ التَّنزيلِ الجليلِ، أنَّ إبراهيمَ الخليلَ هدَى إلى اللهِ قوماً مِنَ الصَّابِئَةِ إلى الدِّينِ القويمِ، وممَّا يثبِتُ كلامَنا هذا آيةُ التَّوراةِ القائلَةُ: فأخذَ أبرامُ النُّفوسَ التِي امتلكَها في حرّانَ وخرجُوا ليمضُوا إلى أرضِ كنعانَ.[1]

[1] (سِفر التَّكوينِ ١٢:٥). ولابدّ من سائل يسألنا هنا: هل عبد أبونا إبراهيم الأصنام والكواكب في صغره؟. قلنا: الأمر مشكوك فيه، والقول بأنّه عبدها ثمّ عدل عنها لا لوم فيه ولا تثريب. بل الأدلّة متضافرة على أنّه كان صابئاً ثمّ حنف. وفي قوله تعالى لأبرام: (اخرج من بيت أبيك) إشارة إلى ما في بيت أبيه من عبادة الأصنام. ولابد من أنّ الأب أجبر ابنه غير مرّة على إقامة شعائر تلك العبادة ليعوّده عليها منذ نعومة أظفاره. ومثل هذه الإشارة أيضاً ما جاء في سفر يشوع (٢٤:٢) وفي سفر نحميا (٩:٧) وفي سفر اشعيا (٤٣:٣٧). وممّا يثبت هذا الرّأي تلقب العرب لإبراهيم الخليل بالحنيف وهي كلمةٌ شائعة في اللّغات السّاميّة مُشتقّة من فعل חנפ العبرانيّة ومعناه: لوّث ودنّس الشّيء.. ومنه: وثّنه. لأنّ الوثنيّة في المُعتقَد ومثله في الآراميّة ܚܢܦܐ أي وثنيّ. وكذلك كان يجب أن يكون معنى الحنيف أو الحنيفيّ في العربيّة بمعنى الوثنيّ. لكن كيف نُقل المعنى الأصليّ إلى العرفيّ؟ أي الموحّد أو من كان على دين إبراهيم. قلنا: هذا حاصل من أنّ أهل إبراهيم كانوا من عبدة الأصنام ولمّا هدى الله خليله إلى الدّين الحقّ=

ومِمَّا يؤيِّدُ قولَنا هذا:

أوَّلاً: الرِّوايةُ التَّاريخيَّةُ ذاتُها.

ثانِياً: الُّلغاتُ السَّامِيَّةُ جميعُهاً.

ثالِثاً: شرحُ لغويِّي العربِ للفعلِ الذِي اشتقُّوهُ مِنَ المَصْدَرِ "تَحَنُّفٌ" أي (تَحَنَّفَ) فإنَّهُم قالُوا في تفسيرِهِ. على ما نقلَهُ صاحِبُ التَّاجِ: عَمِلَ عَمَلَ الحنيفِيَّةِ. نقلَهُ الجوهرِيُّ: يعنِي شريعةَ إبراهيمَ... لأنَّهُ تجنَّفَ عنْ الأديانِ (الوثنِيَّةِ والمجوسِيَّةِ والصَّابئِيَّةِ) ومالَ إلى الحقِّ.. أو تحنَّفَ اختَتَنَ، كمَا فعلَ ذلكَ إبراهيمُ فكانَ أوَّلَ مَنْ اختتنَ وختنَ، أو اعتزلَ عبادَةَ الأصْنَامِ كمَا اعتزلَهَا الخليلُ، وتعبَّدَ كما تعبَّدَ أبو المؤمنِينَ.[1]

رابعاً: قولُ عربِ الجاهلِيَّةِ هذا المقالَ. وقدْ أوردَ صاحبُ التَّاجِ في مادَّةِ الحنيفِ ما نصُّهُ: قالَ أبو عبيدَةَ: وكانَ عَبَدَةُ الأوثانِ في الجاهلِيَّةِ يقولُونَ: نحنُ حنفاءُ على دينِ إبراهيمَ، فلمَّا جاءَ الإسلامُ سمَّوْا المسلمَ حنيفَاً. وقالَ الأخفشُ: وكانَ في الجاهلِيَّةِ يُقالُ: مَنْ اختتَنَ وحجَّ البيتَ قيلَ له: حنيفٌ، لأنَّ العربَ لمْ تتمسَّكْ في الجاهلِيَّةِ بشيْءٍ مِنْ دينِ إبراهيمَ غيرَ

=فاهتدى، بقي لقبه حنيفاً كما كان قبلاً غير أنّه انتقل مؤدّاه من مجرّد معنى الوثنيّ إلى معنى (الوثنيّ المهتدي) للسّبب المذكور. ولمّا انتقل معنى هذا الّلفظ بانتقال مُعتقد إبراهيم خصّ العرب حينئذ لفظة الوثنيّ بمن بقي على عبادة الأصنام. هذا ما وقع في العربيّة لكثرة ما فيها من الألفاظ ولتمكّن العرب من تعيين معانيها في ذلك الحين لعدم سهولة تقييد معاني ألفاظ الّلغة بالكتابة ولحداثة انفصال هذه الّلغة عن أمّها. وأمّا في سائر الّلغات السّاميّة فقد بقي معنى الحنيف على أصله أي بمعنى النّجس والوثنيّ والكافر. وكذلك في الّلغة الحبشيّة.

[1] في الّلغة العربيّة ثلاثة أفعال على وزن واحد وطِبَاقٍ فيما بينها: يَتَحَنَّفَ، ومصدره التّحنّف أي الاستقامة على الشّريعة، يَتَجَنَّفَ، ومصدره التّجنّف وهو الميل عنها، يَتَحَنَّثُ، ومصدره التّحنّث وهو التّعبّد. (المقوّم الّلغويّ).

الختانِ وحجِّ البيتِ. وقالَ الزَّجَّاجُ: الحنيفُ في الجاهلِيَّةِ مَنْ كانَ يحجُّ البيتَ ويغتسلُ مِنَ الجنابَةِ ويختتِنُ؛ فلمَّا جاءَ الإسلامُ كانَ الحنيفَ المسلمُ لعُدولِهِ عَنْ الشِّركِ.

وقدْ أوردْنا كلَّ ذلكَ عنْ إبراهيمَ الخليلِ ليتبيَّنَ للعاقلِ أنَّ الصَّابِئَةَ لمْ يُدْخِلُوا شيئاً في دينِهِم على عهدِهِ بل اهتدَت طائفَةٌ منهُم على يديهِ، وأخذَت أركانَ مُعتَقَدِهِم بالاهتزازِ، وقدْ أوردَ العربُ تفصيلَ ما دارَ بينَهُ وبينَ مناظرِيْهِ في كلامٍ طويلٍ لا محَلَّ لذِكْرِهِ هنا، وإنْ شئْتَ أنْ تقفَ على شيْءٍ منه فاطلبْهُ في كتابِ (المِللُ والنِّحَلُ) للشَّهرستَانِيِّ.[1]

[1] خصّص القرآن الكريم سورة برأسها باسم إبراهيم وذُكر اسمه في كامل القرآن سبعين مرّة، وأورد مقاطع مُطوّلة من هذه المُناظَرات منها:
(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا به عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ) (سورة الأنبياء الآيات ٥١ ـ ٧٠).
(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). (سورة الأنعام الآيات ٧١ ـ ٧٥). (المقوّم اللّغويّ).

ولـمَّا جاءَ موسَى الكلِيمُ، وسنَّ السُّننَ على سَنَنٍ قويمٍ، ورسمَ رسومَ الذَّبائحِ والقرابينِ، وعيَّنَ المُحلَّلَ والمُحرَّمَ أكلُهُ مِنَ الحيوانَاتِ والطُّيورِ والأسمَاكِ بكلامٍ مبينٍ، وانتشرَ دينُ اليهودِ في المَعْمُورِ، وأُصلِحَت ذاتُ البَيْنِ بينَ الآمرِ والمَأمورِ؛ قويَت شوكتُهُم، وامتدَّت سطوتُهُم؛ وأدخلُوا شيْئاً كثيرَاً مِنَ الشَّعائرِ الدِّينيَّةِ والرُّسومِ الموسَويَّةِ، إمَّا ليُعَمُّوا على الأغرَارِ بقاءَهَم على عبَادَةِ الكواكبِ والأوثَانِ، وإمَّا تظاهُرَاً باليهودِيَّةِ ليُترَكُوا وشأنَهُم على ما هُم عليه مِنَ الطُّغيَانِ. وسوفَ ترَى في محلِّهِ السُّنَنَ التِي اقتبَسُوهَا مِنَ الموسَويَّةِ، ممَّا لا يُبقِي رَيْبَاً في الحقيقَةِ الرَّاهنَةِ التَّاريخِيَّةِ، إلَّا أنَّهُم لمْ يقبلُوا قيدَاً مِنْ تلكَ القيُودِ، وهو الختَانُ المُعتَبَرُ علامَةً مميَّزَةً لليهودِ، وعندَهُم مَنْ يُختنُ يتهوَّدُ فيُلعنُ، فلهذا لا يكرهُونَ الختَانَ فقطُ، بل يكرهُونَ أعظَمَ الكراهِيَةِ كلَّ دينٍ مِنَ الأديَانِ أُدخلَت فيه هذهِ السُّنَّةُ! ولا يخالطون المعذورَ إلَّا بكلِّ انتبَاهٍ وفطنَةٍ، وإذا كلَّمُوهُ يغتسلُونَ بعدَ ذلكَ، لأنَّهُم يعتبرُونَ مُخَاطبَتَهُ جنابةً، بل مِنْ أعظمِ المهَالكِ.

وإنَّمَا لم نعيِّنْ لأطوارِ الصَّابِئَةِ طورَ اقتباسِهِم السُّنَنَ الموسَويَّةَ لأنَّ هذهِ القربَاتِ داخلَةٌ في إقامَةِ الشَّعائرِ ولا تمسُّ المُعتقَدَ بشَيْءٍ، وأنَّنا قسمْنَا تلكَ الأقسَامَ الكبرَى مِنْ جهَةِ المُعتقَدِ لا مِنْ جهةِ المناسِكِ، إذ لو أردْنا أنْ نلتفِتَ إلى إدخَالِ الشَّعائرِ لاتَّسَعَ علينا الخرْقُ وامتنَعَ الرَّتْقُ.

وبقيَت الأممُ منقسِمَةً إلى تلكَ الأقسَامِ العظمَى في الدِّينِ، حتَّى جاءَ عصرُ فلاسفَةِ اليونَانِ، فامتدَّت مذاهبُهُم بامتدادِ سطوَةِ ملوكِهِم، فأدخَلَ الصَّابِئَةُ أيضَاً شيئاً كثيرَاً منها. ومن أخصِّ الأسبابِ التِي حملتْهُم على

التَّهافتِ عليها تهافُتَ الفراشِ على السِّراجِ؛ أنَّ تلكَ المذاهبَ هِيَ مِنْ نتائجِ الوثنِيَّةِ أو الصَّابِئِيَّةِ الأُولى ومُوسَّعةٌ ومزيدٌ فيها، فلهذا كانَ دخولُها إليهِم أسرعَ مِنَ النَّارِ في يَبِيْسِ العُرجُونِ.(١)

ـ فِرَقٌ ومذَاهِبُ:

أخذَ شيوخُ الصَّابِئَةِ آراءً مختلفَةً مِنْ مذاهبِ أولئكَ الفلاسفَةِ مِنْ أفلاطُونِيِّينَ وأرسطوطَالِيِّينَ ورَواقِيِّينَ وأبيقراطِيِّينَ وحُلُولِيِّينَ على اختلافِ أصلِهِم مِنْ يونانِيِّينَ ومصرِيِّينَ وسورِيِّينَ،(٢) فنشأَتْ حينَئِذٍ فِرَقٌ عظيمَةٌ في

(١)العرجون. كانت الكلمة في النّسخة الأصليّة لهذهِ المُحاضَراتِ (العرنج) غير أنّي لم أقف لها على معنى!. وأغلب الظّنّ أنّ الصّحيح هو ما أثبتُّه (العُرْجُونُ) وهو: أصل العِذْقِ الذي يَعْوَجُّ وَيُقْطَعُ منه الشَّمَارِيخُ فيبقى على النّخل يابسا. (المقوِّم اللّغويّ).

(٢)الأفلاطينيّون نسبة إلى أفلاطون. والأرسطوطاليّيون نسبة إلى أرسطاليس والرّواقيّون نسبة إلى المدرسة الرّواقيّة وهي مذهب فلسفيّ، يُعدّ واحدا من الفلسفات المستجدة في الحضارة الهلنستيّة، أنشأه الفيلسوف اليوناني زينون السّيوميّ اليونانيّ، وهو يقول: إنّ العالم كلٌّ عضويٌّ، تتخلّله قوّة الله الفاعلة، وإنّ رأس الحكمة معرفة هذا الكلّ، مع التّأكيد على أنّ الإنسان، لا يستطيع أن يلتمَس هذه المعرفة، إلّا إذا كبح جماح عواطفه، وتحرّر من الانفعال. والرّواقيّون يدعون إلى التّناغم مع الطّبيعة، والصّبر على المشاقّ، والأخذ بأهداب الفضيلة، لأنّ الفضيلة هي إرادة الله. بحيث تركّز الفلسفة الرّواقيّة على التّناغم كإطار لفهم طبيعة الأشياء وكأسلوب للتّخلّص من الكدر الذي تسبّبه الأحاسيس. وقد أُطلق عليهم لقب الرّواقيّون لأنّهم عقدوا اجتماعاتهم في الأروقة في مدينة أثينا، حيث نشأت هذه الفلسفة هناك نحو عام (٣٠٠ ق.م) كما أطلق عليهم المسلمون اسم أصحاب المظلّة، وحكماء المظالّ، وأصحاب الأصطوان، نسبة إلى الأسطوانة وهو العمود أو السّارية يجلس المتحدّث فيسند ظهره إليها. والأبوقراطيّون نسبة إلى أبو قراط. والحلوليّون هم القائلون بأنّ الله يحلّ في الأجسام أو يحلّ في جسم مُعيّن. (المقوّم اللّغويّ).

الصَّابئِيَّةِ امتازَت كلُّ فرقةٍ عنْ أختِها بكمِّيَّةِ مُقتبَسِها مِنْ تلكَ الآراءِ أو بمَا قبلَتْهُ منها أو رذلَتْهُ.[1]

إلَّا أنَّ هذهِ الفِرَقَ ـ وإنْ تعدَّدَت شُعَبُها واختلفَت أسماؤُها وألقابُها ـ إلَّا أنَّها ترجعُ إلى أربعِ فِرقٍ كبرَى. وقدْ رأيتُ أفضلَ متكلِّمِي الأشعرِيِّينَ فيها سيفَ الدِّينِ أبا الحسنِ عليَّاً بنَ أبي عليٍّ الآمدِيَّ، فقدْ أحسَنَ تمييزَها، وفاقَ سائرَ كَتَبَةِ العربِ ومؤرِّخِيهِم في وصفِها وإنْعَامِ النَّظَرِ في تدقيقِ البحثِ عنها، وذلكَ في كتابِهِ الجليلِ المُعنونِ بـ **(كتابُ أبكارِ الأفكارِ)** وهو غيرُ مطبوعٍ إلى يومِنا هذا وعزيزُ الوجُودِ! ولهذا أُورِدُ كلامَهُ هنا بتمَامِهِ أوَّلاً إثبَاتاً لدَوْرِ كلامِهِ ومعرفِةً لمَقالِهِ، وثانِياً إقرارَاً بفضلِهِ وعلوِّ مكانِ كمالِهِ.

قالَ ـ وللهِ درُّهُ مِنْ قائلٍ ـ:

ـ الفرقَةُ الأُولى: أصحَابُ الرَّوحانِيَّاتِ.

وقدْ يُقالُ ذلكَ بالرَّفعِ[2] أخْذَاً مِنَ الرُّوحِ، وهوَ جوهرٌ. وقدْ يُقالُ بالنَّصبِ، وهو حالةٌ خاصَّةٌ بهِ. وقدْ زعمَ هؤلاءِ أنَّ أصلَ وجودِ العالَمِ يتقدَّسُ عنْ سماتِ الحَدَثِ،[3] وهو أجَلُّ وأعلَى مِنْ أنْ يُتوصَّلَ إلى جلالِهِ بالعبودِيَّةِ له والخدمَةِ مِنَ السُّفليَّاتِ وذواتِ الأنفُسِ المنغمَسِةِ في عالَمِ الرَّذائلِ والشَّهواتِ، وإنَّمَا يُتقرَّبُ إليه بالمتوسِّطَاتِ بينَهُ وبينَ السُّفلِيَّاتِ،

---

[1] (الرَّذْلُ) الدُّونُ الْخَسِيسُ وَقَدْ (رَذُلَ) مِنْ بَابِ ظَرُفَ فَهُوَ (رَذْلٌ) وَ (رُذَالٌ) بِالضَّمِّ مِنْ قَوْمٍ (رُذُولٍ) وَ (أَرْذَالٍ (وَ (رُذَلَاءَ) وَ (أَرْذَلَهُ) غَيْرُهُ وَ (رَذَلَهُ) أَيْضا فَهُوَ (مَرْذُولٌ) . وَ (رُذَالُ) كُلِّ شَيْءٍ رَدِيئُهُ. (المقوّم اللّغويّ).

[2] أي بضمّ الرّاء (رُوحانيّات).

[3] قلت: وفي نسخة الحدثان.

وهِيَ أمورٌ رَوحَانِيَّةٌ مُقدَّسَةٌ عنْ الموادِّ الجُرمَانِيَّةِ،[١] والقُوَى الجسمَانِيَّةِ، والحركَاتِ المكانِيَّةِ، والتَّغيُّرَاتِ الزَّمانِيَّةِ في جوارِ ربِّ العالمِينَ؛ مجبولُونَ على تقديسِهِ وتمجِيدِهِ وتعظِيمِهِ دائِماً وسرْمَدَاً، وقالُوا: هُم آلهتُنا وأربَابُنَا ورسائِلُنَا[٢] إلى حاجَاتِنَا، وبِهِم يُتَقَرَّبُ إلى اللهِ تعَالى. وهيَ المديرَةُ للكواكِبِ الفلكِيَّةِ، والمُدبِّرَةُ لها على التَّناسُبِ المخصُوصِ؛ بحيْثُ يتبعُها انفعَالاتٌ في العناصِرِ السُّفلِيَّةِ وحركَاتُ بعضِها إلى بعضٍ، وانفصَالُ بعضِها عنْ بعضٍ عندَ الاختِلاطِ والامتِزَاجِ المُفضِي إلى التَّركُّبِ المُوجِبَ لتنوُّعِ المُركَّبَاتِ؛ إلى أنواعِ المعَادنِ والنَّبَاتِ والحيَوانَاتِ، وتصريفِ موجُودَاتِ الأعيَانِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، ومِنْ شَأنٍ إلى شَأنٍ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الآثارِ العلويَّةِ والسُّفلِيَّةِ.

وزعمُوا أنَّ الكواكبَ الفلكِيَّةَ هِيَ هياكِلُ هذهِ الرَّوحَانِيَّاتِ (leseons) وأنَّ نسبَةَ الرَّوحانِيَّاتِ إليها في التَّقديرِ[٣] لها والتَّدويرِ نسبةُ الأنفُسِ الإنسَانِيَّةِ إلى أبدانِها. وأنَّ لكلِّ رَوحانِيٍّ هيكَلاً يخصُّهُ، ولكلِّ هيكلٍ

[١] قلت: الجرمانيّة نسبة إلى الجرم.
[٢] وفي نسخة: ووسائلنا بواو عوض الرّاء.
[٣] وفي نسخة: في التّدبير.

فلَكَاً يكونُ فيه. وزعمُوا أنَّ المُعرِّفَ لهُم هُمَا "غارميونُ[1] وهرمسُ" الَّلذانِ هُمَا أصلُ علمِ الهيئَةِ وصناعَةِ النَّجامَةِ.[2]

ـ أوَّلُ مَنْ قسمَ البروجَ:

هو هرمسُ[3] ووَضَعَ أسماءَها وأسماءَ الكواكِبِ السَّيَّارَةِ، ورتَّبَها في بيوتِها، وبيَّن الشَّرفَ والوبَالَ، والأوجَ والحضِيضَ، والمُناظِرَ والتَّثليثَ، والتَّسديسَ والتَّربيعَ، والمُقابَلَةَ والمُقارَنَةَ، والرُّجوعَ والاستقامَةَ، والمَيْلَ

---

[1] وفي نسخة آخرى: عادميّون، بعين في الأوّل عوضا عن الغين المعجمة وبدال عوضا عن الرّاء. والأصحّ أن يُقال أغاثاديمون. كما جاء في تاريخ الدّول لابن العبريّ في الصّفحة (١٢) من الطّبعة الصّالحانيّة. وقد جاءت هذه الكلمة هكذا: عاذيمون بذال مُعجمة في طبعة كتاب "الملل والنّحل" للشّهرستانيّ المطبوع على الحجر بالمطبعة الثّانة ص (١٥٢) وفي طبعة لندن ص (٣٠٣) أمّا اليوم فيسمّيه الصَّابِئَة ديمون أو ديمانا ([illegible]).

[2] علم الهيئة هو الاسم القديم لعلم الفلك الذي يبحث عن أحوال الأجرام السّماويّة من حيث الكمّيّة والكيفيّة والوضع والحركة الّلازمة لها وما يلزم منها. بعبارة أخرى، هو علم يُبحث فيه عن ظاهرات الأجرام السّماويّة وضوابط حركاتها الظّاهريّة والحقيقيّة ومقاديرها وفواصلها وخواصّها الطّبيعيّة. التّنجيم أو علم النّجوم له مرادفات أخرى منها: النّجامة و التّبريج و التّفلّك، و أشهرها عند العرب الأحكام النّجوميّة، ويُعرف عند الغربيّين باسم الأسطرولوجيا، وهي كلمة مُكوّنة من كلمتين: أسطرون و تعني النّجم، ولوجس وتعني الخطاب، أي خطاب أو حديث النّجوم. والعرّاف الذي يمتهن هذا العلم يُسمّى منجّما أو أحكاميّا. والأحكام النّجوميّة هي صناعة الإخبار بالحوادث من النّظر في الكواكب والحوادث العلويّة. وكان العلماء لا يفرّقون بين علم الهيئة والأحكام النّجوميّة، فكان المتكلّم في حركات النّجوم وعلاقاتها بعضها ببعض هو ذاته الذي ينبئ بالحوادث المقبلة من النّظر لتلك الحركات، ولم يميّز بين هذين العلمين إلّا نحو القرن الثامن عشر الميلاديّ. (المقوّم الّلغويّ).

[3] ويسمّيه الصَّابِئَة الحاليّون: هرمز ([illegible])

والتَّعديلَ؛ واستقلَّ باستخراجِ أكثرِ الكواكِبِ وأحوالِها، وقيلَ: إنَّ غارميونَ هو شيث، وهرمسُ هو إدريسُ عمَّ.[1]

ـ الفرقةُ الثَّانيَةُ: أصحَابُ الهياكِلِ.

قالُوا: إذا كانَ لابدَّ للإنسانِ مِنْ متوسِّطٍ فلابدَّ مِنْ أنْ يكونَ ذلكَ المتوسِّطُ ممَّا نشاهدُهُ ونرَاهُ حتَّى نتقرَّبَ إليهِ، والرَّوحانِيَّاتُ ليسَت كذلكَ، فلابدَّ مِنْ متوسِّطٍ بينَها وبينَ الإنسَانِ، وأقرَبُ ما إليها هياكِلُها، فهِيَ الآلهَةُ والأربَابُ المُعبُودَةُ، واللهُ تعَالى ربُّ الأربَابِ، وبها يكونُ التَّوسُّلُ والتقرّبُ؛ فإنَّ التقرُّبَ بها تقرُّبٌ إلى الرَّوحانِيَّاتِ التِي هِيَ كالأرواحِ بالنِّسبَةِ إليها.

ولا جرمَ أنَّهُم دَعَوْا إلى عبَادَةِ الكواكِبِ السَّبعَةِ السَّيَّارَةِ، ثمَّ أخذُوا في تعريفِها وتعريفِ أحوالِها، والنِّسبَةِ إلى طبائِعِها وبيوتِها ومنازِلِها ومطالِعِها ومغارِبِها واتِّصَالاتِها، ونسبَتِها إلى الأماكِنِ والأزمَانِ واللَّيالِي والسَّاعَاتِ وما دُونَها إلى غيرِ ذلكَ. ثمَّ تقرَّبُوا إلى كلِّ هيكَلٍ وسأَلُوهُ بمَا يناسِبُهُ مِنَ الدَّعوَاتِ فيمَا يناسِبُهُ مِنَ الأماكِنِ والأزمَانِ، واللِّبَاسِ الخاصِّ به، والتَّخَتُّمِ بالخاتمِ المطبوعِ على صُورتِهِ.

ـ الهياكلُ حيّة:

والهياكِلُ عندَهُم حيَّةٌ بحيَاةِ الرَّوحانِيَّاتِ التِي هِيَ أرواحُهَا والمتصَرِّفَةُ فيها، ومنهُم مَنْ جعلَ هيكَلَ الشَّمسِ ربَّ الهياكِلِ والأربَابِ، وهذِهِ الهياكِلُ

---

[1] قلت: ومذهب صابئة العراق في يومنا هذا هو مذهب هذه الفرقة بعينه لا ينقص عنه ذرّة ولا يخالفه بشيء ولو كان زهيدا.

هِيَ المدبِّرَةُ لكلِّ ما في عالَمِ الكونِ والفسَادِ على ما سَلَفَ ذِكْرُهُ في تعريفِ مذهبِ الفريقِ الأوَّلِ. وربَّما احتجُّوا على وجودِ هذهِ المُدبِّراتِ وأنَّها حيَّةٌ ناطقَةٌ بأنَّ حدُوثَ الحوادثِ إمَّا أنْ يكونَ مستنِدَاً إلى حادِثٍ أو قدِيمٍ، وليسَ جائِزَاً أنْ يكونَ مستنِدَاً إلى حادِثٍ! إذ الكلامُ فيه كالكلامِ في الأوَّلِ، والتَّسلسُلُ والدَّورُ مُحالانِ،[1] فلمْ يبقَ إلَّا أنْ يكونَ مستنِدَاً إلى ما هو قديمٌ في نفْسِهِ؛ وذلكَ القديمُ إمَّا أنْ يكونَ مُوجَبَاً بذاتِهِ أو بالاختيَارِ. فإنْ كانَ الأوَّلَ فإمَّا أنْ يكونَ كلُّ ما لابدَّ منه لإيجادِ الحوادِثِ متحقِّقاً معه أو أنَّهُ متوقِّفٌ على تجدُّدِهِ، فإنْ كانَ الأوَّلَ لزِمَ قِدَمُ المَعلولِ والقِدَمُ علَّتُهُ وشرطُهُ وهو مُحَالٌ. وإنْ كانَ الثَّانِي فالكلامُ في تجدُّدِ ذلكَ الأمرِ كالكلامِ في الأوَّلِ، وهو تسلْسُلٌ؛ فلمْ يبقَ إلَّا أنْ يكونَ فاعِلاً مُختَاراً، وليسَ في عالَمِ الكونِ والفسَادِ فاعلٌ قديمٌ مختَارٌ إلَّا الأفلاكُ والكواكبُ ولذلكَ حكَمَوُا بكونِها حيَّةً ناطِقَةً.

ـ الفرقَةُ الثَّالثَةُ: أصْحَابُ الأشْخَاص.

وهؤلاءِ زعمُوا أنَّهُ إذا كانَ لابدَّ مِنْ متوسِّطٍ مرئِيٍّ، فإنَّ الكواكبَ . وإنْ كانَت مرئيَّةً . إلَّا أنَّها قد تُرَى في وقتٍ دونَ وقتٍ لطلُوعِها وأفولِها وظهُورِها وصفَائِها نهارَاً، فدعَت الحاجَةُ إلى وجودِ أشخَاصٍ مُشاهَدَةٍ نُصْبَ أعينِنَا، تكونُ لنا وسيلَةً إلى الهياكِلِ التِي هي وسيلَةٌ إلى الرَّوحانِيَّاتِ

[1] التّسلسل هو اجتماع سلسلة من العلل ومعلولاتها الممكنة بصورة غير متناهية، مثل أن يتوقّف وجود (أ) على (ب) و (ب) على (ج)، و(ج) على (د)، وهكذا إلى ما لا نهاية. والدّور هو توقّف وجود الشّيء على ما يتوقّف وجوده عليه؛ كتوقّف وجود (أ) على وجود (ب) وتوقّف وجود (ب) على وجود (أ). (المقوّم اللّغويّ).

التِي هِيَ وسيلَةٌ إلى اللهِ تعَالى، فاتَّخَذُوا لذلكَ أصنَاماً مُصوَّرَةً على صورِ الهياكِلِ السَّبْعَةِ، كلُّ صنَمٍ مِنْ جسمٍ مشارِكٍ في طبيعَتِهِ لطبيعَةِ ذلكَ الكوكَبِ، ودعَوْهُ وسأَلُوهُ بمَا يناسِبُ ذلكَ الكوكَبَ في الوقتِ والمكَانِ واللُّبسِ والتَّخَتُّمِ؛ بمَا يناسِبُهُ والتَّخيُّرِ المناسِبِ له على حسبِ ما يفعلُهُ أربابُ الهياكِلِ، **إلَّا أنَّهَا هِيَ المَعْبُودَةُ على الحقيقَةِ**، وهذا هو الأشبَهُ في سببِ اتِّخَاذِ الأصنَامِ، ويُحتمِلُ أنْ يكونَ اتِّخاذُ الأصنَامِ بالنِّسبَةِ إلى غيرِ هذهِ الفرقَةِ وتعظيمُها عائداً لاتِّخَاذِها قِبْلَةً لعبَاداتِهِم، أو لأنَّهَا على صورَةِ بعضٍ ممَّنْ كانَ يُعتقدُ فيه النُّبوَّةَ والولايَةَ تعظِيماً له، أو لأنَّ قُدامَى أربابِ الهياكِلِ والأصنَامِ وعلمَاءَهُم ركَّبُوا طلاسِمَ ووضَعُوها فيها، وأمرُوهُم بتعظيمِها لتبقَى محفوظَةً بها؛ وإلَّا فاعتقادُ الألوهِيَّةِ فيمَا اتَّخذُوا صوَرَاً مِنَ الأخشَابِ والأحجَارِ، وكونُهُ خالِقاً لمَنْ صوَّرَهُ ومبدِعاً لِمَا وجودُهُ قبلَ وجودِهِ مِنَ العالَمِ العلْويِّ والسُّفْلِيِّ مِمَّا لا يستسيغُهُ عقلُ عاقِلٍ، بل البدَاهَةُ شاهِدَةٌ بِرَدِّهِ وإبطَالِهِ! وإنْ وقعَ ذلكَ مُعْتَقَدَ بعضٍ مِنَ كَتبَةِ الرِّقاَعِ ومَنْ لا خلاقَ له مِنَ العوامِّ منْهُم، فلا يُلتَفَتُ إليهِ ولا يُعَوَّلُ عليه.

ـ الفرقةُ الرَّابعَةُ: الحَلَويَّةُ.[1]

وهؤلاءِ زعمُوا أنَّ الإلهَ المُعبُودَ واحِدٌ في ذاتِهِ، وأنَّهُ أبدَعَ أجرامَ الأفلاكِ وما فيها مِنَ الكواكبِ، وجعلَ الكواكبَ مُدبِّرَةً لِمَا في العالَمِ السُّفلِيِّ؛ فالكواكبُ آبَاءٌ حَيَّةٌ ناطِقَةٌ والعناصُرُ أمَّهاتٌ، وما تؤدِّيهِ الآباءُ مِنَ الآثارِ إلى الأمَّهَاتِ تقبلُها بأرحَامِها فتحصلُ مِنْ ذلكَ المواليدُ وهِيَ المُركَّبَاتُ، **والإلهُ تعَالى يظهرُ في الكواكِبِ السَّبعَةِ ويتشخَّصُ بأشخَاصِها مِنْ غيرِ تعدُّدٍ في ذاتِهِ، وقدْ يظهرُ أيضَاً في صورِ الأشخَاصِ الأرضِيَّةِ الخَيِّرَةِ الفاضِلَةِ، وهِيَ ما كانَ مِنَ المواليدِ وقدْ يتركَّبُ مِنْ صفوِ العناصِرِ دونَ كَدَرِهَا.**

واختصَّ بالمزَاجِ القابلِ للظُّهورِ الرَّبُّ تعَالى فيه، إمَّا ذاتُهُ وإمَّا صِفَةٌ مِنْ صفَاتِ ذاتِهِ على قدْرِ استعدَادِ مزَاجِ ذلكَ الشَّخصِ، وزعمُوا أنَّ اللهَ تعَالى منزَّهٌ عنْ خلقِ الشُّرورِ والقبائحِ والأشياءِ الخسيسَةِ الدَّنيَّةِ، كالحشَرَاتِ الأرضِيَّةِ ونحوِها، بل هِيَ واقعَةٌ ضرورَةَ اتِّصَالاتِ الكواكِبِ سعَادَةً ونُحُوسَةً واجتِمَاعاتِ العناصِرِ صفْوَةً وكدُورَةً. وزعمُوا أيضَاً أنَّهُ على رأسِ ستٍّ وثلاثينَ ألفَ سنةً وأربعمِئَةٍ وخمسٍ وعشرينَ سنةً يحدُثُ روحَانِيٌّ على رأسِ الدَّورِ الآخِرِ، وكذا إلى ما لا يَتنَاهَى، وأنَّ الثَّوابَ والعقَابَ على أفعَالِ الخيرِ والشَّرِّ واقعٌ كلَّ دَوْرٍ، لكنْ في الدَّوْرِ الذِي بعدَهُ في هذهِ الدَّارِ لا في غيرِها.

---

[1] كذا في النّسخة التي بيدي. وسمّاها ابن بطوطة بالحرّانيّة. وهو عندي أصحّ. وسمّاها الشّهرستانيّ الحزيانيّة وهو تصحيف ظاهر مرغوب عنه. وزاد قائلا: والحزيانيّة ينسبون مقالتهم إلى عاديمون وهرمس وأعيانا (كذا والأصحّ على ما نعلمه من كتبهم الحاليّة أنانا و اواذي (كذا والأصحّ أواثر) أربعة من الأنبياء.

ويتَّفِقُ الصَّابِئَةُ ـ على اختلافِهِم في المَبادِئِ ـ على وجوبِ ثلاثِ صلَواتٍ لهُمْ، والاغتسَالِ مِنَ الجنابَةِ، ومسِّ المَيْتِ، وعلى تحريمِ لحمِ الخنزيرِ والكلبِ والجَزُورِ، وما لَهُ مخلَبٌ مِنَ الطَّيرِ، والسُّكْرِ؛ وأَمرُوا بالنِّكاحِ بولِيٍّ وشهودٍ، ونَهَوْا عنْ الجمْعِ بينَ امرأتَيْنِ،[1] وعنْ الطَّلاقِ إلَّا بحكْمِ حاكِمٍ شرْعِيٍّ، إلى كثيرٍ مِنَ الأحكَامِ المشرُوعَةِ في شرْعِنَا هذا.

انتهَى كلامُ سيفِ الدِّينِ الآمدِيِّ.

ـ ما ذكرَهُ ابنُ خلدُونٍ:

وقدْ ذكرِ ابنُ خلدُونٍ هذهِ الفِرَقَ بعبارَةٍ أخرَى فقالَ:

(إنَّ الصَّابِئَةَ هُم القائلُونَ بالهياكِلِ والأربَابِ السَّماوِيَّةِ والأصْنَامِ الأرضِيَّةِ وإنكَارِ النُّبُوَّاتِ. وهُم أصنَافٌ، وبينَهُم وبينَ الحنفَاءِ مُناظَرَاتٌ وحرُوبٌ مهلِكَةٌ! وتولَّدَت مِنْ مذاهِبِهِم الحكْمَةُ الملطية، ومنهُم أصحَابُ الرَّوحانِيَّاتِ، وهُم عبَّادُ الكواكبِ؛ وأصْنَامُهِم التِي عُملَت على تمثَالِها. أمَّا الحنفَاءُ، فهُم القائلُونَ: إنَّ الرَّوحانِيَّاتِ منها ما وجُودُها بالقوَّةِ ومنها ما وجُودُها بالفعلِ، فمَا هو بالقوَّةِ يحتَاجُ إلى ما يوجِدُهُ بالفعلِ. ويقرُّونَ بنُبوَّةِ إبراهيمَ، وأنَّهُ منْهُم. وهُم طوائفُ منها: **الكاظِمَةُ** أصحَابُ كاظمٍ بنِ تارِحَ. ومِنْ قولِهِ: إنَّ الحقَّ بينَ شريعَةِ إدريسَ وشريعَةِ نوحٍ وشريعَةِ إبراهيمَ. ومنها: **البيدانِيَّةُ** أصحَابُ بيدَانَ الأصغرِ. ومِنْ قولِهِ: إنَّ النُّبوَّةَ مِنْ أسرارِ الألوهيَّةِ؛ ويعتقدُ بنبوَّةِ مَنْ يفهمُ عالمَ الرُّوحِ. ومنها **القنطَارِيَّةُ** أصحَابُ

---

[1] قلت هذا غير صحيح.

قنطَارٍ (والأصحُّ فينانِيَّةٌ أصحَابُ قينَانَ) بن أرفكشادَ ويقرُّ بنبوَّةِ نوحٍ. ومنها **أصحَابُ الهياكِلِ** ويرَوْنَ الشَّمسَ أنَّها كلُّ إلهٍ. و**الحرَّانِيَّةُ**، ومِنْ قولِهِم: **المعبُودُ واحِدٌ بالذَّاتِ وكثيرٌ بالأشخَاصِ في رأي العيَانِ**، وهِيَ المُدبِّراتُ السَّبْعُ مِنَ الكواكِبِ والأشخَاصِ الأرضِيَّةِ الخيِّرَةِ العالِمَةِ الفاضِلَةِ).

وبينَ أسمَاءِ هذهِ الفِرَقِ وبينَ أسمَاءِ الفِرَقِ التِي ذكرَها سيفُ الدِّينِ الآمدِيُّ بَوْنٌ بعيدٌ بيِّنٌ، غيرَ أنَّ الفِرَقَ التِي ذكرَها هذا العلَّامةُ الأخيرُ هِيَ أصحُّ، لأنَّها تنطبقُ على حقائقَ راهنَةٍ ومذاهِبَ ذكرَها أكثرُ المؤرِّخِينَ والعلمَاءِ.

الفصلُ الرابع
مُعْتَقَدَاتُهُم

- ظهورُ يوحنَّا المعمَدَان:

بقِيَ الصَّابِئَةُ دَهرَاً طَويلاً ذاهبينَ مذاهِبَ الفلاسفَةِ العِظَام، خابطِينَ فيها خبْطاً ولا خبطَ عشواءَ في حالكِ الظَّلام![1] حتَّى انتضَى نصلُ الصَّباحِ الإنجيلِيِّ،[2] وبرزَ جبينُ المصْباحِ الجليلِيِّ بعدَ أنْ سبقتْهُ تباشيرُهُ بقليلٍ مِنَ الزَّمانِ، بشخصِ الوليِّ الأعظَمِ يوحنَّا المعمَدانِ، الذِي نفذَت كلمتُهُ في القومِ؛ إذ لم يُرَ مثلُهُ إلى ذلكَ اليومِ.

بل إنَّ السَّيِّدَ المسيحَ طَلَبَ إليهِ العِمَاد بكلام جلِيٍّ فصيحٍ، فرَأى بعضُهُم في ذلكَ علوَّ منزلَةِ الحصُورِ فوقَ منزلَةِ المسيحِ الطَّاهِرِ الطَّهورِ! وقدْ حاولَ الصَّابغُ مرَّاتٍ كثيرَةً صدَّ تلامذَتِهِ عنْ هذهِ الأوهَامِ الكبيرَةِ، فكأنَّهُ كانَ يضربُ في حديدٍ باردٍ، أو يوردُهُم شرَّ الموارِدِ.

- أأنتَ الآتِي أمْ ننتظرُ آخرَ؟:

فلجَأَ إلى وسيلَةٍ ظنَّ أنَّها تكونُ الضَّربَةَ القاضِيَةَ، وأنَّها تفعلُ فيهِم فعلَ السَّيوفِ الماضيَةِ. وذلكَ أنَّهُ أرسلَ اثنَيْنِ مِنْ تلامذَتِهِ يقولُونَ له: أأنتَ الآتِي أمْ ننتظرُ آخرَ؟.[3] ولمَّا كنَّا نعلمُ علمَ اليقينِ أنَّ يوحنَّا لمْ يشكَّ ساعةً بألوهِيَّةِ المسيحِ وببعثَتِهِ لفداءِ العالَمِ؛ علمْنا أنَّ الغايةَ مِنْ هذا الاستفسَارِ والاستخبَارِ **لمْ تكنْ إذاً إلَّا تهذيبَ عقولِ تلامذتِهِ الذِينَ لمْ تنجعْ فيهِم أساليبُ الكلامِ، فأرَادَ بهذِهِ الواسطَةِ أنْ يُرِيَ بعضاً مِنْ تلامذتِهِ الشَّاكِينَ المرتابِينَ، أنَّ أعمالَ المسيحِ التِي**

---

[1] العشواء النّاقة ضعيفة البصر، تسير لا ترى ما أمامها فتطأ كلّ شيء. وقولهم يخبط خبط عشواء مثل يُضرب لمن لا يتبصّر أموره ويتهافت، فلا يبصر عواقبها (المقوّم اللّغويّ).

[2] انتضى السَّيفَ: سلّه وأخرجه من غمده لغير مبارزة، فإذا أخرجه لمبارزة الخصم قيل: امتشقه. والنّصل حديدة السّيف سوى مقبضه. (المقوّم اللّغويّ).

[3] (متّى ١١:٣).

يرَاها الشَّاهدَانِ رَأيَ العيانِ؛ إنَّمَا هِيَ آيٌ لا يأتِي بها إلَّا مَنْ كانَ نبيَّاً عظِيمَ الشَّأنِ، أو إلهَاً حقيقِيَّاً له ملءُ السُّلطانِ على عناصرِ الأرضِ والأكوانِ.

ـ التَّتلمُذُ على يوحنَّا:

لا نشكُّ في أنَّ كثيرِينَ مِنْ هؤلاءِ المتتلمذِينَ على يوحَنَّا المعمدَانِ بقَوْا على عمَاهُم، و رَانَ على قلوبِهِم ما كانُوا يكسبُونَ،[١] وانضمُّوا بعدَ ذلكَ إلى بعضٍ مِنَ المتشدِّقِينَ المتفلسفِينَ الذِينَ أرادُوا أنْ يجمعُوا بينَ مُختَرَعَاتِ ومُبتَدَعاَتِ مخيلتِهِم،[٢] وبينَ التَّعالِيمِ الصَّحيحَةِ، وانتحَلُوا لهُم اسمَ (مندانِي ديهنِي) أي تَبعَةُ يحيَى.

ـ سيمُونُ الشِّرِّيرُ:

لمَّا صعدَ المسيحُ إلى السَّماءِ وأخذَ رسلُهُ يبشِّرُونَ بالإنجِيلِ، قامَ وقتَئذٍ واحدٌ ممَّنْ آمَنَ بابنِ اللهِ، واعتمَدَ على أيدِي الرُّسلِ واسمُهُ "سيمون" ينشرُ وباءَ تعالِيمَ فاسدَةٍ، لأنَّ الحوارِيِّينَ لمْ يعطُوهُ ذلكَ الذِي ينالُ به الإنسَانُ حلُولَ الرُّوحِ القُدُسِ على مَنْ تُوضَعُ عليه أيدِي المُزوَّدِ بتلكَ القوَّةِ.[٣]

---

[١]ران. كُلُّ مَا غَلَبَكَ فَقَدَ (رَانَ) بِكَ و (رَانَكَ) و (رَانَ) عَلَيْكَ، و(رِينَ) بِالرَّجُلِ إِذَا وقَع فيما لا يستطيع الخروجَ منهُ ولا قبل له به. وقالت الصّوفيّة: والرّين يعتري قلوب الكافرين، و الغيم للأبرار، و الغين للمُقرّبين. (المقوّم اللّغويّ).

[٢]خالَ الشّيءَ يَخالُ خَيْلاً وخِيلة وخَيْلة وخالاً وخِيَلاً وخَيَلاناً ومَخالة ومَخِيلة وخَيْلُولة ظنَّه. وفي المثل مَن يَسْمَعْ يَخَلْ. أي يظنّ. والسّحابة المُخَيِّل والمُخَيِّلةُ والمُخِيلةُ التِي إذا رأيتَها حَسِبْتها ماطرة. وفي التّهذيب المَخِيلة بفتح الميم السّحابة وجمعها مَخايِل. أراد هنا أنّ ما ابتدعوه ظنّوا أنّه ذو ثمرة وفائدة صحيحة؛ ولكنّه ليس كذلك. (المقوّم اللّغويّ).

[٣]راجع أعمال الرّسل في الفصل الثّامن.

وكانَ مِنْ أمْرِهِ أنَّهُ فيمَا بعدَ ذلكَ غدَا رأسَاً للشِّيعَةِ الممقوتَةِ التِي سُمِّيَت بعدَ زمانٍ باسمِ (الأدْريَّةِ .gnotiques). ثمَّ جاءَ بعدَهُ مَنْ حذا حذوَهُ واقتَفى أثرَهُ؛ مِنْ مثلِ "كربكرَاسَ" و "باسيليدَ" و "فالنتينَ" و "ساترنينَ الأنطَاكِيِّ" و "ميندرَ العامريِّ" فطَبَّقَت مذاهبُهُم الشَّرقَ كلَّهُ، واندفعَ وراءَهُم تلامذَةُ يوحنَّا الضَّالُّونَ، وأدخَلُوا فِي مُعتقَدِهِم شيئاً كثيرَاً مِنْ آراءِ الأدْريِّينَ وأقوالِهِم الدِّينيَّةِ وسُننِهِم وأحكَامِهِم، حتَّى أصبحُوا أدْريِّينَ حقيقِيِّينَ لا غيرَ، كمَا تشهدُ بذلكَ كُتُبُهُم الدِّينِيَّةُ الحالِيَّةُ؛ وكمَا ينطقُ بهذهِ الحقيقَةِ الرَّاهنَةِ معنَى اسمِهِم الحقيقِيِّ بلسانِهِم وهو (مندايا) الذِي معنَاهُ: (أدْريُّونَ) كمَا سنثبِتُهُ فِي موضِعِهِ فيمَا يلِي. وهو أمْرٌ لمْ ينتبِهْ إليه علمَاءُ الإفرنْجِ وحكمَاءُ الشَّرقِ والكَتبَةُ عنْ المِلَلِ والنِّحَلِ[1] حتَّى السَّاعةَ.

وإنَّمَا هؤلاءِ التَّلامذَةُ وقعُوا فِي مَهواةٍ هذهِ المِغْواةِ، لأنَّ ذلكَ مِنْ نتيجَةِ أصحَابِ الضَّلالِ، فإنَّهُم يتشبَّثُونَ بكلِّ بدعةٍ جديدَةٍ طلَبَاً للحَقِّ الذِي يشمِّرُونَ بخلوِّهِم منه، فتتعدَّدُ بينَهُم الأقاويلُ، وتكثرُ فيهم الأضالِيلُ؛ ولا يمكنُهُم التَّثبُّتُ فِي صِرَاطٍ واحِدٍ، لأنَّ مثلَ هذا هو مِنْ خواصِّ الحقيقَةِ التِي لا تكونُ إلَّا واحدَةً ثابتَةً غيرَ متزعزعَةٍ. ولهذا قامَ بينَهُم مصلحُونَ كثيرُونَ وأئمَّةٌ عديدُونَ، حتَّى ازدادَت بعدَ ذلكَ تلكَ الفِرَقِ، ولمْ يكنْ مِنَ الممكنِ حصرُها، إذ كلُّ واحدَةٍ تدَّعِي بالحقِّ والحقُّ بريءٌ منها.

ولمَّا كانَ فِي ديانَةِ الأدْريِّينَ شيْءٌ كثيرٌ مِنْ ديانَةِ النَّصَارَى، ظنَّ بعضُهُم أنَّهُم فرقَةٌ منهُم! حتَّى إنَّهُم سمَّوْهُم نصَارَى يوحَنَّا المعمَدَان (Chretiens de

---

[1] المِلَلُ جمع ملّة وهي الدّين والشّريعة. والنِّحَلُ جمع نِحلة وهي النّسبة بالباطل. والنِّحلة الهديّة التي لا يُنتظر لها مقابل، وسمّي النَّحْلُ نحلا لأنّه يعطي من غير مقابل. (المقوّم اللّغويّ).

s Baqtiste) لكنَّ هذا خطأٌ وزَلَلٌ، بل خطَلٌ جَلَلٌ،[١] ركِبَ متنَهُ الإفرنجُ ولمْ يقلْ بهِ أَحَدٌ مِنْ أبنَاءِ الشَّرقِ إلَّا باستنادِهِم إلى أقوالِ أبنَاءِ الغربِ أو نقلاً عنهُم! وهذهِ التَّسميَةُ لا تليقُ بهِم ولا تحسُنُ ولا هُم يتنحلُونَها لأنفسِهِم؛ لأنَّ (المسيحِيَّ) مَنْ آمَنَ (بألوهِيَّةِ المسِيحِ لا بنبُّوتِهِ) والحالُ أنَّ المندائيِّينَ لا يؤمنُونَ لا بألوهتِهِ ولا بنبُوَّتِهِ فقدْ استقرَيْنَا[٢] دِيانتَهُم في كُتُبِهِم الدِّينِيَّةِ؛ فكيفَ يجوِّزُ بعضُهُم تسميتَهَمُ نصَارَى؟! اللَّهُمَّ إلَّا أنْ يُقالَ: إنَّما سمَّاهُم بعضُهُم نصَارَى لأنَّ أصلَ الأدْرِيِّينَ مِنَ النَّصَارَى، فيكونُ ذلكَ حينَئذٍ مِنْ بابِ تسميَةِ الشَّيءِ باسمِ ما كانَ عليه في أصلِهِ.

قلْنا: إنَّ هذا التَّأويلَ. وإنْ كانَ جائِزَاً وجارِيَاً في الكلِمِ الُّلغَويِّ. إلَّا أنَّهُ لا يجوزُ في المُصطَلَحَاتِ الدِّينِيَّةِ، إذ يجبُ في مثلِ هذهِ الأُمورِ التَّدقيقُ التَّامُّ والتَّحقُّقُ الكامِلُ، وإلَّا اختلطَ الحابلُ بالنَّابلِ،[٣] ولمْ يُعرفْ العاقِلُ مِنَ الجاهلِ، والمُتديِّنُ بدينِ الحقِّ الصَّادعِ،[٤] مِنَ المتديِّنِ الكاذبِ المُمَوَّهِ بالظَّاهِرَاتِ الخوَادعِ.

---

[١]الخَطَلُ: المْنطق الْفاسد المضطرب. (خَطِلَ) في كلامه من باب طربَ و (أَخْطَلَ) أَفْحَشَ. والجللُ من ألفاظ الأضداد التي تفيد المعنى ونقيضَه وذلك بحسب السّياق. والجلل: الأمر الحقير، والجلل: الأمر العظيم، وهو المقصود هنا. (المقوّم الّلغويّ).

[٢]استقرينا: استقرأنا وبحثنا. استقرأ واستقرى سواء. (المقوّم الّلغويّ).

[٣]اختلط الحابل بالنّابل. مثل يُضرب عند اختلاط الأمور ببعضها وغياب الرّؤية الصّحيحة. وأصله أنّ الجيوش قديما كانت تنظّم جنودها ومهمّاتهم فمنهم من مهمّته الرّميّ بالنّبل واسمه النّابل ومنهم من مهمّته الإمساك بعقالات الجمال وحبال الخيل واسمه الحابل، فإذا حمي وطيس المعركة وحجب الغبار الأشياء عن عيون الجنَد تداخلت المهمّات واختلط الحابل بالنّابل. (المقوّم الّلغويّ).

[٤]الصّادع بالحقّ: الماضي به والمظهر له. (المقوّم الّلغويّ).

ونقف عند هذا الحدِّ مِنَ الأطوارِ العِظام، وهو الطَّورُ الأخيرُ الذِي انتهَت إليهِ الصَّابِئَةُ في أخرَيَات الأيَّامِ، وفيمَا نوردُهُ بعدَ ذلكَ مِنَ الكلامِ، أمورٌ تثبِتُ ما أسلفْنَاهُ مِنْ تعريفِ هذهِ الفِرَقِ أو هذهِ الأقسَامِ، ومِنَ اللهِ التَّوفيقُ إلى سواءِ سبيلِ المَرَامِ.

ـ معنَى لفظةُ (الصَّابِئَةِ) وما جَاءَ مِنْ بعض مِنْ مرادفاته:

إنْ سألْنا العربَ: ما معنَى الصَّابِئَةِ؟ قالُوا كلُّهُم كلاماً مختَلِفَاً في المبْنَى، مؤتَلِفَاً في المعنَى، وأكثَرُوا مِنَ التَّفسيرِ والتَّأويلِ، وليسَ في كلِّ ما نصُّوا عليه ما يروِي الغليلَ، أو يشفِي العليلِ.

ـ ما قالَهُ ابنُ قيِّم الجوزيَّة:

قالَ العلَّامَةُ ابنُ القيِّمِ في كتابِهِ (إغاثةُ اللَّهفَانِ في مصايدِ الشَّيطانِ) ما حَرْفُهُ:

(وأصلُ دينِ هؤلاءِ "أي الصَّابِئَةُ" ـ فيمَا زعمُوا ـ أنَّهُم يأخذُونَ محاسِنَ ديانَاتِ العالَمِ (ويقابلُهُ بالفرنسيَّةِ بهذا المعنَى (eclectiques) ويخرجُونَ مِنْ قبيحِ ما هُم عليه قولاً وعمَلاً، ولهذا سُمُّوا (صَابِئَةً) أي خارجِينَ، فقدْ خرجُوا عنْ تقييدِهِم بجملَةِ كلِّ دينٍ وتفصيلِهِ إلَّا ما رَأَوْهُ فيه مِنَ الحقِّ، وكانَ كفَّارُ قريشٍ يسمُّون النَّبيَّ (ص): (صابِئَاً) **والصَّابَةُ: (الصَّبَأَةَ). يُقالُ: صبأَ الرَّجلُ ـ بالهمْزِ ـ إذا خرَجَ مِنْ شيْءٍ إلى شيْءٍ. وصبا يصبُو (كدَعا يدعُو) إذا مالَ. ومنه قولُهُ: (وَإِلَّا تَصرِف عَنِّي كَيدَهُنَّ أَصبُ إِلَيهِنَّ)**[1] **أي أمِلْ. والمهمُوزُ والمعتلُّ**

[1] سورة يوسف الآية (٣٣).

يشتركَانِ، فالمهمُوزُ: ميلٌ عنْ الشَّيْءِ، والمعتلُّ: ميلٌ إليه؛ واسمُ الفاعلِ مِنَ المهمُوزِ: (صابئ) بوزنِ قارئٍ. ومِنَ المعتلِّ: (صابٍ) بوزنِ قاضٍ. وجَمْعُ الأوَّلِ: (صابِئُونَ) كقارِئُونَ، والثَّاني: (صابُونَ) كقاضُونَ. وقدْ قُرئَ بهمَا، وقالَ سيفُ الدِّينِ أبو الحسنِ الآمدِيُّ في كتابِ (أبكارُ الأفكارِ) ما حرْفُهُ: والأشبَهُ في تسميةِ هذهِ الطَّائفَةِ (صابئَةٌ) لميلِهِم وانحرَافِهِم عنْ سننِ الحقِّ في نبُوَّةِ الأنبيَاءِ، واتِّخاذِهِم آلهَةً غيرَ اللهِ تعَالى، أخذاً مِنْ قولِ العربِ: صبا الرَّجلُ: إذا مالَ وانحرَفَ.

- ما قالَهُ صاحِبُ شفاءِ الغلِيلِ:

وقالَ في شفاءِ الغليلِ: (صابئ) بنُ لامكَ. عَلَمٌ أعجمِيٌّ، وهو أخو نُوحٍ، إليهِ تُنسَبُ الصَّابِئَةُ. قالَ السَّهيلِيُّ: وقالَ في المصْبَاحِ: صَبَأَ مِنْ دينٍ إلى دينٍ، يصبَأ مهمُوزٌ بفتحتَيْنِ خرجَ: فهو صَابئٌ. ثمَّ جُعلَ هذا اللَّقبُ عَلَمَاً على طائِفَةٍ مِنَ الكفَّارِ، يُقالُ: إنَّها تعبدُ الكواكِبَ في الباطِنِ، وتُنسَبُ إلى النَّصْرَانِيَّةِ في الظَّاهرِ، وهُم الصَّابِئَةُ والصَّابئُونَ، ويَدَّعُونَ أنَّهُم على دينِ صابئِ بنِ شيثَ بنِ آدمَ،[1] ويجوزُ التَّخفيفُ، فيُقالُ: (الصَّابونَ) وقرَأ به نافعُ.

---

[1] وليس في أيدينا من الكتب ما يؤيّد أنّ المُسمّى (صابئ) هو ابن لامك كما قاله في شفاء الغليل أو ابن شيث كما يقول الفيّوميّ.

ـ وللإفرنْج رأيٌ آخرُ:

ذاك هو رأيُ العربِ في اشتقاقِ لفظةِ الصَّابِئَةِ، **أمَّا الإفرنجُ فقدْ ذهبُوا غيرَ هذا المذهبِ**. فقدْ قالَ "نربرُ" في مُقدَّمَةِ كتابِ **(المصحفُ النَّاصريُّ)**[1] ما مُعرَّبُهُ . وقدْ نقلَ الكلامَ عنْ صاحِبِ كتابِ (لغةُ الصَّابِئَةِ وديانَتِهِم): **ومِنَ المُرجَّحِ أنَّ كلمَةَ الصَّابِئَةِ مُشتقَّةٌ . على ما قالَهُ العربُ . مِنْ صُبغَ أي عُمِّدَ وأُدخِلَ في المَاءِ.**[2]

قلْتُ: وهذا الاشتقَاقُ ليسَ ببعِيدٍ فإنَّ ما كانَ بِالعَيْنِ المُعجَمَةِ في العربِيَّةِ فهو في سائرِ اللُّغاتِ السَّامِيَّةِ بالعَيْنِ المُهمَلَةِ، ولمَّا كانَت العَيْنُ المُهمَلَةُ كثيراً ما تُبدَلُ بالهمزَةِ وبالعكسِ؛ كمَا بيَّنَّاهُ غيرَ مرَّةٍ في "المشرِقِ" كانَ مِنَ المُحتَمَلِ أنْ تكونَ لفظةُ الصَّابِئَةِ بمعنَى الصَّابغَةِ. **لكنْ يُرَدُّ على هذا** العلَّامَةِ وعلى مَنْ حذا حذوَهُ واتَّبَعَ رأيَهُ بأنَّ لفظةَ الصَّابِئَةِ قديمَةٌ وسُنَّةُ الصَّبغِ مُقتبَسَةٌ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ، وهِيَ لمْ تكنْ عندَهُم في الأطوارِ الثلاثَةِ الأولى؛ وبناءً عليه فإنَّ هذا الاشتقَاقَ غيرُ صحيحٍ ومِنْ ثمَّ هو غيرُ مقبُولٍ!.

ـ رأيُ نولدكه و جسنيوسُ:

والرَّأيُ الآخَرُ هو الذِي ذكرَهُ المُقتَطَفُ بمَا حرْفُهُ: (وذهبَ نولدكه إلى أنَّها مُشتقَّةٌ مِنْ (صَبَّ المَاءَ) إشَارَةً إلى اعتمَادِهِم بالمَاءِ؛ لأنَّهُم يتعمَّدُونَ كالنَّصَارَى)[3]. قلْنا: ويُردُّ على نولدكه . إنْ كانَ هذا هو رأيَهُ بالحقيقَةِ . بذاتِ ما رددْنَا على نربر. وقدْ ذكرَ المُقتَطَفُ في تلكَ الصَّفحَةِ ذاتِها رأياً آخرَ قبلَ رأيِ

---

[1] Matth.Norberg: Codex Nasaraus, liber Adami appellatus, T.I.P. XIV, note 13.

[2] وفي القرآن الكريم (صِبغَةَ ٱللَّهِ وَمَن أَحسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبغَة) سورة البقرة الآية . ١٣٨. (المقوّم اللّغويّ).

[3] (٨٧:٢٣).

نولدكه فقالَ: **وذَهَبَ جسنيوسُ العالِمُ الُّلغويُّ الألمَانِيُّ** إلى أنَّ كلمةَ صَابِئِينَ مُشتقَّةٌ مِنْ "صباوث" العبرانِيَّةِ أي (جندُ السَّماءِ) وهِيَ دلالَةٌ على أنَّهُم يعبدُونَ الكَواكِبَ، وهو رأيٌ مُحتَمَلٌ، لأنَّهُ يُخَرَّجُ على الرَّأيِ الآتِي الذِي هو:

إنَّ الصَّابِئَةَ عندِي مُشتقَةٌ مِنَ (ضبأ) وهِي لفظَةٌ قديمَةٌ مذ كانَت الُّلغاتُ السَّامِيَّةُ لغَةً واحدَةً أو لغَةً مُختلَطَةً ومُشتَرَكَةً بينَ عامَّةِ السَّاميِّينَ، وهِيَ مُصحَّفَةٌ عنْ (ضوأ) التِي قَلَبَهَا العرَبُ في إصلاحِهِم للغَتِهِم إلى كلمَةِ (ضاء) ولا جرَمَ أنَّهُ وُجِدَ زمانٌ قبلَ الزَّمانِ الذِي دُوِّنَت فيه الُّلغَةُ وقواعدُها بقرُونٍ كثيرَةٍ أمورٌ لغويَّةٌ (عربِيَّةٌ) تقرِّبُها مِنْ سائرِ أخواتِها السَّليمَةِ؛ وهِيَ اليومَ فُقدَت أو أُميتَت أو انقرَضَت أو عفَت آثارُها، ولمْ يبقَ منها لا غيضٌ مِنْ فيضٍ ولا فيضٌ مِنْ بيضٍ!(١) ولفظةُ الصَّابِئَةِ(٢) هِيَ مِنْ هذا القبيلِ فمعنَى عبَادَةِ الصَّابِئَةِ إذاً: عبَادَةُ

---

(١)أي قليل من كثير. الغيض، النّقصان، والفيض الكثير الوافر. يقال: غاض يغيض غيضا، ومثله فاض. وهذا كقولهم: برضٌ من عدٍّ. والبرض القليل من كلّ شيء. والعدّ، الماء الذي له مادّة. وأصل المثل أنّ رجلا طلب إلى آخر صديق له أن يقرضه مئة إلى أجل، فدخل حجرته وأخرج له صرّة فيها مال، فأخذها الرّجل وخرج، حتى إذا كان ببعض الطّريق فتح الصّرّة فإذا فيها مئتان لا مئة، فرجع إليه يخبره؛ فقال الرّجل: دعها فهذا غيض من فيض. فسار قوله مثلا فيمن يعطي بسخاء وينفق القليل من الكثير. وأمّا قوله: فيض من بيض فلم أعثر له على أصل! وربّما كان من كلام الأب الكرملي أورده لتناسب السّجع. على أنّه يصلح أن يكون مثلا برأسه يُراد به عكس الأوّل حيث يكثر البيض في أوقات معلومة من السّنة حتّى يكاد يفسد ولا يجد له آخذا. (المقوّم الّلغويّ).

(٢)ومن هذه الكلمة نستنتج ثلاثة أمور لغويّة مهمّة:

كان العرب في قديم الزّمان يتلفظون ببعض كَلِم الأجوف على أصولها كما هو الأمر في بعض من ألفاظ يُنطق بها على هذا الوجه في الّلغات السّاميّة من آراميّة وعبريّة وحبشيّة. وشاهد الّلغات الأخوات ليس بمحلّ النّقض، لكن لمّا رأى العرب أنّ الّلفظ يثقل على الّلسان عند الجري على الأصل فضّلوا على ذلك قلب الواو أو الياء ألفا إذا كانتا مفتوحتين طلبا للخفّة في الكلام وحسن وقعه في الآذان. ولم يُحفظ الأصل إلّا فيما كانت عينه مكسورة كعور وعوز وهيف وعبد. أو غير ذلك ممّا هو مُقرّر في كتب النّحاة (راجع شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك ص ٣٣٦ و٣٣٧).=

الضَّائِيَةِ أي الأجرامُ المُضيئَةُ، وهِيَ عبَادَةُ الكواكِبِ والأجرَامِ السَّماويَّةِ. ومثلُ ضَاءَ: صَبأ، ومثلُ أضَاءَ: أصْبَأ، وسَائرُ المعانِي العربِيَّةِ المتفرِّعَةِ مأخُوذَةٌ مِنْ نشوءِ الضِّياءِ، فتأمَّلْ!.

=وقد كان للعرب الأقدمين حرف فُقد اليوم بالمرّة من اللّغة الفصيحة ولم يُفقد من سائر اللّغات السّاميّة وبعض اللّغات العاتبة المريبة، وهذا الحرف هو الفاء المثلثة الفوقيّة كحرف الـ (V) في الفرنسيّة. ولمّا كان هذا الحرف يُلفظ بين الباء والواو على رأي وبين الفاء والواو على رأي آخر وبين الفاء والباء على رأي ثالث ضعيف؛ كان الإبدال بين هذه الأحرف ممّا لا محيد عنه. والتّمثيل في هذا الباب يدعم الرّأي ويزيل الارتياب. ويلقم المعترضين الحجر وينشف في أفواههم الرّضاب. فأمثلة الإبدال بين الباء والواو: طهبل وطهول، نبّه باسمه ونوه، الباشق والرّاشق، والبال والوال (ضرب من السّمك). وأمثلة الإبدال بين الفاء والباء: الحضف والحضب، اليشب واليشف، اليصف واليصف، والضّنفس والضّنبس. وأمثلة الإبدال بين الفاء والواو: أفشى الرّجل وأوشى، وشوصل وشفصل، وكذلك الواو والفاء العطفيّتان.

أجل إنّنا لا نجهل أنّ الشّيخ إبراهيم اليازجيّ قد أنكر في الضّياء (٢:٦١٠) وجود حرف الفاء المثلّثة الفوقيّة عند قدامى العرب إذ قال: (والثّاني "أي والموضع الثّاني" وهو ما لم يضطرّوا إليه في وقتهم الحرف الذي بين الفاء والواو أو بين الباء والواو فإنّهم يبدلون منه أحد هذه الأحرف الثّلاثة) الخ. غير أنّ هذا الكلام يردّه:

١- الأدلّة السّابقة.

٢- شهادة أحد أعلام النّحاة، وقد ذكرها الرّضيّ في شرح الشّافية إذ قال (في آخر ص ٣٥٠): (قوله: والفاء كالباء. قال السّيرافيّ: هي كثيرة في لغة العجم وهي على ضربين: أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء (أي ب p) والآخر: لفظ الفاء أغلب عليه من اليا (أي ف V) وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء الخالصين. قال: وأظنّ أنّ العرب إنّما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إيّاهم. قلت: وقد رأيت أنّ الفاء موجودة في بعض من اللّغات السّاميّة كالآراميّة والصَّابئِيَّة والحبشيّة، وعليه فوجود الفاء المثلّثة في العربيّة قديم جدًّا. واختلاط العرب بالأعاجم قديم بخلاف ما يتوهّمه اللّغويّون. فإنّ المؤرّخين في هذه المادّة أصدق وعليهم المعوّل.

لم يكن للعرب في الزّمان القديم حرف الضّاد إذ لا أثر له في سائر اللّغات السّاميّة. وإنّما أدخله العرب لغتهم على تراخي العصور حتّى غدا من مميّزات لغتهم. وما يُلفظ ويكتب اليوم بالضّاد المعجمة كان يُلفظ ويُكتب بالصّاد المهملة. ولنا على ذلك ما عدا لفظة الصَّابئَة القديمة ودليل اللّغات الأخوات وجود ألفاظ عربيّة تُقال بلغتين بالضّاد المعجمة وبالصّاد المهملة. وعليه فهي بالصّاد على اللّغة العربيّة القديمة وبالضّاد على اللّغة المصلحة. من ذلك: الحصب الحضب، والقصاقص والقضاقض، وناص نوصا وناض نوضا.، وأنقاص وأنقاض، وسلاسل الماء وضلاضل، وأنفاص وأنقاض، وصمصم وضمضم. إلى آخر ما هناك من الأمثال الكثيرة التي ذكرها صاحب المزهر (١:٣٦٣ و ٣٦٣).

والصَّابِئَةُ إذا تكلَّمُوا بالعربِيَّةِ يُسمُّونَ نفوسَهُم (صَابئَةً) ويحرِّفُونَ الَّلفظَةَ ويصحِّفُونَهَا فيقُولُونَ: (صَبَةٌ) والواحِدُ منهُم: (صُبْيٌ) أو يسمُّونَ نفوسَهُم (يحْيَاويَّةٌ) والواحِدُ منهُم (يحْيَاوِيٌّ) نِسْبَةً إلى يحيَى أي يوحَنَّا الحصُورِ لاعتقادِهِم في أنَّهُم متمسِّكُونَ بطريقَةِ يحْيَى، وهِيَ بريئَةٌ منهُم.

ـ منذايا:

أمَّا إذا تكلَّمُوا بلسَانِهِم الصَّابئِ فيسمُّونَ نفوسَهُم: (مَندايا) والواحِدُ منهُم (مندَايِيٌّ) ومِنْ ذلكَ تعريبُ اسمِهِم بهمْزَةٍ بدَلاً مِنَ الياءِ الأولى جَرْياً على الطَّريقَةِ العربِيَّةِ.

وإذْ قد فهمْنا معنَى الَّلفظتَيْنِ الأُولَيَيْنِ بقيَ علَيْنا أنْ نفهمَ معنَى (مندايا) فإذا سَألْنا حضرَةَ الشَّيخِ إبراهيمَ اليَازَجِيِّ، فإنَّهُ لا يتوقَّفُ عنْ أنْ يقولَ: إنَّ معنَاها كمَا ذكرَها حضرَةُ الفاضِلِ نيقُولا السَّيوفِيُّ: أي (الأقدَمُونَ)[١] أمَّا المُقْتَطَفُ فقدْ نقلَ عنْ القسِّ (صموئيلَ زويمرَ . S.M.ZWEMER) البروتسْتَانْتِيِّ رأياً آخرَ فقالَ: ومِنْ روحِ المجدِ[٢] انبثقَ الأردنُّ العظِيمُ،[٣] ثمَّ خُلقَت الحيَاةُ القديمَةُ،[٤] وهِيَ معبودُهُم الحقيقِيُّ،[٥] وإليه يصَلُّونَ وله

[١] (كذا راجع البيان ص ٦٩).

[٢]كذا. والأصحّ من (فرها) وهو المعبود الأعظم.

[٣]اعلم أنّ معنى لفظة الأردنّ عند الصّابئة ليس علما لهذا النّهر المعهود المشهور بهذا الاسم بل هو اسم معناه (النّهر) مطلقا. وفي قولهم (النّهر العظيم) الماء العذب كلّه. وقول: (انبثق) هو وهم ظاهر لأنّ المندائيّين لا يسلّمون بالانبثاق ولا يعرفونه وإنّما يقولون (بانعكاسات الصّور الإلهيّة) لا غير.

[٤]قلت وفي لسانهم: (هيي قدمايي) ومعناها (الحياة الأولى) لا الحياة القديمة.

[٥]كذا. وهذا وهم آخر.

يُنسَبُونَ، وقدْ صدرَ منه (مندا حيَاه) أي "رسولُ الحيَاةِ"[1] وهو وسيطُهُم، وكلُّ الذِينَ يقبلُونَ وساطَتَهُ هُم المنداونُ.[2]

وإذا سألْنا غيرَ مَنْ تقدَّمَ ذِكْرُهُم مِنَ المؤلِّفِينَ عنْ معنَى كلمَةِ (مندَايا) يجيبُنا كلٌّ منهُم جوابَاً غيرَ جوابِ الآخَرِ! أمَّا الحقيقَةُ فهِيَ أنَّ لفظَةَ (مندَايا) مُشتقَّةٌ مِنْ فعلٍ بلغتِهِم وهو ويقابلُهُ بالآرامِيَّةِ ومعنَاهُ عَلِمَ ودَرَى وعَرَفَ وفَهِمَ. واسمُ الفاعِلِ ثمَّ أُقحِمَت النُّونُ بينَ المِيمِ والدَّالِ. وهُم كثيرَاً ما يفعلُونَ مثلَ هذا، فصَارَت

ولمَّا كانَ حرفُ العَيْنِ غيرَ موجُودٍ في الصَّابئِيَّةِ فإنَّهم إمَّا يبدلُونَها بحرفٍ مِنْ أحرُفِ العلَّةِ، أو يحذفُونَها اعتبَاطاً مِنْ دونِ إبدالٍ؛ وبناءً عليه قالُوا: (مندا)؛ التِي حاصِلُ معنَاها: (عارفٌ) أو (دارٍ). وبلفظَةٍ أخرَى (أدْرِي. gnostique) وهذا يدلُّكَ على أنَّ المَنْدائِيَّةَ ليسُوا إلَّا أدْرِيِّينَ أو فرقةً منهُم.

وينقلُ الصَّابِئَةُ معنَى لفظَةِ (مندا) مِنَ الموصُوفِ إلى معنَى الوصفِ مُطلَقَاً، فيكونُ معنَاها أيضَاً (الدِّرايَةَ والعلمَ والمعرفَةَ) وبالفرنسِيَّةِ (gnose) ومِنْ ذلك رَوحَانِيهِم المعرُوفُ باسمِ: (مندا دهيي) أي (معرفةُ أو درايَةُ الحيَاةِ. la gnose de la vie).

ولكَ وجهٌ ثانٍ تقولُ بعدَهُ: (صرحت بجلذان) وهو أنَّ لفظَةَ (المندَايا) المنسوبَةَ إلى (مندا) مُشتقَّةٌ مِنْ فِعْلٍ ومعنَاهُ فقيرٌ أو صعلُوكٌ أو خَشِنُ المعيشَةِ؛ فتكونُ هذهِ اللَّفظةُ نقلاً لمعنَى (أبيوني. ebionite) المُشتقَّةُ مِنْ أصلٍ

---

[1] كذا. والأصحّ مندا دهيي. ثمّ إنّ أبا مندا دهيي ليس هو (هيي قدمايي) بل روحانيّ آخر واسمه عندهم نباط ومعناه: منبع الحياة.
[2] في (الجزء ٢٣:٨٩).

عبرِيٍّ אבײן بمعنَى مندَايا؛ وحينئِذٍ يرجعُ بكَ المعنَى إلى أنَّ المَنْدائِيَّةَ هُم أدْرِيَّةٌ لأنَّ الأبيونِيِّينَ هُم فرقةٌ مِنْ أولئكَ أصلَحَها أبيونُ، ثمَّ جاءَ بعدَهُ آخَرُونَ، **فتسمَّت فرقُهُم المختلِفَةُ بأسماءِ مبدِعِيْها**، ومِنْ عِدادِ هذهِ الفِرَقِ الفرقَةُ المنسوبَةُ إلى (أدا).

ولكَ وجهٌ ثالثٌ للتَّأويلِ، وهو أنَّ (أدا .Ada) كانَ مِنَ الذِينَ أدخلُوا آراءً جديدَةً في الصَّابِئِيَّةِ، وكانَ يعيشُ فقيرَاً صعلُوكاً كأبيونَ، فصَحَّفَ أصحَابُهُ لفظَةَ (أدا) وجعلُوها يدا (Aada) فاشتقُّوا منها اسمَ فاعلٍ وقالُوا (مندايا)، ولمَّا كانَ هذا مِنَ الأدْرِيِّينَ كانَ تابِعُوهُ شيعَةً مِنْ هذهِ الفرقَةِ. والخلاصَةُ أنَّكَ كيفَما تصرَّفْتَ بتأويلِ هذهِ اللَّفظةِ وصلْتَ إلى نتيجَةٍ واحدَةٍ، هِيَ أنَّهُم مِنَ الأدْرِيِّينَ، وأنَّهُم انخرَطُوا في سلْكِهِم مِنْ دونِ أنْ يتركُوا عبَادَةَ الكواكِبِ التِي هِيَ جوهرُ الصَّابِئِيَّةِ وقَوَامُ مُعتَقَدِها في سَابقِ الزَّمانِ وحاضرِهِ.

ـ أسماؤُهُم الأخرَى:

وللصَّابِئَةِ اسمٌ آخرُ، هو **(نصُورايا)**. قالَ المُقتَطَفُ عنْ معنَاها: أمّا اسمُهُم نصُورَاتِي (كذا. والأصَحُّ نصُورَابِي أو نصُورُانِي أو ناصُورَايا على سبيلِ الحكايَةِ) فتحريفُ كلمةِ نصَارَى أو نساطِرَةَ (كذا) نسبةٌ إلى طائفَةِ النَّساطِرَةِ التِي كانَت في سوريَّةَ منذُ عهدٍ طويلٍ.[1] وعندَنا أنَّها مُشتقَّةٌ مِنْ فِعْلٍ « ﻧﺻﺮ » ومعنَاهُ في لغتِهِم: (رنَّمَ ورتَّلَ للهِ وسبَّحَهُ ومجَّدَهُ) وذلكَ لأنَّ الصَّابِئَةَ يكثرُونَ في النَّهارِ الواحدِ مِنْ نوعٍ مِنَ الاصطِبَاغِ يسمُّونَهُ بلسَانِهِم (الرَّشْمَ) ويقابلُهُ عندَ العربِ (الوضُوءُ) و (الاغتسَالُ) عندَ حدُوثِ جنابَةٍ أيّاً كانَت، ولـمَّا كانَ هذا

---

[1] (٢٣: ٩٠).

الوشْمَ لا يتمُّ إلَّا بتلاوَةِ الصَّلواتِ فقدْ أصبحَ معنَى (نصُورايا) المُصلِّينَ والمسبِّحِينَ والممجِّدِينَ ونحوَ ذلكَ. ثمَّ توسَّعُوا فيها فأصبَحَ معنَاها اليومَ: **(الصَّالحُ) مُطلَقاً مِنْ كلِّ مَلَّةٍ ونِحْلَةٍ**، وإذَا أرادُوا أنْ يقولُوا: (هذا رجُلٌ صَالِحٌ) عبَّرُوا بلسَانِهِم على هذا الوجْهِ (ها زين كورا ناصُورَايا) غيرَ أنَّهُم في أغلَبِ الأحَايينِ يحصرُونَ معنَى هذهِ الَّلفظَةِ بطَائفَةِ خادِمِي الدِّينِ أو الإكليرُوس.[1]
أو كمَا يقولُ العربُ: (العلماءُ) **وسببُ تقييدِهِم لهذا المعْنَى هو أنَّ خَادِمِي الدِّينِ عندَهُم يصلُّونَ أكثرَ بكثيرٍ مِنْ عامَّتِهِم فحقَّ لهُم هذا الاسمُ.**

ونستنتِجُ مِنْ هذا كلِّهِ أنَّ الَّذينَ يقولُونَ: إنَّ (النَّصُورَايا) هو اسمٌ يُطلَقُ على جميعِ المندائِيِّينَ في هذهِ الأيَّامِ، هُم في وَهْمٍ ظاهِرٍ! بخلافِ ما لو قالُوا: إنَّ ذلكَ هو اسمُهُم عندَ الأقدمِينَ؛ فحينئِذٍ لا لومَ عليهِم ولا تثريبَ ولا هُم يحزنُونَ عندَ التَّحقيقِ والتَّنقِيبِ.

ومِنْ أسمائِهِم القديمَةِ ما ذكَرَهُ العلَّامَةُ المُؤرِّخُ "ثيودور برخوني" صاحبُ كتَابِ (الاسكوليون) وإليكَ مُعرَّبَ كلامِهِ حيثُ قالَ: واسمُهُم أي اسم أتباعِ آدا وهُم المندائيُّونَ، كمَا رأيْتُ في ميسَانَ (قلتُ: ميسَانُ كورَةٌ معرُوفَةٌ مِنْ كُوَرِ دجلَةَ بسوادِ العراقِ بينَ البصرَةِ وواسِطٍ. (عن التَّاجِ) المندائيُّونَ والمشكنيُّونَ (هذهِ اللفظَةُ الأخِيرَةُ منسوبَةٌ إلى المشكَنَةِ وهِيَ بلسَانِهِم الفصيحِ الكنيسَةُ والمُصَلَّى، أمَّا بلغتِهِم العامِّيَّةِ فتُسمَّى البِيْعَةُ (مندي) أصحابُ مَنْ يأتِي القُربَاتِ، واسمُهُم في بيتِ أرمابي (أي في سوادِ العراقِ) ناصُورابِي أصحَابُ دُستانِيٍّ، أمَّا

[1] (الإكليروس . Clergy) مُصطَلح يُستخدم لوصف القيادات الدّينيّة الرّسميّة. (المقوّم الّلغويّ).

الاسمُ الِذي يليقُ بِهِم فهو **الآدويُّونَ**، وقدْ أخذُوا مذهَبَهَم عنْ المرقيونيِّينَ والمَانويِّينَ والكنِسيِّينَ.[1]

ـ ذِكْرُ الصَّابِئَةِ في التَّاريخِ والكتبِ المُقدَّسَةِ.

ـ ما جاء في العهدِ القديمِ:

لا نرَى للصَّابئَةِ ذِكْراً صريحاً في كتَابِ اللهِ. وكلَّ مرَّةٍ أرادَ التَّنزيلُ أنْ يذكُرَهُم نوَّهَ بعبَادَتِهِم. فقالَ ـ عزَّ مِنْ قائلٍ ـ في تثنيةِ الاشتراعِ يُذكِّرُ إسرائِيْلَ بحفْظِ العهدِ ويزحزِحُهُ عنْ عبَادَةِ الأوثَانِ ثمَّ ينحِّيهِ بعدَ ذلكَ عنْ الصَّابِئَةِ أو عبَادَةِ النَّيِّرَاتِ ما نصُّهُ: **(... و كَيْلَا تَرْفَعَ طرْفَكَ إلى السَّمَاءِ فتنظرَ الشَّمسَ والقمرَ والكواكِبَ فتُجْتَذَبَ وتسجُدَ لها وتعبُدَها)**.[2] ويقرُبُ مِنْ لفظِ الصَّابِئِينَ حرْفُ (السَّبئِيِّينَ) في أصلِ الاشتقَاقِ إلَّا أنَّ هؤلاءِ قَوْمٌ آخَرُونَ جاءَ ذكرُهُم في نبوَّةِ أشمَيا،[3] وفي الزَّبُورِ الخ.[4]

---

[1] Vid pognon, Insc, mand des coupes de Khouabir, p. 154 et 224.

[2] سِفر التّثنية (٤:١٩).

[3] (٤٣:٣ ثم ٤٥:١٤).

[4] (٥٢:١٠). والإفرنج يسمّون الصّابئين والسّبئيّين بلفظ واحد Sabeens وكلاهما (عندهم) مُشتقّ من (سبأ) فإذا أرادوا بلفظ Sabeens سكّان مدينة سبأ أو مأرب كان لهم ذلك جائزا من باب النّسبة عندهم. وإن أرادوا بذلك أيضا الصّابئة أو المندائيّة جاز لهم هذا أيضا، وسبب هذا التجوّز هو أنّ الدّيانة التي كانت متغلّبة في قديم الزّمان في سبأ هي الصّابئيّة أو عبادة الكواكب والنّيّرات فحقّ لهم وجه هذه التّسمية لأنّ العادة في تسمية الأديان نسبتها إلى أصحابها الذين أنشؤوها فتقول مثلا: الموسويّة والمسيحيّة. لكن إذا جُهل صاحبها فحينئذ تُنسب إلى البلد التي توجد فيها أو وجدت أو نشأت. فيقول العرب مثلا: (الحرّانيّة) لفرقة من الصّابئة نشأت في بلدة حرّان. لكن لمّا لم يُعرف صاحبها سمّوها باسم البلدة التي وُجدت فيها. وعليه ففي قولك (الحرّانيّة) إشارة إلى ديانة ساكني مدينة حرّان. ومن ثمّ فقول الشّيخ إبراهيم اليازجيّ في البيان (حاشية ص٩٩): وزعم لبتراي أنّهم سُمّوا كذلك نسبة إلى سبأ وهي مدينة مأرب باليمن، إنّما اختلط عليه لفظ الصّابئين بالسّبئيّين.. وشتّان مابين اللّفظين. وهم في التّصريح به. لأنّه قد تحتمل اللّفظة الواحدة وجهين من التّأويل بدون أن يكون شطط في ذلك. على أنّ الإفرنج تركوا اليوم لفظة Sabeens بمعنى الصّابئة مستعملين عوضا عنها لفظة المندائيّين Mandeens رفعا=

ـ ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ:

أَمَّا القرآنُ فقدْ ذَكَرَ الصَّابِئَةَ ذِكْرَاً صرِيحَاً. ومِنْ ذلكَ ما جَاءَ في سورةِ البقرَةِ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[1]

ومَا جاءَ في سورةِ المائدَةِ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[2]

ومَا جاءَ في سورةِ الحجِّ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.[3]

=للّبس. ثمّ تزيد الشّيخ علما أنّ العرب قد نسبوا إلى المدينة أيضا بعضا من الأديان وإن عُرف صاحبها وذلك لاشتهاره باسم مدينته كما جاء من هذا القبيل لفظة (النّصرانيّة) فإنّها منسوبة إلى النّاصرة بزيادة الألف والنّون قبل الباء (على الطّريقة الآراميّة) كما قالوا: (روحانيّ وربّانيّ وبهرانيّ وصنعانيّ. فروحانيّ في النّسبة إلى روح، وبهرانيّ في النّسبة بهراء، وصنعانيّ في النّسبة إلى صنعاء. (القواعد الجليّة ١:١٠١) غير أنّهم لمّا قالوا ناصراتي حذفوا الألف الأولى للتّخفيف. أمّا رأي بعض من النّحاة واللّغويّين في وضع هذه اللّفظة وأصل نسبتها فممّا لا يُكترث به لوهنه.

[1] الآية (٦٢).

[2] الآية (٦٩).

[3] الآية (١٧). وقد كانت هذه الآية في النّسخة الأصليّة للمُحاضرات قبل آية سورة المائدة، وقد قمت بوضعها بعدها مراعاة لترتيب سور المصحف حيث سورة الحجّ فيه بعد سورة البقرة.

ويُشار نحويّا إلى أنّ لفظة (الصّابئين) في آيتي سورة البقرة وسورة الحجّ وردت بالنّصب، بينما وردت في سورة المائدة بالرّفع مع أنّها ثلاثتها بذات التّرتيب. وقد ذكر النّحاة والمفسّرون في بيان ذلك وجوها عديدة، وذكروا نظائرها المعروفة في لغة العرب، وأشهر ما قيل في ذلك ثلاثة وجوه كلّها صحيحة: =

ولسائلٍ أنْ يسألَنَا هنا: هلْ الصَّابئُونَ الذِينَ ذكرَهُم القرآنُ في عِدادَ (أهلِ الكتَابِ) هُم الصَّابئُونَ نفسُهُم الذِينَ يدُورُ الكلامُ عليهِم في هذهِ النُّبذَةِ؟. قلْنا: إنْ أنكرَ قومٌ كونَ الصَّابِئَةِ الحَاليِّينَ هُم صابئَةُ القرآنِ نفسهُمُ فإنَّ نكيرَهُم لا يقُوم على ساقٍ صحِيحَة، أمَّا عنْ كونِهِم هُم بعينِهِم، فلَنا على ذلكَ شواهدُ كثيرَةٌ منها:

إنَّ القرآنَ الكريمَ صرَّحَ بكونِهِم مِنْ أهلِ الكتَابِ، وكتابُهُم هذا هو المُسمَّى: (كنزا ربا) أو (سدرا ذادم) أي الكتَابُ العظيمُ أو سِفْرُ آدمَ أو صُحُفِ آدمَ لأنَّهُم يزعمُونَ أنَّ اللهَ أنزلَهُ على قلبِ آدَمَ.

= الأوّل: أنّ في الآية تقديما وتأخيرا، وعلى ذلك يكون سياق المعنى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ . كذلك . وَٱلنَّصَٰرَىٰ كذلك مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) فتُعرب مبتدأً مرفوعا، وعلامة رفعه الواو، لأنّه جمع مذكر سالم. ونظير ذلك من لغة العرب قول الشّاعر :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله … فإني وَقيّارٌ بها لغريب

*****

وموضع الشّاهد قوله "قيّار" وهو اسم لفرسه، أو جمله؛ فقد جاءت الكلمة مرفوعة على أنّها مبتدأ، ولم تجئ منصوبة على أنّها معطوفة على اسم إنّ المنصوب وهو ياء المتكلّم في قوله: فإنّي.

الثّاني: أنّ "الصّابئون" مبتدأ، والنّصارى معطوف عليه، وجملة (من آمن بالله) خبره وخبر "إنّ" محذوف دلّ عليه خبر المبتدأ "الصّابئون" ونظير ذلك من لغة العرب قول الشّاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما … عندك راض والرّأي مختلف

*****

والشّاهد فيه أنّ المبتدأ "نحن" لم يُذكر خبره، اكتفاء بخبر المعطوف "أنت"؛ فخبره "راض" يدلّ على خبر المبتدأ الأوّل، وتقدير الكلام: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض.

الثّالث: أنّ "الصّابئون" معطوف على محل اسم " إنّ" فإنّ الحروف النّاسخة (إنّ وأخواتها) تدخل على الجملة الاسميّة. ومحلّ اسم إنّ الأصليّ قبل دخول إنّ عليه الرّفع لأنّه مبتدأ، ومن هنا رُفعت "الصّابئون "باعتبار أنّها معطوفة على محلّ اسم إنّ.

انظر: أوضح المسالك، لابن هشام، مع شرح محيي الدّين ١/٣٥٢-٣٦٦ وتفسير الشّوكانيّ والألوسيّ لهذه الآية. (المقوّم اللّغويّ).

وإنَّ هذا السِّفْرَ وإنْ كانَ قد زِيدَ عليه زيادَاتٌ بعدَ القرْنِ السَّابعِ للمسِيحِ إلَّا أنَّ مُعظَمَهُ مِنَ القرنِ الثَّانِي والثَّالثِ لأدلَّةٍ لا محَلَّ لذكْرِها هنا. وبناءً عليه فإنَّهُ لمَّا ظهَرَ الإسلامُ كانَ سِفْرُ آدمَ بينَ أيدِي أصحَابِهِ، ولكونِهِمُ يدَّعُونَ أنَّهُ أُنزِلَ على آدمَ، اعتبرَهُم صاحِبُ الشَّريعَةِ الإسلامِيَّةِ مِنْ أهلِ الكتَابِ.

ـ كلامُ المفسِّرينَ المسلِمِينَ:

ويشهَدُ أهلُ التَّفسيرِ على هذهِ الحقيقَةِ النَّاصعَةِ، ولكَي لا نطيلَ الكلامَ على غيرِ جدْوى نستشهِدُ بإمَامِ المفسِّرينَ وشيخِهِم.

ـ ما قالَه في الكشَّافِ في تفسيرِ آيةِ سورةِ البقرةِ:

(الصَّابِئِينَ) هو مِنْ صَبَأَ إذَا خرجَ مِنَ الدِّينِ وهُم قومٌ عَدَلُوا عنْ دينِ اليهودِيَّةِ والنَّصْرَانِيَّةِ وعَبَدُوا الملائِكَةَ) ففِي قولِهِ: (عبدُوا الملائِكَةِ) إشَارَةٌ إلى تعظيمِهِم الرَّوحَانِيِّينَ الذِينَ عندَهُم بمنزلَةِ المَلائِكَةِ. وكثيراً ما يسمُّونَهُم الملائِكَةَ أيضاً إلى يومِنا هذا.

وقالَ في تفسيرِ آيةِ سورَةِ الحَجِّ: (جُعِلَ الصَّابئُونَ مع النَّصَارَى لأنَّهُم نوعٌ منْهُم) وقدْ أشَارَ المفسِّرُ بذلكَ إلى أنَّ الصَّابِئَةَ فرقَةٌ مِنَ النَّصَارَى قائمَةٌ بذاتِها على ما مرَّ بكَ مِنْ أنَّهُم أدخَلُوا في مُعتَقَدِهِم شَيئَاً كثيراً مِنْ مذهبِ الأدْرِيِّينَ الذِينَ كانُوا بدعَةً هالكَةً مِنَ النَّصَارَى. وأمَّا ذِكْرُ الصَّابِئَةِ في سائرِ كُتُبِ المُؤَرِّخِينَ القدامى فهِيَ كثيرَةٌ.[1]

---

[1] تفسير "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل" لأبي قاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشريّ جار الله. توفّي سنة (٥٣٨هـ). (المقوّم اللّغويّ).
راجعَ بهذا الصَّدد اسطرابونَ: Strabo XVI 768 وديدور Diod, p. 3, 38, 46 وبلين Plin, p. 6,32.

ـ شهادَةُ الصَّابِئَةِ أنفسِهِم:

إنَّ العلماءَ المشهُورينَ الذِينَ نبغُوا بينَ الصَّابِئَةِ في عصرِ العبَّاسيِّينَ الزُّهْرَ مذكُورَةٌ أساميهِم عندَهُم ويعظِّمُونَهُم ويؤكِّدُونَ أنَّهُم مِنْ نِحْلَتِهِم.

ـ مُعْتَقَداتهُم:

لا يمكنُنا أنْ نأتِيَ بذكْرِ مُعتَقَدِ هذهِ النِّحْلَةِ مِنْ دونِ أنْ نذكرَ. فذلكةً.[1] تمهيداً لها عنْ مُعتَقَدِ الأدْريِّينَ الذينَ أخذَ عنهُم الصَّابِئَةُ كثيراً مِنْ آرائِهم. فنقولُ:

تمتَازُ الأدْريَّةُ بضَلالَينِ عظيمَيْنِ هُمَا بمنزلَةِ ساقَيْنِ يقفُ عليهِمَا مذهَبُهُم!.

فالضَّلالُ الأوَّلُ: الثُّنائِيَّةُ، أي القولُ بوجودِ كائِنَيْنِ أزلِيَّيْنِ متواجهَيْنِ متضَادَّينِ وهمَا صاحِبُ الخيرِ أو النُّورِ وصاحبُ الشَّرِّ أو الظُّلْمَةِ. والثَّاني: الصُّدُورُ، وهو عبارَةٌ عنْ نشوءِ أحدِ هذينِ الكائِنَيْنِ أو كليْهِما على طريقَةٍ ينمُو أو ينمُوانِ فيها نمُوَّاً يترادَفُ فيها الكائِنُ بعدَ الكائِنِ على آسالٍ مِنْ أبيهِ.[2] وتُعرفُ هذهِ الكائِناتُ باسمِ (الرَّوحَانِيِّينَ) (eons) وكلَّ مرَّةٍ يُدركُ الكائنُ الأوَّلُ الإلهِيُّ نفسُهُ بمعنىً جديدٍ كمفكِّرٍ ومتكلِّمٍ وحَيٍّ أو كحَكِيمٍ وعادِلٍ ومنزَّهٍ وخالِدٍ وقديرٍ الخ.. ينقلِبُ ذلكَ الفعلُ الإلهِيُّ هويَّةً جديدَةً هِيَ (الرَّوحَانِيُّ). وعلى رأيِ الأدْريِّينَ فإنَّ الرَّوحَانِيَّ الذِي أُرسلَ لتنظِيمِ الهيولَى المُتنسَّمَةِ هو مِنَ الرَّوحَانِيِّينَ الخاضعِينَ لمَنْ هم أعلَى منهُم، واسمُهُ عندَهُم (العاملُ . demiurge) وهو على رأيِ فريقٍ منهُم مُعَادٍ أبداً للكائِنِ الأعلَى. أمَّا الذِينَ

---

[1] الفذلكة إجمال ما فُصّل. (المقوّم اللّغويّ).

[2] عَلَى آسالٍ من أَبيهِ، وآسانٍ من أبيه: أي على شبه من أبيه وعلامات وأخلاق. (المقوّم اللّغويّ).

أتمُّوا خَلْقَ الكونِ فهُم مدبِّرُو المتحيِّرَاتِ السَّبعِ الذِينَ دأبُوا في عملِهِم مِنْ دونِ معرفَةِ اللهِ. **فلمَّا رأى تعَالى ما حَلَّ بالعالَمِ مِنَ الانقسَامِ والتَّجَزُّؤ وَكَلَ إدارتَهُ إلى الرُّزاةِ ثمَّ إلى آخِرَيْ الرَّوحَانِيِّينَ مِمَّنْ هُم قريبُونَ مِنَ المَادَّةِ الرَّديئَةِ والمُتَنَسَّمَةِ فنالُوا مُلْكَ العالَمِ مكافَأَةً عنْ دأبِهِم. أمَّا تدبيرُ العالَمِ فكانَ نصيبَ (الحكمَةِ.Sophie) وهِيَ رَوحانِيَّةٌ أنثَى مِنَ الطَّبَقَةِ الأولى وآخِرُ ثلاثينَ الرَّوحَانِيِّينَ الذينَ شغلُوا (ملءَ الوجُودِ . plerome) ما عدا أربعَةٍ منهُم** يُعرفُونَ باسم (القليبة . Coelibes) وهُم: (الحدُّ . Horos) وروحُ القدُسِ، والمسيحُ، ويسوعُ. وكانَت (الحكمَةُ) منافسَةً للمعبُودِ الأعلى ومِنْ شدَّةِ غَيْرَتِها وَلَدَت ابنَةً اسمُها (حكموت) أي (الحكم) ووقعَت هذه الابنَةُ على الهيولى فولَدَت منها ابنَاً اسمُهُ (العامل) وهو الذِي خَلَقَ العالَمَ بأسْرِهِ إنْ كانَ هذا العالَمَ العُلْوِيَّ والسَّماءَ المُتَّخَذَينِ مِنَ المَادَّةِ الَّلطيفَةِ، أو كانَ العالَمَ السُّفْلِيَّ والأرضَ المُتَّخَذَيْنِ مِنَ المَادَّةِ الخشنَةِ، أو كانَ الإنسَانَ المركَّبَ مِنَ المَادَّتَيْنِ الَّلطيفَةِ والخشنَةِ. وبعدَ هذا العملِ ادَّعَى (العاملُ) لنفْسِهِ الإكرَامَ الإلِهِيَّ، ولهذا بُعِثَ المسِيحَ رئيسَ الرَّوحانِيِّينَ في نيَّةِ أنْ يُحاربَ (العاملَ) فجَاءَ بصورَةِ يهودِيٍّ صالِحٍ كانَ قدْ بلغَ مِنَ التُّقى الغايَةَ القصْوى، وكانَ يُعرَفُ باسمِ يسوعَ؛ لكنْ تركَ بعدَ ذلكَ شخصِيَّةَ هذا اليهودِيِّ الصَّالحِ وصعدَ إلى السَّماءِ لأنَّ (العاملَ) كانَ قد أثارَ النَّاسَ عليه ليصلبُوهُ.[1]
أمَّا مذهبُ الصَّابِئَةِ في هذا اليومِ فيقرُبُ كثيراً مِنْ هذا المذهبِ.

[1] (انتهى مُلخّصا عن رزباكر في كتابه تاريخ الكنيسة وفلر ونوربر).

وإليكَ ملخَّصَ ما قرأنَاهُ في كتبُهِم الدِّينِيَّةِ ثمَّ ثبَّتنَاهُ مِنْ لسانِ شيوخِهِم:

أوَّلُ كائنٍ وُجِدَ مِنْ نفسِهِ هو (ملكا دنهورا) أي ملكُ النُّورِ،[1] وليسَ مِنْ موجُودٍ أعظمَ منه ولا مِنْ كائنٍ سبَقَهُ في الوجودِ، وهو مِنَ الرَّوحَانيِّينَ الذُّكورِ، وحالمَا وُجِدَ وُجِدَ معه أيضَاً (سيمات هيي) أي خزانةُ الحيَاةِ، وهِيَ مِنَ الرَّوحَانِيِّينَ الإناثِ ومِنْ أعظمِهِنَّ شرَفاً وقدْرَاً.

ـ ألقابُ وأسمَاءُ ملكا دنهورا:

لملكا دنهورا أسمَاءٌ وألقابٌ شتَّى منها (هيي قدمايي) أي الحيَاةُ الأُولى، وهو الذِي خَلَقَ عدَّةَ مساكَنَ للرَّوحَانِيِّينَ فجعلَ (٤٤٤) منها عنْ يمينِهِ و (٣٩٦) عنْ يسَارِهِ، ولمْ يعيِّنْ لكلِّ مسكَنٍ مِنْ هذهِ المسَاكنِ ألفاً وثمنَمئةِ ألفِ ألفٍ مِنَ الرَّوحَانِيِّينَ فقطُ بل أقامَ عليهِم حارسَيْنِ عظيمَيْنِ يرأسَانِهِم (وهيي قدمايي) وهو الذِي عمَّدَ في نهرِ الحَيَاةِ (أرذنا ما هيا) رسولَ الحَيَاةِ (هيفل زيوا) وآخِرَيْنِ (شيتل وانوش) ومعنَى هذا التَّعمِيدِ أنَّهُ كشَفَ لهُم اسمَ الحَيَاةِ الأُولى (هيي قدمايي).

وملكا دنهورا يمكِّنُ عالَمَاً نورانِيَّاً يسمُّونَهُ (الما دنهورا) ولمَّا أرادَ الخَلْقَ صَاحَ صَوْتاً فوُجِدَ للحَالِ (ملكا مارا دربوثا أليثا) (أي الملكُ صاحبُ العظَمَةِ

---

[1] ومن أسمائه أيضاً: (الحياة) (هي) وهو عندهم تقوّل (وهو) بالتّذكير لأنّ المدلول عليه مذكّر لا مؤنث فتتّبع في ذلك المعنى لا اللّفظة حاذين حذو الصّابئة في هذا الصّدد، في ثلاثة أقانيم وُجدوا معا. وهذا ترتيبهم: (هي قدمايي وهيي ثنيايي وهيي ثلثايي) ومعنى ذلك الحياة الأولى والحياة الثّانية والحياة الثّالثة. لكلّ من هذه الأقانيم أسماء وألقاب ونعوت مختلفة. هذا وإذا رأيت اسم الحياة وحدها في كتبهم وأسفارهم الدّينيّة. فاعلم أنّ المُراد بها هذه الأقانيم الثّلاثة معا. ولهذا لا تتعجّب حينما ترى التي ترجع إلى هذه اللّفظة المُفردة المؤنّثة مجموعة جمعا مُذكّرا. فاحفظ ذلك لأنّه مهمّ في بابه.

العلِّيَّةِ) ثمَّ صاحَ صيحَةً ثانِيَةً فوُجِدَ (مندا دهيي) أي معرفَةُ الحَيَاةِ أو رسولُ الحَيَاةِ، وهذا نرَاهُ بـ (هيفل زيوا وشيتل واترش أثرا ويوشا من دخيا وشبا ربا وأواثر راما) الخ.

والخلاصَةُ أنَّ الولادَةَ في الرَّوحَانِيِّينَ هِيَ على طريقَةِ النِّدَاءِ والدُّعاءِ.. وكلُّ رَوحَانِيٍّ يريدُ خَلْقَ رَوحَانِيٍّ آخَرَ ينادِيهِ فيُخْلَقُ، وحينئِذٍ يعتَبَرُ بمنزَلَةِ ابنٍ لِمَنْ نادَاهُ. والرَّوحَانِيُّونَ عديدُونَ لا يكادُ عددُهُم يُحصَى، ويُقسمُونَ إلى مراتِبَ مختلِفَةٍ يُطلَقُ عليهَا اسمٌ واحدٌ وهو (آلمي دنهورا) أو (ابنِي دنهورا) أي **خَلْقُ النُّورِ أو أبنَاءُ النُّورِ**. وقدْ جَاءَ في (الكنزِ ربا) ما معنَاهُ: خَلْقُ النُّورِ خَلْقٌ في منتهَى الكمَالِ الذِي يمكنُ لمثلِ هذا الخَلَقِ أنْ يكونَ فيه، وهو منتشِرٌ في الرَّبيعِ والمسَاكنِ والأنهَارِ والأشجَارِ. ومنهُم: **(المتسَامُونَ)** وهُم جنسٌ مِنَ الرَّوحَانِيِّينَ يُسمَّوْنَ بلسانِهِم "أثرِي" والملوكَ "ملكي" وفي جميعِهِم الضِّياءُ والنُّورُ والجمَالُ والبهَاءُ. ومِنْ طبقَاتِ الرَّوحَانِيِّينَ: الطُّيورُ **"بيري"** والأنواعُ **"ماني"** وذَوُو الجلالَةِ **"اشخيناتي"** والأبوابُ **"تيري"** والعظمَاءُ **"روورباني"** والملائكَةُ **"ملاكي"** المسَاكِنُ **"مشكني"** والأنهَارُ **"يردني"** والجدَاولُ **"ارهاطي"** الخ. وترَى مِنْ هذا كلِّه أنَّهُم ليسُوا متسَاوينَ بل بعضُهُم أعظَمُ قدْراً مِنْ بعضِهِم الآخرِ وأرفعُ جاهَاً ودرجَةً بحسبِ قِدَمِهِم ومرتَبَتِهِم التِي يرجعُونَ إليها.

وبناءً عليه فإنَّ أقسَامَ الرَّوحَانِيِّينَ عندَهُم تشبِهُ أقسَامَ الملائكَةِ عندَ النَّصَارَى مِنْ قوَّاتٍ وعظمَاتٍ وكراسِيَّ وكروبيِّينَ وسرُوفِيِّينَ وملائكَةٍ ورؤسَاءِ ملائكَةٍ الخ. **ولكلِّ رَوحانِيٍّ مِنْ هذهِ المَراتبِ وظيفَةٌ خاصَّةٌ يقومُ بها صاحِبُها.** وهُم كلُّهُم بمنزلَةِ الوزرَاءِ والخَدَمَةِ لملْكا دنهورا يعظِّمُونَهُ ويسبِّحُونَهُ ويمجِّدُونَهُ، ومِنْ ذلكَ ترَى أنَّهُ بمنزلَةِ الإلهِ الأعظمِ عندَنا نحنُ النَّصَارَى.

ـ مانا العالم نفسهُ:

ومِنْ مُعْتَقَدِ الصَّابِئَةِ كذلكَ **أنَّ (مانا) هو العالَمُ نفْسُهُ**، وأنَّ هذهِ الأنفُسَ لكونِها بشريَّةً فإنَّها لا تُرى، ولكونِهَا العالَمَ نفسَهُ تُرى على حدِّ ما تُرى الشَّمسُ في البحرِ. وهذهِ النَّفْسُ لم تكنْ متوانِيَةً ولا عاجِزَةً ولذا غدَت أُمَّاً لألوهيَّتِها وعلى طبقٍ ما تلِدُ النَّارُ نورَها. وهذهِ الإلهَةُ. واسمُها عندَهُم (بيري) أي الطَّائرُ الأعظمُ أو الفقنسُ. لا متبدِّلَةٌ ولا فانِيَةٌ؛ ثمَّ كأنَّها وَضَعَتْ بيضَةً في مأوَاها النَّيِّرِ، واسمُهُ عندَهُم آبر، وهو المَلُّ الإلهِيُّ (Plerome)[1] فجاءَت منها موجُودَاتٌ شبيهةٌ بها وأزليَّةٌ مثلُها، واسمُها كاسمِها أي (بيري).

ـ مانا ملكا دنهورا:

وأوَّلُ موجُودٍ وُجدَ مِنْ زلالِ (لا مِنْ محٍّ) هذهِ البيضَةِ كانَ (مانا ملكا دنهورا) ثمَّ صدَرَ عنها أنواعٌ أخرَى مِنَ الـ (مانا) مِنَ الواحدِ والشَّيْءِ بعدَ الشَّيْءِ، ثمَّ وُجدَت النَّارُ الآكلَةُ والنُّورُ والمَاءُ الحَيُّ والحيَاةُ نفْسُهَا. ثمَّ إنَّ هذهِ الحيَاةَ التِي وُجدَت آخرَ الكُلِّ كانَت ثلاثيَّةً، وكلُّ حيَاةٍ منها تفوقُ صاحبَتَها قدْرَاً ومنزِلَةً بحسبِ دُنوِّها مِنْ مصدَرِها. فـ (هيي قدمايي) أو الحيَاةُ الأُولى. وإنْ شئتَ قلْتَ الحيَاةُ الأَوَّلُ لأنَّ مدلولَها مُذكَّرٌ. وهِيَ ثابتَةٌ وغيرُ متزعزِعَةٍ وشبيهَةٌ بالإلهَةِ العظْمَى؛ وابنتُها وهِيَ: (هيي شنياني) أي الحيَاةُ الثَّانِيَةُ، ويُقالُ لها أيضَاً (يوشامن دخيا) فإنَّها لا تخلُو مِنْ عيبٍ ورذِيلَةٍ لأنَّها طامحَةُ البصَرِ إلى التَّسلُّطِ؛ وابنتُها وهِيَ (هيي ثلثايي) أي الحيَاةُ الثَّالثَةُ، ويُقالُ لها أيضَاً (أواثر) فإنَّها غبيَّةٌ وجريئَةٌ، ولذلكَ دفعَتْهَا رغبَتُها إلى مشارَفَةِ أعمَاقِ (ميا اسيافي) أي المَاءُ

---

[1] المَلُّ: الرَّمادُ الحارّ بعد همود النّار وانطفائها. (المقوّم اللّغويّ).

الأزرَقُ، ويُرادِ به أيضَاً المَاءُ الأسوَدُ[1] الفُراتُ فيها صورَتُها، وقد انقلَبْت هذهِ الصُّورةُ إلى صورَةِ ابنِها مع أنَّ ذلكَ المثَالَ لمْ يكنْ إلَّا مِنَ الظَّاهرَاتِ الخادعَةِ الكاذبَةِ.

ووُلد بعدَ ذلكَ (بتاهيل) وكانَ مكَّارَاً جبَّاراً! إذ يُروَى عنه أنَّهُ خلَّصَ السَّيَّالَ الذِي وُجدَ فيه مِنْ نارِهِ السِّرِّيَّةِ حتَّى غدا صلبَاً، وهو أيضَاً أبو البشَرِ وخالقُهُم، لكنَّه لمْ يُعطَ قوَّةً يتمكَّنُ بها مِنْ إيداعِ الجسَدِ الذِي يخلقُهُ نفْسَاً (نشمنتا) تحييهِ، أمَّا الذِي نفخَهَا فيه فهو (ملكا دنهورا) وهو الذِي أقامَ أيضَاً تلكَ النفْسَ سيِّدَةً على العالَمِ المخلُوقِ. وقدْ أثارَ هذا التَّصرُّفُ الحسَدَ في صدُورِ مدبِّري النُّجومِ فانقضُّوا انقضَاضَ الصَّاعقَةِ على الأرضِ وأذَوْا النَّفْسَ شرَّ أذيَّةٍ... ولمْ تقعْ هذهِ الأمُورُ كلُّها جمعَاءَ إلَّا بعدَ أنْ عُيِّنَ لها ما يضَادُّها ممَّا هو خيرٌ منها.

ثمَّ إنَّ السَّماءَ احتجَبَت بسمَاحٍ مِنْ (أواثر) بحجَابِ الظَّلامِ الخَارجِ مِنَ الجَحِيمِ بعدَ أنْ كانَت صافيَةً متلألِئَةً حينَما خرجَت مِنْ يدِ (جبرائيل) أقدَمِ الرَّوحَانِيِّينَ، واستشاطَ (أواثر) بعدَ ذلكَ غضَباً وعاقبَ الجانِينَ عنْ بكرَةِ أبيهِم فحكَمَ على (بتاهيل) أنْ يبقَى مُصفَّداً بالسَّلاسلِ إلى نهايةِ العالَمِ. وحكَمَ على مدبِّري النُّجومِ أنْ تؤذيَهُم النَّارُ عوضَاً عنْ أنْ يشعُّوا نورَاً، ثمَّ بعثَ (هيفل زيوا) ويرجعُ الفضلُ في ذلكَ إلى جبرائيلَ، فكانَ رسولَ الحيَاةِ، ولمَّا لمْ تكنْ قوَّتُهُ أدنَى مِنْ قوَّةِ سائرِ الرَّوحانِيِّينَ أعادَ إلى العالَمِ الأرضِيِّ بهاءَهُ وورونَقَهُ وقوَّى

[1] على حدّ ما يريد العرب بلفظ الأسود التي معناها الأخضر ومنها (سواد العراق) وما كان خلاف البياض. وهو المعنى المشهور.

روحَ الإنسَانِ الأوَّلِ حامته ليقاومُوا المُقاومَةَ كلَّها مَنْ يكيدُ لهُم المكائدَ ويفتلُ منهُم في الذُّورَةِ والغَاربِ.[1]

ـ اعتقادُهُم بالعَواقِب:

وأمَّا مِنْ جهَةِ عقيدَتِهِم بالعواقِبِ فإنَّهُم **يؤمِنُونَ منها بالمَوْتِ وبالنَّعيمِ وبالعذَابِ الأليمِ ـ المُؤقَّتِ ـ وبدينونَةٍ خاصَّةٍ بعدَ المَوْتِ لكنَّهُم لا يؤمنُونَ بالحشْرِ**.

أمَّا اعتقادُهُم بالمَوْتِ وبالدَّينونَةِ فهو على الوجْهِ الآتِي: وذلِكَ أنَّ السَّيْنَ ـ وهو القمرُ عندَهُم ـ يهوِي مِنْ موطِنِهِ ويقفُ على رِجْلِ المُحتَضَرِ، وينحدِرُ معه رَوحَانِيٌّ اسمُهُ **(قهامير زيوا)** لكَيْ لا يدَعَ القمَرَ يتصرَّفُ بالمدْنَفِ[2] المشرِفِ على المَوتِ تصرُّفَ الطَاغيَةِ العسُوفِ[3] بالعاجزِ الضَّعيفِ. وقبْلَ الموت بهُنَيْهَةٍ **يذبحُ السَّيْنُ الميِّتَ ذبحَاً إنْ كانَ صابِئاً ويخنُقُهُ خنقَاً إنْ كانَ غيرَ صابِئ، وكلا الذَّبحِ والخنْقِ لا يرَاهُ الحاضرونَ**. ثمَّ إنَّ النَّفْسَ تذهبُ إلى (مطرتا)[4] العالَمِ الخاصِّ بها. لأنَّ لكلِّ مِلَّةٍ عالَمَاً ولكلِّ عالَمٍ موطنُ سعادَةٍ وشقَاءٍ. أمَّا (مطرتا) الصَّابِئَةُ فتُسمَّى **(مطرتا بتاهيل)**. وبعدَ أنْ تؤدِّيَ النَّفْسُ ما عليها مِنَ العذابِ بمُوجَبِ خطيئَتِها تتخلَّصُ مِنْ (مطرتا بتاهيل) ثمَّ تذهبُ إلى مطرتا أخْرَى وهكَذا إلى **سبعِ مطراتٍ** إنْ كانَ عذابُها يستوجِبُ ذلكَ، ويوجدُ مثلُ هذهِ

[1] الذّروة رأس السّنام من النّاقة. والغارب: ما بين سنامها إلى عنقها. (المقوّم اللّغويّ).

[2] أدنفه المرضُ: أثقله. والدَّنِفُ المريض. (المقوّم اللّغويّ).

[3] العَسُوفُ: الظَّلوم. (المقوّم اللّغويّ).

[4] المطرتا وبالآراميّة ويجمعونها على (مطراتي) موطن في الآخرة بغضّ النّظر عن ال... من سعادة أو شقاء إذ يوجد مطراتي للأبرار ومطراتي للأشرار واللّفظة مُشتقّة من فعل

المطراتِ في العوالِمِ السَّبعةِ الأخرَى. وبعدَ أنْ تُطَّهَر مِنْ ذنوبِها وآصَارِها في مطرتا واحِدَةٍ أو (مطرات) عديدةٍ تصيرُ إلى (مطرتا أواثر) وفي ذهابِها إليها يخرجُ عليها عبيدُ المطراتِ السَّبعِ فيسألونَها أسئلَةً فإنْ أحسَنَت الإجابَةَ عنها تركُوها وشأنَها وإلَّا قبضُوا عليها وأخذُوها تحتَ سطوتِهِم، ولهذا يجتهدُ أتقياءُ الصَّابِئَةِ بتلقينِ أولادِهِم هذهِ الأسئلَةَ والأجوبَةِ منذُ نعومَةِ أظفارِهِم[1] بأسماءِ الحيَاةِ (الثُّلاثِيَّةِ) العظيمَةِ. ثمَّ تبلغُ (النَّفْسُ) إلى الأسرارِ السَّبعَةِ فيخرُجُ قدَّامَها عبيدُ (المطرات) ويجيئُونَ متجمِّعِينَ عليها وسائِلِيها قائلِينَ: يا نفْسُ مِنْ أينَ أتيتِ وإلى أينَ تذهبينَ؟ فتقولُ لهُم: جئتُ مِنَ المكانِ الذِي يُقالُ له: (الأرضُ) وأنزلُ نحوَ الحدودِ (أو التُّخومِ أو الأرجاءِ) الطَّيِّبَةِ. فيقولُونَ لهَا: عبدُ مَنْ أنتِ؟ ورسولُ مِنْ أنتِ (تُذكَّرُ) فتقولُ لهُم: أنا عبدُ الأرجاءِ المحبُوبَةِ ورسولُ (آير سفيا) . هو مِنَ الرَّوحانِيِّينَ ومعنَى اسمِهِ الأثيرُ الزَّاخرُ وهو الملء الإلهِيُّ Plerome) فحينئِذٍ يباركُونَها ويحترمُونَها ويحفظُونَها ويقُولُونَ لها: كلُّ مَنْ يعرفُ هذا السُّؤالَ يصعدُ نحو الحدُودِ (أو الأرجاءِ regions) الطَّيِّبَةِ. وإذا أخفَى الواحدُ سرَّ المكانِ (أي الأرضِ) لا يصعَدُ نحوَ الحدُودِ الطَّيِّبَةِ.[2]

---

[1] وكما أنّ الإفرنج وكلّ من كتب عن المندائيّين قد شوّهوا لفظ هذه الّلغة وكلّ منهم قرأها قراءة تختلف عن صاحبه في بعض من الأحيان نورد هنا لفظ هذا النّصّ بشكل دقيق. وقد وضعنا هذه العلامة، وهي ضمة مقلوبة للإشارة إلى لفظ يقابل الحرف O الفرنسيّ. وهذه العلامة! وهي صغيرة للإشارة إلى تفخيم الألف كما في خدا (أي الله) بالفارسيّة وهذه العلامة ' وهي نصف سكون متّجه رأسها نحو يمين القارئ للإشارة إلى لفظ يقابل e في le الفرنسيّة. لكن من دون أن تفقد كيفيّة هذا الصّوت عند انضمامها إلى حرف آخر. بخلاف ما يحدّث بالفرنسيّة فإنّك إن قلت le لفظتها لفظ الألف غير الصّريحة وإذا وضعت حرفا آخر وراءها مثلا، تقول في les هكذا le ونحن نريد أن يبقى حال e بدون تغيير.

[2] يُشار إلى أنّ قريبا من كلّ هذا موجود في الشّريعة الإسلاميّة حيث وردت أحاديث في سؤال الملائكة نفس الميْت فإن أحسن الإجابة تقول لها الملائكة: ارقدي بسلام. ففي الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد بن حنبل: عن البراء قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في=

=جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلحد فجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجلسنا حوله كأنّما على رؤوسنا الطّير وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، ثلاث مرّات - أو مرّتين. قال: إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدّنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه من السّماء ملائكة بيض الوجوه كأنّ وجوههم الشّمس حتّى يجلسوا منه مدّ البصر، معهم كفن من أكفان الجنّة وحنوط من حنوط الجنّة يجيء ملك الموت فيقعد عند رأسه فيقول: أيّتها النّفس الطّيّبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السّقاء، فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين حتّى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلّا قالوا: ما هذا الرّوح الطّيّب؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كان يُسمّى بها في الدّنيا، حتّى ينتهي بها إلى السّماء الدّنيا فيستفتح فيفتح لهم فيستقبله مِن كلّ سماء مُقرّبوها إلى السّماء التي تليها حتّى ينتهي به إلى السّماء السّابعة، قال: فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليّين في السّماء السّابعة وأعيدوه إلى الأرض فإنّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتُعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربيّ الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرّجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فيقولان: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدّقت به. فينادي مناد من السّماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنّة وألبسوه من الجنّة وافتحوا له بابا إلى الجنّة، فيأتيه من طيبها وروحها ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثّياب طيب الرّيح فيقول: أبشر بالذي يسرّك هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصّالح، فيقول: ربّ أقم السّاعة حتّى أرجع إلى أهلي ومالي. وإنّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدّنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السّماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح حتّى يجلسون منه مدّ البصر، ثمّ قال: ثمّ يجيء ملك الموت حتّى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيّتها النّفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه. قال: فتُفرّق في جسده، قال: فتخرج فينقطع معها العروق والعصب كما تنزع السّفود من الصّوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتّى يأخذوها فيجعلوها في تلك المُسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على ظهر الأرض، فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلّا قالوا: ما هذا الرّوح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمّى بها في الدّنيا حتّى ينتهي به إلى سماء الدّنيا فيستفتحون فلا يفتح له ثمّ قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: {لا تفتّح لهم أبواب السّماء ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخِياط} سورة الأعراف (٤٠) قال: فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتاب عبدي في سجّين في الأرض السّفلى وأعيدوه إلى الأرض فإنّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتُطرح روحه طرحا وقال ثمّ قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. {ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير أو تهوي به الرّيح في مكان سحيق} سورة الحجّ (٣١) قال: فيُعاد روحه في جسده ويأتيه الملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. قال: فينادي مناد=

وأمَّا النَّعيمُ، ويسمُّونَهُ عندَهُم (آلما دنهورا) أي عالَمُ الأنوارِ **فيروُونَ عنه ما يقولُهُ النَّصَارَى عنْ السَّماءِ نفْسَهُ،** أي أنَّه لا حرَّ فيه ولا بردَ ولا لصُوصَ ولا أذىً مِنْ أيِّ نَوْعٍ كانَ، وهناكَ يكونُ النُّورُ والضِّياءُ والبهاءُ متوافِرَاً، ويجدُ الإنسَانُ في عالَمِ النُّورِ كلَّ ما يرغبُهُ مِنَ الَّلذائذ والطَّيِّبَاتِ الخَاليَةِ مِنْ كلِّ زللٍ أو إثمٍ أو إصْرٍ.[1]

=من السّماء افرشوا له من النّار وألبسوه من النّار وافتحوا له بابا إلى النّار. قال: فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيّق عليه قبره حتّى تختلف عليه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثّياب منتن الرّيح فيقول له: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشّرّ. فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربّ لا تقم السّاعة ربّ لا تقم السّاعة". (المقوّم اللّغويّ).

[1]من ذلك ما ورد في رسالة الرّسول بولس الأولى إلى مؤمني كورنثوس ٢: ٩ (وفقا لما كُتب إنّ ما لم تره عين و لم تسمع به أذن ولم يخطر على بال بشر قد أعده الله لمحبيه). وكذلك يوجد نصّ مماثل عند المسلمين هو الحديث ـ القدسيّ ـ الذي ينقله النّبيّ محمّد عن الله يقول فيه: (أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ـ اقرؤوا إن شئتم: (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وفي خصوص انعدام البرد والحرّ يقول القرآن: (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً). (سورة الإنسان). (١١ـ١٨).

ويقول بخصوص اللّذائذ في سورة فصّلت: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ). (٣٠ـ ٣١).

وفي سورة الزّخرف: (يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ). (٦٨ـ ٧٢). (المقوّم اللّغويّ).

أمَّا الجحيمُ فعذابُهُ عندَهُم **ليسَ بأبدِيٍّ بل وقتِيٌّ، وأطولُ عذابٍ عندَهُم يكونُ إلى فَنَاءِ العالَمِ**، وهذا الفَنَاءُ يكونُ على هذا الوجهِ: (زيقا تا شم) أي (تهبُّ ريحٌ) عاصفَةٌ فتمهِّدُ أوتادَ الأرضِ وتدفنُ مطمئِنَّاتِها وأجوافَها،[1] ثمَّ يصيرُ القمَرَانِ وسائرُ المتحيِّرَاتِ التِي هي أولادُ (الروهاية) إلى (آلي دنهورا) وأمَّا بقيَّةُ النُّجومِ التِي لا حيَاةَ لها فتتنَاثَرُ وتهوي هويَّاً مِنْ مواطِنِها فتضمَحِلُّ. ثمَّ إنَّ سبعَ طبقاتِ السَّمَاءِ تُطوَى طيَّ الدَّرجِ[2] فيبتلعُها (الأور) وبعدَ أنْ يسترطَها يأتِي إليه (هيفل زيوا)[3] فيقولُ له بأعلَى صوتِهِ وتلفظ : أُهلى (ehle) مناثا بكرسخ أي: **لي سهْمٌ في جوفِكَ**. فيفتحُ الأورُ فمَهُ رغماً عنه، ويجوِّفُ النُّفوسَ الصَّابِئِيَّةَ، أي يقذفُها مِنْ جوفِهِ، **أمَّا سائرُ نفوسِ بقيَّةِ المِلَلِ فلا تُجوَّفُ** بل تبقَى في موطِنِها وتضمَحِلُّ فيه عائدَةً إلى القِدَمَ. وأمَّا سبعُ طبقَاتِ الأرضِ القائمةُ على ظهرِ الأورِ فتسقطُ عنه عندَ سماعِهِ صوتَ (هيفل زيرا) الجهوَرِيَّ وتغدُو بحرَاً عذبَاً كما كانَت قبلَ الخلقِ.

[1] مطمئنات الأرض: الأماكن المنخفضة منها. والأجواف الوديان. (المقوّم اللّغويّ).

[2] وفي القرآن عند المسلمين حول دفن مطمئنات والأرض وأجوافها: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ). سورة النّازعات (١٤.١٣). والسّاهرة هي الأرض المستوية.

وحول أوتاد الأرض. الجبال. يقول: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا) سورة طه (١٠٥.١٠٦).

وفيه حول تناثر الكواكب والنجوم: (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ) سورة الانفطار (٢).

وفي سورة المرسلات يقول: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ). (٧.١٠).

وفيه حول طيّ السّموات: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ). سورة الأنبياء. (١٠٤). (المقوّم اللّغويّ).

[3] (سَرِطَ) الشّيءَ بلعه و (اسْتَرَطَهُ (ابتَلعَهُ). وفي المثل: لا تكن حلوا فتُسترط ولا مرّا فتُعقى. أي تُرمى من الفم للمرارة. وقولهم في القرض: الأخذُ سُرَّيْطَى والقضاء ضُرَّيْطَى. أي يَسْتَرِطُ مَا يَأْخُذُ مِنَ الدَّيْنِ فَإِذَا تَقَاضَاهُ صَاحِبُهُ أَضْرَطَ بِهِ. (المقوّم اللّغويّ).

ـ مُعتقَدَاتُهُم في الكَواكِبِ وقرَابينُهُم لها:

أمَّا مِنْ جهة اعتقادِهِم بالكواكِبِ والنُّجوم، فإنَّ الصَّابِئَةَ الحَرَّانِيَّةَ كانُوا يذهبُونَ إلى أنَّها **أرواحٌ سماويَّةٌ لا يتطرَّقُ إليها الفسَادُ أو الفَنَاءُ وكانُوا يقرِّبُونَ لها القرابِينَ البشريَّةَ ويبتهِلُونَ إليها**، وهو أمرٌ ليسَ فيه شبهَةٌ.[1]

قالَ في كتابِ **(السِّرُّ المكتُومُ في مخاطَبَةِ النُّجومِ)** ما نصُّهُ: (هيكلُ المشترِي هو مثلَّثُ الشَّكْلِ وأعلاهُ محدَّبٌ، وهو مبنِيٌّ بالحجَارَةِ الخُضْرِ المسنيَّةِ ومدهُونُ الجدرَانِ دهَاناً أخضرَ؛ وستورُهُ حريرٌ أخضرُ وفي وسطِهِ مقعدٌ فوقَ ثمانِي درجٍ. وعليه صنمٌ مِنَ القصدِيرِ، وله سدَنَةٌ لا يزالُونَ في تعمُّدٍ له؛ فإذا كانَ يومُ الخميسِ. ويكونُ المشترِي في شرقِهِ. أتَاهُ الصَّابئُونَ وهُم لابسُونَ الأخضرَ وبأيديهِم أغصَانٌ مِنَ السَّروِ وقدْ تقلَّدُوا بقلائدَ مِنْ جوزِ السَّروِ ويكونُ معهُم صبِيٌّ رضيعٌ، ويكونُونَ قد اشترَوْا جاريَةً ووطِئَها سدَنَةُ الهيكَلِ وحمَلَت ووضَعَت صبِيَّاً، **فيأتُونَ بها وبه بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ مِنْ وضعِها فينخسُونَهُ بالإبرِ وهو على يدِها حتَى يموتَ ويقولُونَ: (أيُّها الرَّبُّ الخيِّرُ قرَّبْنا إليكَ مَنْ لا يعرِفُ الشَّرَّ. فتقَبَّلْ قربانَنا وارزقْنا خيرَكَ وخيرَ أرواحِكَ الخيِّرَةِ)**.

وقالَ عنْ هيكلِ المرِّيخ: (هيكلُ المرِّيخِ مربَّعُ الشَّكلِ وسائِرُهُ أحمَرُ اللَّونِ مدهُونَ بالدِّهانِ الأحمَرِ، وستورٌ حُمْرٌ وبه أسلحَةٌ مُعلَّقَةٌ، وفي وسطِهِ مقعَدٌ قائمٌ

[1] كان تقديم القرابين البشريّة للآلهة أمرا غير مُستهجن، حتّى إنّ القرآن أورد. من غير نكير. أمر الله لإبراهيم في الحلم، وحلم الأنبياء يُعتبر وحيا بحسب العقيدة الإسلاميّة... أورد أمره لإبراهيم بذبح ابنه من غير أن يحدّد مَن هو الابن المقصود إسماعيل أم إسحاق: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلام حَلِيم فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَام أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ). سورة الصّافات (٩٩. ١٠٧). (المقوّم اللّغويّ).

على سبعِ درجَاتٍ فوقَهُ صنمٌ مِنْ حديدٍ وبيدِهِ الأُولى سيفٌ وبالأخرَى رأسٌ مُعلَّقٌ بشعرِهِ؛ والرَّأسُ مُخضَّبٌ بالدِّماءِ ويأتونَهُ يومَ الثُّلاثاءِ حينَما يكونُ المرِّيخُ في شرقِهِ وقدْ لبسُوا الأحمرَ وتلطَّخُوا بالدِّمَاءِ وبأيديهِم خناجِرُ وسيوفٌ ومعهُم رجُلٌ أشقرُ أنمشُ أحمَرُ أبيضُ الرَّأسِ مِنْ شدَّةِ الشُّقرَةِ والصُّهبةِ[1] فيدخلُونَهُ في حوضٍ مملوءٍ زيتاً وأدويَةً تعفِّنُ الَّلحمَ والجلدَ بسرعةٍ؛ ويشدُّونَهُ بأوتادٍ في قعرِ الحوضِ مغمُوراً بالمَاءِ المذكورِ سنةً.

ـ صلاة إلى الرَّبِّ الشِّرِّير:

فإذا انقضَى الحولُ، جاؤُوا إلى رأسِ ذلكَ المغمورِ فانتزعُوهُ عنْ البدَنِ بعروقِهِ وشعرِهِ وأتَوْا به الصَّنَمَ وقالُوا: **(أيُّها الرَّبُّ الشِّرِّيرُ والطَّائشُ الذِي تحبُّ القتلَ والخرابَ والحرقَ وسفكَ الدِّماءِ: قرَّبْنا إليكَ ما يشبهُكَ فتقبَّلْ منَّا واكفِنَا شرَّكَ وشرَّ أرواحِكَ)**. وهُم يزعمُونَ أنَّ الرَّأسَ يكلِّمُهُم بمَا يصيبُهُم في سَنَتِهِم مِنْ خيرٍ ومِنْ شرٍّ.[2]

وقدْ ذكرَ صاحبُ الكتابِ المذكُورِ سُنَنَ الصَّابِئَةِ الحرَّانِيَّةِ لكلِّ واحدَةٍ مِنَ السَّيارَاتِ معَ وصفِ الهياكِلِ الخَاصَّةِ بها على الوجهِ الذِي ألمعْنا إليه.

وأمَّا اعتقادُ صابئةِ هذا اليومِ في نواحِي العراقِ في النَّجومِ والكواكِبِ فهذا مُلخَّصُهُ: إن السَّيَّاراتِ خَلْقٌ على حدَةٍ لها نفْسٌ وجسَدٌ وكلُّها ذُكُورٌ إلَّا

[1] الصُّهْبةُ الشُّقْرة في شعر الرّأس وهي الصُّهوبة. والصَّهَبُ والصُّهْبة لون حُمْرةٍ في شعر الرّأْس والّلحية إذا كان في الظّاهر حُمْرةٌ وفي الباطن اسودادٌ. وكذلك في لون الإبل بعيرٌ أصهَبُ وصُهابيٌّ وناقة صَهْباء وصُهابيَّةٌ. (المقوّم الّلغويّ).

[2] وممّا جاء في عادة الصّابئة بخصوص القرابين البشريّة للكواكب ما ذكره البيرونيّ في الآثار الباقية (ص ٢٠٥) نقلا عن عبد المسيح بن إسحاق الكنديّ قال: (إنّهم يُعرفون بذبح النّاس ولكنّ ذلك لا يمكنهم اليوم جهرا).

(ليوت) يعنِي الزُّهْرَةَ فإنَّها أنثَى، **وكلٌّ واحدٍ مِنْ هذا الخَلْقِ يسيرُ على سفينَةٍ شراعِيَّةٍ في الفضَاءِ،** يخفُقُ على دقلِها الأعلى عَلَمٌ كبيرٌ يسمُّونَّهُ (درفشا)[1] وهِيَ كلمةٌ مِنْ أصلٍ فارسِيٍّ نقلَها العرَبُ إلى لغتِهم بصورَةِ (دِرَفْسٌ) بهذا المعنَى.[2] وهذا (الدّرفشا) نيّرٌ بذاتِهِ. وما غرُوبُ السَّيَّاراتِ إلَّا عبارةٌ عنْ طَيِّ هذا

---

[1] الدّقل والدّوقل: خشبة طويلة تُشدّ في وسط السّفينة يُمدّ عليها الشّراع. وما في الحديث: فصعد القرد الدّقل. هو من ذلك، وتسمّيه البحريّة الصّاري، وقيل: الدّقل سهم السّفينة. (المقوّم الّلغويّ).

[2] الدِّرَفْسُ العظيم من الإبل وناقَة دِرَفْسَةٌ. والدِّرَفْسُ: البعير الضَّخمُ العظيمُ. والضَّخمُ من الرِّجالِ، والعَلَمُ الكبيرُ.

ولابن قيس الرُّقَيَّات:

تَكِنّهُ خِرْقَـةَ الدَرَفـسِ مِـنَ الشّمـ ـــسِ كَلَـيْثٍ يَفَـرِّجُ الأجَمَـا

*****

والدِّرَفْسُ: الحَرِيرُ . ودَرْفَسَ الرَّجُل دَرْفَسَةً: ركب الدِّرَفْسَ من الإبل أو حَمَلَ العَلَمَ الكبير. والدِّرْفَاسُ: الأَسَدُ عَظيم الرَّقَبة.

وللبحتريّ الشّاعر سينيّة يصف فيها إيوان كسرى يقول في مطلعها:

صنتَ نفسي عمّا يدنّس نفسي وترفعتَ عن جدا كلِ جبسِ

وتماسكتَ حين زعزعني الدهـ ـر التماسا منه لتعسي ونكسي

بُلَغ مِن صُبابة العيش عندي طفّفتها الأيّامُ تطفيفَ بخسِ

*****

إلى أن يقول:

لو تراه علمتَ أنّ الليالي جعلت فيه مأتما بعد عُرسِ

وهو يُنبيكَ عن عجائب قوم لا يُشاب البيان فيهم بلبسِ

وإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيّةَ ارتَعتَ بَينَ روم وَفرسِ

وَالمنايا مواثِلٌ وأنوشَر وإن يُزجي الصّفوفَ تحتَ الدَرَفسِ

في اخضرارٍ مِنَ اللباس على أصـ ـفَرَ يَختالُ في صَبيغَةِ وَرسِ

وعِراكُ الرِّجالِ بينَ يديه في خَفوتٍ منهُم وإغماضِ جَرسِ

مِن مُشيحٍ يَهوى بعامِلِ رُمحٍ ومليحٍ مِنَ السِّنانِ بِتَرسِ

*****

(المقوّم الّلغويّ).

اللّواءِ.. وإشراقُها نشرُهُ. **أمَّا رأيُ علماءِ الفلكِ في هذا الصَّددِ فيُنزَلُ عندَهُم منزلةَ الخَرافَاتِ المختَلِفَةِ، كما يَنْظِمُ الفلكِيُّونَ أقوالَ الصَّابِئَةِ في سِلكِ الرَّطَاناتِ والتُّرَّهَاتِ،**[1] ولهُم في اعتقَادِ الكواكِبِ آراءٌ وأقاويلُ غريبَةٌ إلَّا أنَّ مقامَ هذهِ المجلَّةِ يضيقُ عنْ استيفائِها، وأمَّا سائرُ النُّجومِ فهِيَ عبارَةٌ عنْ **لآلئ ودُرَرٍ** مختلفَةِ الحجْمِ والقدْرِ منبثَّةٍ في الفضّاءِ راجعَةٍ إلى أصحَابِ السَّيَّاراتِ أو إلى غيرِهِم، وأمَّا **النَّجْمُ القطبِيُ فهو دُرَّةٌ مُنزَّلَةٌ** على بابِ (أواثر).

ـ مُعتقداتُهُم في السَّيِّدِ المسِيحِ:

أمَّا مِنْ جهةِ اعتقادِهِم بالمسِيحِ وبيُوحنَّا المعمَدانِ فإليكَ تعريبَ ما قرأتُهُ في (الكنزا)[2] لا كما يوردُهُ عوامُّهُم قالَ. وقولُهُ كذبٌ كلُّهُ كما سترَى:

---

(1) الرّطانة هي الكلام باللّغة الأعجميّة، وراؤها تُفتح وتُكسر. ثمّ تمّ سحبها على كلّ كلام لا معنى له أو غير مفهوم. والتُّرَّهَاتُ الطُّرُقُ الصِّغَارُ غَيْرُ الْجَادَّةِ تَتَشَعَّبُ عنها الْواحدةُ (تُرَّهَةٌ) فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ثُمَّ استُعيرَ في الباطل. (المقوّم اللّغويّ).

(2) أو (كنزا ربا) ويعني باللّغة المندائيّة الكنز العظيم وهو أحد الكتب المقدّسة لدى الدّيانة الصّابئيّة المندائيّة ويعتقدون في أنّه يجمع صحف آدم وشيت وسام ويتألّف الكتاب من (١٨) كتابا في (٦٢) سورة تقع في نحو (٦٠٠) صفحة وهو في قسمين:

القسم الأوّل: يتضمّن سفر التّكوين وتعاليم "الحيّ العظيم" والصّراع الدّائر بين الخير والشّرّ والنّور والظّلام، وكذلك هبوط "النّفس" في جسد آدم ويتضمّن كذلك تسبيحا للخالق وأحكاما فقهيّة ودينيّة.

القسم الثّاني: ويتناول قضايا "النّفس" وما يلحقها من عقاب وثواب، وقد تمّت ترجمة أوّل نسخة عربيّة للكتاب في التّسعينيّات من القرن العشرين من قبل الشّاعر العراقيّ المندائيّ عبد الرّزّاق عبد الواحد حسب كتاب "كنزا ربا" نفسه حيث ينصّ على: تمّت ترجمته من اللّغة المندائيّة مباشرة إلى اللّغة العربيّة من قبل الدّكتور يوسف متّى قوزي والدّكتور صبيح مدلول السّهيريّ، وأعدّ الصّياغة الأدبيّة الشّاعر المندائيّ الكبير عبد الرّزّاق عبد الواحد سنة (٢٠٠٠م). (المقوّم اللّغويّ).

فأُعيدُ عليكُم الكلامَ يا تلامذتِي:[1] إنَّ (مشيها) هو (المسيح) ويُقالُ له عطارِدُ،[2] سوفَ يختفِي أشهراً عدَّةً في أحشَاءِ (أمٍّ بتولٍ) ثمَّ يُبذرُ منها بجسَدِهِ، فيربُو في حجْرِ والدَتِهِ ويرضَعُ مِنْ لبنِهَا وينشُأ بينَ ظهرانَيْ اليهُودِ ويَعْرِضُ مذهبَهُ كلَّهُ منذُ أوَّلِ نشأتِهِ، ثمَّ يُعِدُّ لنفْسِهِ عَبَدَةً له ويُكرِهُ أصحَابَهُ على استشعارِ المَعْزِ،[3] وجزِّ شعورِ الرُّؤوسِ فيرِيْنُ الهوَى على قلوبِهِم مِنْ حيثُ لا يدرُونَ؛ ثمَّ إنَّ أصحَابَهُ يقومُونَ بعيدِهِ يومَ الشَّمسِ، وسوفُ يقولُ لهُم: **(إنِّي إلهٌ حقٌّ وقدْ أرسلَنِي أبِي إلى هنا، إنِّي أنا أوَّلُ الرُّسُلِ وخاتمُهُم، إنِّي الأبُ وإنِّي الرُّوحُ القُدُسُ وقدْ نبغْتُ في النَّاصرَةِ)** ولهُ عرْشٌ، وسوفَ يرفعُ النَّاسُوتَ بالنَّاسُوتِ. وسوفَ ينتقلُ إلى أورشلِيمَ. وإنَّ اليهودَ سوفَ يتألَّبُونَ عليه بمَا يرَوْنَ منه وسوْفَ يريهِم مُعجِزَاتٍ وآيَاتٍ غريبَةً حتَّى إنَّهُ ينشرُ الموتَى مِنَ القبُورِ ويعيدُ الكلامَ إليهِم، وسوفَ يدعُو اليهُودَ ويقولُ لهُم: تعالَوْا وعايِنُوا فإنِّي أحيِي المَوْتى وأنشُرُهُم، وأدفعُ الجزيَةَ، وإنِّي أنا (أنوشُ النَّاصرِيِّ) وإنَّ الرُّوحَ نفْسَهُ سوفَ يسمَعُ صوتَهُ في أورشلِيمَ ليشهَدَ له. أمَّا مشيها فإنَّهُ يفتنُ أبنَاءَ النَّاسِ يعمِّدُهُم بمَاءٍ قابلٍ للجفافِ ويغيِّرُ عمَادَ الحيَاةِ إذ يُعمِّدُ المتشيِّعِينَ له: (باسمِ الأبِ والابنِ والرُّوحِ

---

[1] هذا كلام هيفل زبوا وهو الرّوحانيّ الذي نزل إلى العالم وأوحى كتاب الكنزا إلى أبينا آدم على ما يعتقده الصّابئة. وقد أخرج كلامه مخرج النّبوّة لأنّهم يعتقدون كلّ الاعتقاد بقدم كتابهم هذا وبأنّه ينبئ عن جميع الأديان التي تحدّث على وجه الأرض وعن جميع الوقائع التي تقع فيه في مستقبل الزّمان إلى نهاية العالم.

[2] والصّابئيّة أنبو. قلت: يعتقد المندائيّون في أنّ كلّ واحد من السّيّارات هو صاحب ديانة على الأرض وقد جاؤوا إليها هابطين من العلاء شيئا بعد شيء ثمّ رجعوا إليها بعد تمكين ديانتهم في المعمور. ولهم في سيّاراتهم عوالم وسماء ومحلّ عذاب إلى غير ذلك. وعندهم أنّ المسيح هو عطارد كما ترى.

[3] أي عمل اتّخاذ شعر المعز شعارا يلبسونه.

القُدُسِ) ويُزحزِحُ النَّاسَ مِنْ عمادِ الحيَاةِ الذِي تعمَّدَ به آدمُ في مياهِ الأردُنِّ الحيَّةِ.

وفي ذلكَ العهدِ يُولَدُ ابنٌ اسمُهُ (يهيى بنُ أبر ساوا زكريَّا) ويأتِيهِ في شيخُوخَتِهِ. ويكونُ عمرُ أمِّهِ (اينثوي) مئةَ سنةٍ حينَما تحبلُ به. وتلدُهُ في هرمِهَا، وأمَّا (يهيى) فسوفَ ينشَأ في أورشليمَ لأنَّ الإيمَانَ يكونُ في صدرِهِ وسوفَ يطُوفُ الأردُنَّ، ويعمِّدُ النَّاسَ مدَّةَ اثنينِ وأربعِينَ سنةً قبلَ أنْ يأتِيَ العالمَ عطارِدُ المتجسِّدُ. وبعدَ ولادَةِ يهيي في أورشلِيمَ بينَما يطوفُ صُقْعَ الأردنِّ[1] يعمِّدُ سوفَ يأتِي: (مشيها) (المسيح) ويتقدَّمُ بتواضُعٍ ليصطبِغَ بعمَادِ يهيى وينتفعُ بحكمتِهِ.

ولكنَّ (مشيها) سوفَ يعبثُ بمذهب يهيي ويغيِّرُ عمادَ الأردُنِّ؛ غيرَ أنَّهُ في اليومِ الذِي يُتِمُّ يهيي مهمَّتَهُ آتِي إليهِ وأظْهَرُ له حينَما يكونُ ابنَ ثلاثِ سنينَ ويومٍ واحدٍ لأكلِّمَهُ عنْ العمَادِ، وأشرحَ له النِّعمَةَ الإلهيَّةَ، وفي آخرِ الأمرِ أستلُّ روحَهُ مِنْ جسدِهِ وأرفعُهُ مدَّةَ اثنتَيْنِ وأربعِينَ سنةً قبلَ أنْ يأتيَ العالمَ عُطاردُ المتجسِّدُ؛ وفي آخرِ الأمرِ أستلُّ روحَهُ مِنْ جسدِهِ وأرفعُهُ بالطَّهارَةِ والنَّقَاءِ إلى (آلما دنهورا) وأعمِّدُهُ في المَاءِ الحَيِّ المنعِشِ ماءِ الأردُنِّ الزُّلالِ وأُلبسُهُ لباسَ المجْدِ واضعَاً على مفرِقِهِ التَّاجَ النَّيِّرَ واسمُهُ أنشودَةُ القلبِ الطَّاهرِ تلكَ الأنشودةُ التِي تشبِهُ الأغنيَةَ التِي يغنِّيها ملوكُ النَّورِ ويسبِّحُونَ بها (ملكا دنهورا) إلى دَهْرِ الدَّاهرينَ.

إلَّا أنَّ العالمَ ينحَازُ إلى الكذبِ بعدَ يهيي. ويدفعُ المسيحُ جميعَ الشُّعوبِ إلى اتِّبَاعِ تعاليمِهِ، ويفعلُ مثلَ فعلِهِ اثنا عشَرَ مِنَ الرِّجَالِ الذِينَ سوفَ يطوفُونَ

---

[1] الصُّقْعُ بالضّم: النّاحية من الأرض. (المقوّم اللّغويّ).

العالَمَ مدَّةَ ثلاثين سنةً وفي تلكَ الحقبَةِ يظهرُ الدَّجَّالُ في الدُّنيا، ويقيمُ الدَّعوى عليه ويسلِمُهُ إلى أيدِي اليهُودِ ويترُكُهُ أصحَابُهُ يموتُ مسَمَّرَاً على صلِيبٍ؛ فحينئذٍ ينتشِرُ أصحَابُ المسيحِ على وجهِ البسِيطَةِ، وأمَّا هو (أي المسيح) فيختفِي على جبلِ (مورا) وكمَا أنَّ الشَّمسَ تُبقِي بخَاراً بعدَ وهجِهَا فإنَّ هذا المسيحَ يُثيرُ أيضَاً في الأرضِ تعاليمَهُ، أمَّا أبناءُ النَّاسِ الذِينَ دانُوا بدينِ الكَذَبَةِ السَّبعَةِ المعرُوفينَ باسمِ (مدبِّري الكواكِبِ السَّبعَةِ) فإنَّهُم يصيرُونَ إلى النَّارِ.

انتهَى كلامُ الكنزا.

هذا ونكتفِي بهذا القَدْرِ مِنْ ذكْرِ بعضٍ مِنْ مُعتَقَدَاتِ الصَّابِئَةِ لأنَّ مجَالَ هذا الموضُوعِ فسيحٌ، والإحاطَةُ به في صفحَاتٍ قليلَةٍ ضرْبٌ مِنَ المُحالِ. وقدْ رأيْتَ ممَّا مرَّ بكَ أنَّ ديانتَهُم خليطٌ مِنْ جميعِ الأديَانِ التِي سبقَت الميلادَ وجاءت بعده وبقِيَ على مثلِ ما تقدَّمَ الكلامُ عليه.

هدَى اللهُ الزَّائغينَ عنْ نهجِ الحَقِّ إلى الصِّرَاطِ المستقِيمِ.

الفصلُ الخامس
مِنْ شعَائرِ الصَّابئَةِ الدِّينِيَّةِ

ـ الصَّلاةُ ومكانُها:

ليسَ للمندائيَّةِ مكانُ صلاةٍ عمُومِيٌّ يجتمُعُونَ فيه كمَا هو المَأْلُوفُ عندَ سائرِ أصحَابِ الأديَانِ **بل الذِي ينوبُ عنه هو النَّهْرُ**، فلا تتمُّ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِهِم إلَّا في المَاءِ العذْبِ الجَاري، ويفتتِحُونَهَا بصلَواتٍ يتلُونَها قبلَ ولوجِهِم في المَاءِ ويختتِمُونَها بصلَواتٍ أخرَى يزَمْزمُونَ بها عندَ خرُوجِهِم منه.[1]

ـ العِمَادُ وأقسَامُهُ:

ومِنَ السُنَنِ التِي يمتازُونَ بها ما يسمُّونَهُ بالعربيَّةِ (العمَادُ أو المعمُودِيَّةُ) وبلسَانِهِم: (مصُونا) وهو **لا يشبِهُ عمَادَ النَّصَارَى** إلَّا مِنْ وجهٍ واحِدٍ؛ هو التَّغطِيسُ في المَاءِ لا غيرَ. **وهو عندَهُم على ثلاثَةِ أقسَامٍ:**

عمَادُ الولادَةِ، وعمَادُ الجنَابَةِ، وعمَادُ الجمَاعَةِ.

ـ عمَادُ الولادَةِ:

عندَما يُولدُ الطِّفلُ يذهبُ واحدٌ مِنْ أقارِبِهِ إلى الكاهنِ ويذكرُ له يومَ ولادَةِ الطَّفلِ والسَّاعَةَ التِي وُلدَ فيها. وحينئِذٍ يراجعُ الكاهنُ كتاباً خاصًّاً اسمُهُ **(أسفر ملواشا)** ومعنَاهُ: كتابُ ساعةِ الحَبَلِ، فيبحثُ الكاهنُ في الكتَابِ عنْ الاسمِ الَّلائِقِ بالمولُودِ، وبعدَ أنْ يتمَّ الحسَابُ، يقولُ لطالِبِ اسمِ الوليدِ: (اسمُهُ كذا). ويكتبُهُ في أغلبِ الأحايينِ على ورقةٍ ويسلِّمُها ليدِ الطَّالبِ المذكُورِ ليأتِيَ بها يومَ تعميدِ الوليدِ.

---

[1] أي يرفعون بها أصواتهم. والزّمزمة صوت الرّعد. (المقوّم الّلغويّ).

ـ لكلِّ مولودٍ اسمَان:

والعادةُ الجاريَةُ عندَهُم أنَّهُم يسمُّونَ الولدَ باسمٍ ثانٍ بلسَانِ البلدِ الذِي يُوجدُونَ فيه، فيكونُ عربيَّاً في بلادِ العربِ وفارسِيَّاً في بلادِ الفرسِ وهلمَّ جرَّاً، وحينئذٍ لا يُذكَرُ الاسمُ الدِّينِيُّ إلَّا في الشَّعائِرِ الدِّينِيَّةِ وما كانَ مِنْ بابِها. غيرَ أنَّهُ يوجدُ صابئُونَ لا يسمُّونَ أولادَهُم إلَّا باسمٍ واحِدٍ هو الاسمُ المندائِيُّ الدِّينِيُّ لا غيرَ، فيُعرفُونَ به ديناً ودنْيا.

ـ مراسمُ العمَادِ ووقتَهُ:

بعدَ أنْ يمضِيَ على المولودِ أربعُونَ يوماً يبكِّرُ أهلُهُ في تعميدِ ولدِهِم، ولا يجوزُ أبداً العمَادُ قبلَ هذهِ المدَّةِ، لكنْ يجوزُ إطالَتُها إلى مدَّةٍ تفوقُ الشَّهرَيْنِ. وفي اليومِ المُعيَّنِ يحملُ واحدٌ مِنَ الأقارِبِ أو الأصدِقاءِ إنْ ذكراً أو أنثَى الوليدَ الذِي يُرادُ تعميدُهُ ومعه والدَةُ الوليد؛[1] ويذهبُونَ إلى الكاهنِ، واسمُهُ عندَهُم (ترميدا) أي التّلميذُ، فيلبسُ حُلَّتَهُ الكهنُوتِيَّةَ واسمُها عندُهُم (رسته) ثمَّ يمسِكُ عصاً خاصَّةً يُسمُّونَها (مركنا) وينطلقُ بالمرأةِ والوليدِ وحاملِ الولدِ والجمعِ الحاضِرِ إلى ماءٍ عذبٍ جارٍ؛ ومعه شمَّاسَانِ صغِيرَانِ، واسمُ الشَّمَّاسِ عندهم (شكندا) فإذا صَارَ إلى حافَّةِ المَاءِ يتلُو صلاةً افتتَاحِيَّةً ثمَّ يلبسُ

[1] لا يكون يوم عماد الولد إلّا نهار الأحد ولا يجوز تعميده في أيّام الأعياد ولا أيّام الأسبوع بخلاف ما ذكره حضرة الفاضل نقولا السّيوفيّ. ولا يجوز العماد قبل هذه المدّة (أي مدَّة الأربعين يوما) لأنّ الولد والوالدة يعتبران نجسين وكلّ من يلمسهما قبل العماد يتنجّس ويجب عليه الاعتماد ولا يجوز للوالد نفسه أن يذبح ذبائح قبل المدّة المذكورة أيضا. ولا يعمّد الولد ما لم تُعمد الوالدة قبله. أمّا سبب وجوب التّعميد نهارا فهو أنّ (شباربا) من روحانيّيهم يذهب في ذلك النّهار إلى (مشولي كشطا) وهو عالَمٌ ثان على زعمهم فيه نور دائم وسكّانه من الصّابئة ليعمّد من يحتاج إلى هذه في ذلك العالم.

الشَّمّاسان رستتَهُما، وبعدَ ذلكَ يسألُ التَّرميدا عنْ اسمِ الولدِ فيُذكرُ له ثمَّ يأخذُ أحدُ الشَّمَّاسَينِ الولدَ فيتلُو الكاهِنُ على رأسِ الطِّفلِ صلَواتٍ يستنزِلُ بها عليه بركَاتِ العمَادِ.

ـ محذُورَاتُ العماد:

ويعتنِي الكاهنُ الاعتنَاءَ كلَّهُ ويحذرُ أنْ يسقطَ مِنْ رأسِ الولدِ أو مِنْ رستتِهِ شيْءٌ أبداً؛ وإلَّا فإنْ سقطَ مِنَ المُعَمَّدِ لفافَةٌ أو نحوُ ذلكَ فيجبُ على المُعَمِّدِ أنْ يتعمَّدَ ثلاثَ مئةٍ وستِّينَ مرَّةً قبلَ أنْ يُعمِّدَ الولدَ وسبعَ مئةِ مرَّةٍ إذا وقعَ شيْءٌ مِنَ الكاهنِ المُعَمِّدِ نفسِهِ.

ـ خاتَمُ الآس:

وبعدَ أنْ ينتهِيَ الكاهِنُ مِنْ تلاوَةِ الصَّلواتِ يضعُ في أُصْبُعِ المُعَمِّدِ خاتَمَاً مِنْ عودِ الآسِ ثمَّ ينزلُ الكاهِنُ في المَاءِ ومعه الاشكندا حامِلاً الطِّفْلَ بحيثُ يبلغُ المَاءُ ركبَةَ النَّازلِينَ فيه ولا يجوزُ لهُم رفعُ شيْءٍ مِنْ ثيابِهِم الدِّينِيَّةِ؛ ثمَّ بعدَ ذلكَ يغرفُ المعمِّدُ ماءً بيدَيْهِ ويلقيهِ على الطِّفْلِ ثلاثَ مرَّاتٍ إلى أنْ يبتلَّ.

ـ نداءُ الوليدِ:

ثمَّ يقولُ له بالمَنْدائِيَّةِ:[1] **فلانَ بنَ فلانٍ: إنَّكَ تعمَّدْتَ بعمَادِ بهرامَ العظِيمِ بنِ ربي، فسمَا هذا العمَادُ بحفظِكَ ويصعِدُكَ إلى أعلى (آلما دنهورا) بجاهِ اسمِ هيي**

[1] وهذه صورة حرفه بالآراميّة:

(الحياة) واسمُهُ مندا دهيي (معرفةُ الحيَاةِ أو رسولُ الحيَاةِ) المذكورَةِ عليكَ.[1] وبعدَ ذلكَ يخرجُ جميعُهُم مِنَ المَاءِ ثمَّ يسحبُ الكاهنُ خاتمَ الآسِ (وإذا لمْ يوجدْ في البلدِ آسٌ يُبْدَلُ بـ (المرما حوز) الذِي يُسمَّى أيضاً (المروِ الماحوزي . marum) مِنْ أُصْبُعِ الولدِ ويضعُهُ على جبينِهِ تحتَ عمامَتِهِ (وتسمَّى العمَامَةُ عندَهمُ كنزالا) وبعدَ أنْ يصلِّيَ الكاهنُ هنيهَةً يسجدُ (وكيفيَّتُهُ عندَهُم بأنْ يحنيَ رأسَهُ وصدْرَهُ) ويفعلُ ذلكَ كلَّ مرَّةٍ يذكرُ فيها اسمَ رَوحَانِيٍّ عظِيمٍ، ثمَّ يأخذُ بيدِهِ اليمنَى شيئاً مِنَ الكندرِ ويلقيهِ في نارٍ قد أُوقِدَت في موقدٍ على هيئَةِ ما تسمِّيهِ العامَّةُ (المنقَل) ويُتَّخَذُ مِنَ الطِّينِ الحرِّ ويُوقفُ لهذهِ الغايةِ في مثلِ هذه السُّنَّةِ.

ـ البُخورُ والعمَادُ:

وبينما يلقِي البُخُورَ على النَارِ يقول: وتُلفَظُ: (ريها دبسم) أي لتَفُحْ رائحَةٌ (وليسَ معنَاها كمَا قالَ المرحُومُ نقولا السَّيوفِيُّ: (رائحَةً زكِيَّةً) وبعدَ ذلكَ يضعُ الكاهنُ في يدهِ اليُسرَى مقدارَ عشرِ سمسمَاتٍ مِنْ سمسمٍ مُحمَّصٍ موضوعاً في كيسٍ له لهذهِ الغايةِ ثمَّ يُريقُ عليه شيئاً مِنَ المَاءِ يأخذُهُ بقارورةٍ مِنْ

=وتلفظ: فلان بن فلان صوت بمصوتا دبهرام ربا بر رزبي مصوتنخ تناطرخ تسق لريش اشما دهبي اشمي دمندا دهبي مدخر الخ.

[1] روايتنا هذه تختلف كثيرا عن رواية نيقولا السّيوفيّ وسبب ذلك هو أنّ السّيّد المذكور اعتمد على كلام واحد من الصّابئة لا يعرف إلّا النّزر اليسير من ديانته ولهذا غدا كتابه بمنزلة كتاب ديانة تواطأ على اختلافها السّيّد المذكور مع الصّابئ معلّمه. أمّا اعتمادنا فهو على الكتب وجماعة عديدة من الشّيوخ المندائيّة. ولا يتحقّق صدق هذا الكلام إلّا من قيّض الله له المجيء إلى هذه البلاد والوقوف على الكتب الدّينيّة الرّاجعة إلى هذه النّحلة أو مشافهة جماعة من شيوخهم العلماء.

ماءِ النَّهرِ قبلَ خروجِهِ منه ثمَّ يلتُّهُ بأناملِ يدِهِ اليمنى[1] ويضعُ منه على جبينِ الولدِ ثلاثَ مرَّاتٍ مِمرَّاً يدَهُ مِنَ الصُّدْغِ الأوَّلِ إلى الصُّدغِ الآخَرِ[2] وهو يقولُ كلَّ مرَّةٍ:

وتُلفظُ: (رشيمت برشما ذهيي. أشما ذهيي وأشما دمندا ذهبي مدخر الخ) أي: لقدْ وُسِمْتَ بسِمَةِ الحيَاةِ، اسمُ الحيَاةِ واسمُ معرفَةِ الحيَاةِ مذكُورَانِ عليكَ.

- الأسمَاءُ السِّرِّيَّةُ في العمَادِ:

ثمَّ يصلِّي الكاهنُ صلاةً طويلَةً، ثمَّ يذكُرُ في قلبِهِ بشكلٍ لا يسمعُهُ أحدٌ أسمَاءً سرِّيَّةً، ويذكُرُ كلَّ اسمٍ على كلِّ عقدَةٍ مِنْ عُقَدِ أصَابعِهِ الخمْسِ واضِعاً كلَّ مرَّةٍ طرفَ إبهامِهِ على كلِّ عقدَةٍ ويذكرُ واحداً وستِّينَ اسمَاً؛ ولا تُذكَرُ هذهِ الأسمَاءُ لأحدٍ حتَّى ولا للصَّابئَةِ! وإذا قُلِّدَ الكاهنُ رتبَتَهُ يقولُ له مُقلدِّهُ الوظيفةَ حينَما يصلُ إلى تعليمِهِ هذهِ السُّنَّةَ مِنْ ديانتِهِ: **(وعليكَ الآنَ أنْ تحفظَ الأسمَاءَ التِي هِيَ مذكُورَةٌ في هذهِ الصَّفحَةِ لوقتِ الحاجَةِ)** فيجتهِدُ المُرشَّحُ لحفظِها عن قلبِهِ مِنْ دونِ التَّلفُّظِ بها.

وبعدَ أنْ ينتهِيَ المُعَمَّدُ مِنْ هذهِ الأسمَاءِ يلثمُ طرفَ عمامَتِهِ ويضعُها على كلٍّ مِنْ عينَيْهِ مرّاتٍ عديدَةً ثمَّ يُنزعُ الخاتمُ مِنْ جبهَةِ المُعمِّدِ ويُلقَى في النَّهرِ ثمَّ تُنزَعُ ثيابُهُ، وهكذا ينتهِي العمَادُ.

---

[1] يلتّه: يخلطه ويحرّكه. واللّتُّ الجدح. جَدَحَ. السَّويقَ وغيره في الماء ونحوه جَدْحا: خلطه وحرّكه وخوّض فيه بالمِجْدَح. والمجدح اسم آلة وهو خشبة في طرفها خشبتان معترضتان. (المقوّم اللّغويّ).

[2] الصُّدْغُ بالضَّمِّ: ما انحدرَ من الرّأْس إلى مركب اللَّحْيَيْنِ. (المقوّم اللّغويّ).

ـ أجرَةُ العمَادِ:

وأجرَةُ العمَادِ لا تتجَاوزُ نصفَ الفرنكِ. وهِيَ أجرَةٌ واجبَةُ الدَّفعِ، وإذا أدَّى أهلُ المُعمَّدِ أكثرَ مِنْ ذلكَ فيكونُ هذا مِنَ الأمورِ المحمُودَةِ.

ـ وفاة المعمَّدِ أثناءَ العمَادِ:

وإنْ تُوفِّيَ المُعمَّدُ أثناءَ العمَادِ؛ فإمَّا أنْ يتمَّ الكاهِنُ السُّنَّةَ إلى آخرِها على الميْتِ؛ وإمَّا أنْ يُؤتَى بواحِدٍ مِنَ المَنْدائِيَّةِ يشبُهُ اسمُهُ اسمَ الميْتِ، وينهِي عليه تتمَّةَ الحفلَةِ الدِّينِيَّةِ.

أمَّا ما ذكرَهُ المأسوفُ عليه نقولا السَّيوفِيِّ فهو زوائدُ لا تطابقُ الحقيقةَ! والدَّليلُ على ذلكَ أنِّي كنْتُ قدْ أخذْتُ سِفْرَهُ معِي في تجارةٍ لي في بلادِ الصَّابِئَةِ، **ولمَّا تلوْتُ على الحضُورِ سُنَّةَ العمَادِ رأيْتُ طائفَةً منهُم يفرغُونَ وُسعَهُم في إخفَاءِ ضحكِهِم عندَ تلاوةِ تلكَ المُختلَقَاتِ!** فمنهُم مَنْ كانَ يسدُّ فمَهُ بطرَفِ ثوبِهِ، ومنهُم مَنْ كانَ يجعلُ رأسَهُ بينَ يدَيهِ، ومنهُم مَنْ كانَ ينهضُ مِنَ المجلسِ خوفاً مِنْ استغراقِهِ في الضَّحكِ؛ ومنهُم مَنْ كانَ يحرِّكُ الأرم ضبطاً لنفسِهِ، إلى نحو ذلكَ مِنَ الأمارَاتِ المشعِرَةِ بضعْفِ ما أرويهِ على مسامِعِ الجُلَّاسِ!. ولمَّا انتهَيْتُ مِنْ زيارَتِي لهُم أخذَنِي الشَّيخُ على انفرادٍ وقالَ لي: **إنَّ أغلبَ ما ذكرْتَهُ مِنَ الأمورِ الفِرْيةُ! فإنْ شئْتَ احضرْ هنا نهَارَ الأحدِ في السَّاعةِ الفلانِيَّةِ، واشهَدْ عمَاداً ثمَّ علِّقْ ذلكَ على كناشتكَ.** ففعلْتُ. وما قرأْتَهُ هنا هو روايةُ ما شاهدْتُهُ بعينِيَّ. فلينتبِهِ القارئُ.

ـ عمَادُ الجنابَةِ:

أمَّا عمَادُ الجنابَةِ فيكونُ قريباً مِنَ الوجهِ المَارِّ ذكرُهُ. ويتحتَّمُ على الصَّابئِ كلَّ مرَّةٍ يجنِبُ.

ـ موجبَاتُ الجنابَةِ:

وموجِبَاتُ الجنابَةِ أمورٌ كثيرَةٌ منها: لمسُ ميْتٍ، أو مولُودٍ، أو نفسَاءَ، أو حائضٍ، أو دمِ حيوَانٍ مذبُوحٍ على غيرِ سنَّتِهِم؛ ومنها إذا عضَّ الصَّابئَ كلبٌ أو حيوَانٌ آخرُ فأدمَاهُ، وكذلكَ إذا نهشتْهُ حيَّةٌ أو لسعتْهُ عقربٌ أو نحوهُما مِنَ الهَوامِّ، ومنها إذا ذهبَ الواحدُ منهُم إلى بلادٍ أصحَابُها معذُورُونَ، أو أكلَ مِنْ لحمٍ ذبحَهُ أحدٌ مِنْ غيرِ المُوظَّفِينَ بذلكَ، أو سُجِنَ أو أتَى امرأتَهُ أو احتلَمَ؛ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأمورِ التِي إذا قامَ بها المندائِيُّ التَّقِيُّ الورِعُ فلا يكادُ يخرجُ مِنَ المَاءِ. **ولذلكَ ترَى كثيرينَ منهُم لا يحفلُونَ بسُنَنِهِم هذهِ إلَّا في النَّادرِ.**

ـ عمَادُ الجمَاعَةِ:

وأمَّا عمَادُ الجمَاعَةِ فلا يكونُ إلَّا في عيدٍ واحدٍ يسمُونَهُ: « [illegible] » وتُلفَظُ: (ينجه) وهِيَ كلمَةٌ فارسِيَّةٌ معنَاها (عيدُ الأيَّامِ الخمسةِ). ويأتِي المَندَائِيَّةُ في ذلكَ النَّهارِ مِنْ كلِّ حدبٍ وصوبٍ، فيدخلُونَ النَّهرَ ثمَّ يقرأ عليهِم الكاهِنُ صلَواتٍ يكثرُ في طياتِها ذكرُ لفظتَيْنِ هما: « [illegible] » وتُلفظُ: (هلن نشماثا) ومعنَاها: (هذهِ النُّفوسُ). وقدْ ظنَّ حضرَةُ نيقولا السَّيوفِيُّ أنَّ معنَى هاتينِ اللَّفظتَيْنِ هو اسمُ تلكَ الجمَاعَةِ، وقدْ قالَ في كلامِهِ عنْ هذا العمَادِ: **إنَّ الحضورَ يعمَّدُونَ بالنَّضْحِ.** وليسَ الأمرُ كذلكَ بل إنَّهُم يُعمَّدُونَ بالتَّغطيسِ كما هو الجَاري في العمَادِ المألُوفِ.

الفصلُ السادس
سننُ الصَّابئَةِ وصَلاتُهُم وكُتُبُهُم

ـ البَهْتَه (البَهْثَه) كسرةُ الخبزِ:

مِنْ سُننِ الصَّابِئَةِ: (البهته) [illegible] (وتُلفَظُ: بهثه) ومعنَاها: (كسرةُ الخبزِ) وهِيَ مُشتقَّةٌ مِنْ [illegible]، بالحاء، معنَاها: شِقٌّ وكَسْرٌ وفَلْقٌ. وقدْ وصفَها حضرَةُ الفاضِلِ السَّيِّدُ نقولا السَّيوفِيُّ وصفاً قرَّبَها كلَّ التَّقريبِ مِنْ (سرِّ القربَانِ) عندَ النَّصارَى. وذكَرَ لها مِنْ تفاصيلِ الاستعدَادِ وتأثيرِها في النَّفسِ وتناوَلَها ـ بغيرِ أهليَّةٍ واستحقَاقٍ ـ ومَحَلَّ حفظِها؛ إلى غيرِ ذلكَ ممَّا لا يخرجُها بشيْءٍ عنْ الشِّبرِ (الأوخارستيَّةِ) وترَى مِنْ هذا أنَّ الفصلَ المذكُورَ مُخْتَلَقٌ مِنْ أوَّلِهِ إلى آخرِهِ.

ـ حقيقتُها وكيفيَّتُها:

أمَّا حقيقَةُ الأمرِ فهِيَ هذهِ:

يأتِي واحدٌ ـ رجلاً كانَ أم امرأةً مِنْ خَدَّامِ الدِّينِ أو غيرِهِم ـ بقليلٍ مِنْ طحِينِ البُرِّ ويهيلُهُ مِنْ عَلُ على يدَي (التَّرميدا) المَفتُوحتَيْنِ المَوضُوعتَيْنِ الواحدَةُ لصقَ الأخرَى. فيذهبُ به الكاهنُ إلى النَّهرِ أو إلى ماءٍ جارٍ عذبٍ ويغرفُ منه قليلاً ويصبُّهُ على الدَّقيقِ فيعجنُهُ مِنْ دونِ خميرٍ وملحٍ، ثمَّ يخبزُهُ بهيئَةِ قرصٍ صغيرَةٍ قطرُها خمسَةُ أو ستَّةُ سنتيمترَاتٍ، وبعدَ أن يخرجَهَا مِنَ النَّارِ يضعُها في مكانٍ خاصٍّ أُعِدَّ لهذهِ الغايَةِ، وهو عبارَةٌ عنْ كوّةٍ حُفرَت في جدارٍ أو في شجرَةٍ؛ وبالأخصِّ في نخلَةٍ على نحوِ هيئةِ عشِّ الخطَّافِ[1] بعدَ أنْ يطهِّرَها بالمَاءِ ويتلوَ عليها صلَواتٍ خاصَّةً، حيثُ يذهبُ الكاهنُ عندَ العمَادِ ويأخذُ منها ما يكفِي للمُعمَّدِينَ.

---

[1] الخطّاف طائر السّنونو المهاجر. (المقوّم اللّغويّ).

وتُخبزُ البهثه يومَ العمادِ، وإذا مسَّهَا واحدٌ مِنَ العوامِّ فلا يجوزُ بعدَ ذلكَ للكَهَنَةِ أنْ يأكلُوا منها، بل تدَّخرُ للعوامِّ لا غيرَ.

وتُعطَى هذهِ البهثه لكلِّ مَنْ يُعمَّدُ صالحَاً كانَ أو شرِّيراً، رجلاً أو امرَأةً، وبعدَ أكلِ البهثه يُسقَى المُعمَّدُ ماءً مِنْ قارورةٍ صغِيرَةٍ مِنَ الزُّجاجِ المألوفُ وقدْ مُلئَت مِنَ المَاءِ الجَاري الذِي يُعمَّدُ فيه الصَّابئُ ويُعمَّدُ كلُّ مَنْ يُجنِبُ كمَا رأيْتَ. فويقَ هذا. وينقدُ أجرةَ العمَادِ، وهيَ عبَارَةٌ عنْ نصفِ فرنكٍ أو ما يزيدُ عليه. ولا تُفصلُ البهثه عنْ العمَادِ، كمَا أنَّ هذا لا يكونُ مِنْ دونِ تلكَ.

وبناءً على ما ذُكِرَ في هذا البابِ غيرُ ما ذكرْنَاهُ مِنَ التَّفاصيلِ فلا يُعتمَدُ عليه، لأنَّ ما ذكرْنَاهُ رأينَاهُ بعينَيْنا، وهو لا يشبُهُ بشيْءٍ شبرَ النَّصَارَى، بل يشبهُ الشَّبَهَ كلَّهُ ما جَاءَ في تاريخِ الكنيسَةِ عنْ شيعَةِ الأبيونِيِّينَ، وهِيَ مِنْ فِرَقِ الأدْرِيِّينَ فإنَّ أصْحَابَها كانُوا ينقطعُونَ عنْ الأشغالِ يومَ الأحدِ، وكذا يفعلُ الصَّابِئَةُ إلى يومِنَا هذا ويعمِّدُونَ ويتَّخذُونَ النَّشْرَ مِنَ الماءِ فقطُ لا مِنَ الخمرِ. وهكذا يفعلُ الصَّابِئَةُ كما رأيت.

ـ الشَّمهاثا لا الاعترَافَ:

ومِنْ مُخترَعاتِ كتابِ (البحثُ عنْ ديانَةِ الصَّابِئَةِ) للمرحُومِ نقولا السَّيوفِيِّ: **(الاعترافُ)** وقدْ سمَّاهُ بلسانِهِم (شمهاثا) وقدْ عرَّفَهُ تعريفاً ووصفَهُ وصفاً بحيثُ لمْ يفرقْهُ بشيءٍ عنْ اعترافِ النَّصَارَى؛ ومِنَ الغريبِ أنَّ الصَّابِئَةَ لا تعرفُ ذلكَ البتَّةَ ولمْ تسمعْ به بلْ ولا شبَهَ لهذا السِّرِّ عندَها، أمَّا الشَّمهاثا فهِيَ عبارَةٌ عنْ صلاةٍ تُتلَى على مَنْ أُصيبَ بمرَضٍ أيَّاً كانَ، وبالأخصِّ الأمراضُ

العصبيَّةُ كالرَّعشةِ والصَّرَعِ ونحوِهِما. والغايةُ مِنْ تلاوتِها دفعُ المرضَ بالصَّلاةِ، وليسَ (الشَّمهاثا) غيرُ ذلكَ فأينَ الثَّرَى مِنَ الثُّريَّا.

وليسَ في كتابِ المرحُومِ نقولا السَّيوفِيِّ بحثٌ عنْ سنَّةٍ مِنْ سُننِ المَنْدائيَّةِ إلَّا ويغلبُ الوهمُ فيه أو الخَطأُ الصِّحَّةَ أو الحقيقَةَ، وما ذلكَ إلَّا لأنَّ صاحبَهُ قد استندَ إلى كلامٍ جاهلٍ مِنَ الصَّابِئَةِ أو متجاهلٍ محافظَةً على إخفاءِ السِّرِ؛ على أنَّنا لا نطلُبُ مِنَ القارئِ أنْ يصدِّقَ كلامَنا إلَّا مِنْ بعدِ أنْ يقابلَ ما نقلَهُ المرحُومُ بمَا جاءَت به نصوصُ الصَّابِئَةِ فإنَّ بعضَاً مِنْ كتُبُهِم الدِّينِيَّةِ قد طُبعَت اليومَ وليسَ مِنَ الصَّعبِ الحصُولُ على هذهِ الكُتُبِ، ومِنْ هذهِ الأسفارِ المطبوعَةِ (السّدراربا أو الكنزا).[1]

إلَّا أنَّ تتبُّعَ جميعِ هذهِ السُّننِ وذكرَها في هذهِ النُّبذَةِ مِنَ الأمورِ التِي تبعثُ المللَ لدَى القارئ، ولذا نعدلُ عنْ ذكْرِها. وكنَّا نودُّ أنْ نشبعَ الكلامَ في هذا البحثِ ونهتِكَ الحجَابَ عنْ محيَّا تلكَ الشِّيعَةِ لكنَّ هناكَ أسبَاباً تحُولُ دُونَ الأماني:

ولـو بغـيرِ المَـاءِ حلقِـي شـرقْ — كنْـتُ كالغصَّـانِ بالمَـاءِ الفـراتِ

*****

---

[1] وقد طبعا على الحجر لايترمن وهذا عنوانها بالإفرنجيّة: Thesaurus seu Liver magnus nulgo (Liber A dami) appellatus- Descripsit et edidit H. pererman Lipsiae 1867.

ومنها الفلسته وعنوانها: Qolaste oder Gesange und Lehren von der Taufe und dem Ausgang der seele als mandaischer Text mit samtlichen Varienten pach pariser und Londoner Manuscripten stuttgard 1867.

ـ مكانُ وجودهم:

كانَ الصَّابِئَةُ في أيَّامِ الخلفَاءِ الرَّاشدينَ والعبَّاسيِّينَ منتشرينَ في بلادِ سوريَّةَ وما بينَ النَّهرينِ والعراقِ وبلادِ إيرانَ وشرقِ بلادِ العربِ وجنوبِها، أمَّا اليومَ فقدْ حُصِرُوا في بقعةٍ مِنَ العراقِ وفي بُليدَاتٍ منه فقطُ. **وإليكَ أسماءَها:** العمارةُ، وجلعةُ صالحٍ أو قلعةُ صالحٍ أو الجلعةُ وهِي بُليدَةٌ حديثَةٌ على بُعْدِ ثلاثِ ساعَاتٍ عنْ العمارَةِ للمنحدِرِ مِنَ البصرَةِ، وأبو خصيبٍ على بعدِ ساعَةٍ ونصفِ ساعَةٍ عنْ البصرَةِ للمنحدِرِ إلى خليجِ فارسٍ، وشطرَةُ المنتفِقِ (أو شطرةُ المنتفج أو المنتفك) وسوقُ الشُّيوخِ، والنَّاصِرِيَّةُ (أو المركز) وهِيَ بُليدَةٌ حديثَةٌ على بعدِ ثلاثِ ساعَاتٍ مِنْ أور الكِلدانيِّينَ، وهِيَ التِي تُسمَّى اليومَ (المقيَّرَ أو المكيَّرَ) والسَّفحةُ، والجزائرُ (وهاتانِ هما قريتَانِ قريبتَانِ مِنْ القرنةِ) والقرنةِ، والصُّويبِ (بإزاءِ القرنَةِ) وشرشَ، والشَّواليشِ، والمجحشيَّةُ، وحكامُ وتُلفظ (حجام) وآلُ حسنٍ، وقرمةُ بنِي سعيدٍ، والحمَّارُ، والجبايشُ (الكبايش) ونهر صالحٍ؛ وكلُّ ذلكَ بينَ النَّاصِريَّةِ والبصْرَةِ.

وكانَ الصَّابئةُ قبلَ ثلاثَ عشرةَ سنةً أيضاً في مدنٍ كثيرَةٍ مِنْ بلادِ فارسٍ، منها: ششترُ، وشاشُ، وليُّ، ودزفولُ، والحويزةُ، والمحمَّرَةُ؛ وكلُّ ذلكَ على نهرِ كارون، **وقدْ اضطهدَهُم العجمُ فتشتَّتُوا في مدنِ العراقِ وبقِيَ منهُم بقيَّةٌ في المُحمَّرَةِ والحويزةِ فقط. وقدْ ذكر لي بعضٌ مِنْ شيوخِ الصَّابِئَةِ وعلمائِها أنَّ مِنَ المَنْدائيَّةِ مَنْ قد توطَّنَ فاسَ ومكناسَ والجزائرَ وطرابلسَّ الغربِ؛ ويوجدُ منهُم طائفَةٌ عظيمَةٌ في (البيَّاضِيَّةِ) خاصَّةً**، وقدْ بحثْتُ كثيرَاً عنْ اسمِ هذهِ البلدَةِ في الكتُبِ التِي بينَ يديَّ فلمْ يتيسَّرْ لي العثورُ على شيءٍ مِنْ هذا القبيلِ؛ فخطرَ لي أنَّ المرادَ بالبياضِيَّةِ (جبلُ لبنانَ) مِنْ بابِ التَّفسيرِ المعنَويِّ (وإنْ كانَ في ذلكَ بعضُ

مِنَ التَّكلُّفِ) وقدْ نقَّبْتُ عنْ وجودِ هؤلاءِ النَّاسِ في لبنانَ ونواحيهِ فرأيْتُ "تربر" يذكرُ[1] أنَّهُ يوجدُ فرقةٌ مِنَ الصَّابئِيَّةِ في (المرقبِ) ليسَ بعيداً مِنْ طرابلسَّ، وهذا نصُّ كلامِهِ العربِيِّ بعدَ التَّنقيحِ:

(كانَ في أرضِ القدسِ أناسٌ جليلِيُّونَ أصحَابُ بدعةٍ خاصَّةٍ بهم، ومنذُ مئةٍ وخمسينَ سنةً هجرُوا وطنَهُم وتوطَّنُوا (المرقب) وهو ناحيةٌ مِنْ نواحِي لبنانَ) وقدْ أقامُوا هناكَ وهمْ موجودُونَ إلى يومِنَا هذا في ذلكَ الصُّقْعِ. أي إلى عهدِ "نربر" وقدْ تُوفِّيَ هذا العلَّامةُ سنةَ (١٨٢٦م) يحافظُونَ على ديانَتِهِم، وينتسبُونَ إلى يوحنَّا المعمَدانِ ويزعمُونَ أنَّهَا طريقتُهُ، وهُم ليسُوا بيهودٍ ولا نصَارَى، بل إنَّهُم يجمعُونَ بينَ الدِّيانتَيْنِ.

- بعضٌ مِنْ شعائرِ دينِهم:

يلبسُ الكهنةُ في وقتِ الصَّلاةِ ثوباً مِنْ جلدِ الحَمَلِ، ويقدِّسُونَ العسَلَ والجرَادَ، ثمَّ يوزِّعُونَ منهُما بعدَ الصَّلاةِ على الحاضِرينَ، ومِنْ هؤلاءِ مَنْ يأخذُ شيئاً منها إلى بيوتِهِم ليعطِيَ منه مَنْ لمْ يحضرْ الحفلةَ مِنْ أقاربِهِم ومعارِفِهِم، وينظرُ الجميعُ إلى تلكَ الأشياءِ بكلِّ احترامٍ وإكرامٍ؛ ويتناولُونَهَا في اليومِ الذِي يقضُونَ نهارَهُ في العبَادَةِ والقنُوتِ والورَعِ، ولا يتكلَّمُونَ إلَّا قليلاً ويسمعُون كلامَ اللهِ، وإذا تفوَّهُوا كانَ موضوعُ كلامِهِم رَوحَانِيَّاً.

ويعظُ كهنَتُهُم الشَّعَب مرَةً واحدَةً في الشَّهرِ، وذلكَ في كنيسِهِم عنْ أمورِ ديانَتِهِم، ويستهلُّونَ خطابَهَم دائماً بقولِ يوحنَّا: (**في البدءِ كانَ الكلمَةَ والكلمَةُ كانَ عندَ اللهِ واللهُ هو الكلمَةُ**).

---

[1] في مُقدَّمَة كتابه (المُصحَفُ النَّاصرِيُّ) (ص ١٤-١٦).

ومِنْ عجيبِ أمرِهِم أَنَّهُم يعتقدُونَ في قولِ يوحنَّا ولا يعتقدُونَ بالمسيحِ بكونِهِ أَتَى إلى العالَمِ كابنِ اللهِ، بل كنبيٍّ، وهو عندَهُم بعدَ يوحنَّا في المنزلَةِ. ولهُم كنيسٌ خاصٌّ بهم وليسَ فيه صورَةٌ ولا تمثالٌ؛ بل جرنٌ للعمادِ وحفرَةٌ في الأرضِ لا غيرَ، وعندَما يصلُّونَ يوقدُونَ سُرُجاً وشمُوعَاً ثمَّ يضعُونَ العسلَ والجرادَ في بهوِ الكنيسِ ويدورُونَ حولَهُما بالشُّموعِ ثلاثَ مرَّاتٍ قائلِينَ: **(حبَّاً بأبينا يوحنَّا استجبْ لنا ياربُّ وخلِّصْنا مِنْ جميعِ أعدائِنا وأَنِرْ عقولَنا لكَي يضيءَ علينا نورُ الدِّيانةِ الحقيقِيَّةِ)**. وحينَما ينتهُونَ مِنْ صلواتِهِم يناولُ كهنَتُهُم العسلَ والجرادَ لجميعِ الحاضِرينَ، ويؤخذُ للغائبِ شيْءٌ مِنْ ذلكَ ليُعطاهُ في البيتِ؛ ويقيمُونَ هذهِ السُّنَّةَ مرَّتَيْنِ في الأسبوعِ، وذلكَ نهارَ الخميسِ ونهارَ الأحدِ.

ـ لباسُ الكاهنِ:

(أمَّا لبسُ الكاهنِ في وقتِ إقامَةِ الشَّعائرِ الدِّينِيَّةِ فهو عبارَةٌ عنْ (مشلاح) و (قبة) مِنْ جلدِ البعيرِ وبيدِهِ عصاً، وإذا وعظَ الكاهنُ أتى بالآياتِ بنصِّها الجليلِيِّ، وأمَّا التَّفسيرُ والشَّرحُ فباللِّسانِ العربيِّ لأنَّ عامَّتَهُم لا تفهَمُ لغتَهُم الدِّينِيَّةَ ولا يفهمُها إلَّا علماؤُهُم وكهنَتُهُم. ويتلُو الكهنةُ مواعظَهُم عنْ ظهرِ قلبٍ إلَّا الآياتِ فإنَّهُم يقرؤُونَها قراءةً ويأخذُونَها عن سِفْرِ يوحَنَّا.

ـ الصَّلاةُ خلفَ الأبوابِ المُغلَقَةِ:

وإذا شرعَ الكاهنُ بالوعظِ تُوصدُ الأبوابُ، ويقفُ واحدٌ منهُم على البابِ يكونُ بمنزلةِ حارسٍ، أمَا بقيَّةُ الجمْعِ فيجلسُونَ صامتِينَ بوقارٍ وأدبٍ كأنَّ على رؤوسِهِم الطَّيرُ. وهُم يعيِّدُونَ عيدَ القدِّيسِ يوحنَّا أربعَ مرَّاتٍ في

السَّنَةِ، ويسلقُونَ في عيدِ يومِ مولدِهِ قمحاً ويخلطُونَ به زبيباً وجَوْزاً وجرَاداً وعسلاً وغيرَ ذلكَ؛ ويملؤُونَ مِنْ هذا الخليطِ صحُوناً ويبعثُ بها بعضٌ إلى بعضٍ، ولا يأكلُونَ في ذلكَ النَّهارِ طعاماً آخرَ؛ ثمَّ إنَّ الكاهنَ يصلِّي على هذا الطَّعامِ فيحملُ كلُّ واحدٍ صحنَهُ على رأسهِ وفي وسطِ الصَّحنْ شمعةٌ متَّقدَةٌ ثمَّ يطوفُونَ والصُّحونُ على رؤُوسهِم حولَ الكنيسِ مرَّتَيْنِ. وإذا انتهَوْا مِنْ ذلكَ أخذَ الكاهنُ مِنَ الخليطِ وأعطَى منه لكلِّ واحدٍ مِنَ الحاضِرينَ، ويجدِّدُونَ عمَادَهُم في يومِ عيدِ عمَادِ يوحنَّا أي يذهبُ الجميعُ إلى المَاءِ فيأتِيهِم الكاهنُ وبيدِهِ علَمٌ وعلى رأسِهِ قبَّةٌ مِنْ جلدِ البعيرِ فيأخذُ جرَّةً ويملؤها ماءً ثمَّ يرشُّ على الخارجِ مِنَ المَاءِ شيئاً مِنْ ماءِ الجرَّةِ قائلاً: (**إنِّي أجدِّدُ عمادَك باسمِ أبينا ومنقذِنا، وكما عمَّدَ المسيحُ اليهودَ في الأردنِّ وخلَّصَهُم يخلِّصُكَ أنتَ أيضاً**).

وبعدَ أنْ ينتهِيَ مِنْ عمادِ الجميعِ ينزلُ هو أيضاً في المَاءِ ويغتسِلُ، وتنتهي الحفلةُ على هذا الوجهِ فيرجعُ جميعُهُم إلى الكنيسِ مصفِّقينَ ومغنِّينَ فيطعمُهُم الكاهنُ العسلَ والجرادَ، وفي يوم قطعِ رأسِ يوحنَّا المعمدانِ يندبونَهُ في الكنيسِ قائلينَ: (**إنَّ مُخلِّصَنا في مثلِ هذا اليومِ قتلَهُ هيرُودسُ، زادَ اللهُ عذابَ اللَّعينِ عذاباً**). وفي يومِ الأعجوبَةِ التِي عملَها يوحنَّا حينَما قتلَ التِّنِّينَ الذِي خرجَ مِنْ بحيرةِ طبريَّةَ (على زعمهم) يطوِّفُونَ حيواناتِهم كلَّها حولَ الكنيسِ بفرحٍ عظيمٍ، ويذهبُ المتديِّنُونَ منهم وذوُو اليسارِ إلى الجليلِ لإقامَةِ هذا العيدِ ويأخذُونَ معهُم الضُّعفاءَ وأصحَابَ العاهاتِ لكي يُبرِأَهُم قدِّيسُهُم وهُم يمشُون حفاةً؛ وعندَما يصِلُونَ هناكَ يدخلُونَ معبدَهُم وهو قديمٌ يبعدُ عنْ جبلِ طابورَ مقدارَ عشرِ ساعَاتٍ، وبعدَ أنْ يفرغُوا مِنَ الصَّلاةِ والسُّجودِ يوزِّعُ الكاهنُ العسلَ والجرَادَ طلباً لسلامَةِ أرواحِهم).

وعلى كلٍّ حالٍ فإنَّ الصَّابِئِيَّةَ الموجودِينَ هنا لا يعتقدُونَ بشيءٍ مِنْ هذا كلِّهِ ولا يقيمُونَ سُنَّةً واحدَةً مِنْ هذهِ السُّننِ فليتنبَّهْ القارئ.

ـ عددُ الصَّابِئَةِ:

قد أحصَيْتُ بنفْسِي عددَ الصَّابِئَةِ بلدةً بلدةً فوجدتُهُم لا يزيدُون عن (١٨٠٠) نسمَةٍ، وهُم يسيرُونَ إلى الانقراضِ سَيْرَاً حثِيثاً! حتَّى إنَّه لا يوافينا منتصَفُ القرنِ الجديدِ إلَّا وقد مُحُوا مِنْ سِفْرِ الوجودِ ولمْ يبقَ منهُم باقٍ، وبانقراضِهِم تذهبُ كتُبُهُم الدِّينِيَّةُ التِي يحافظُونَ عليها محافظَتَهم على حيواتِهِم وتُنْسَى لغتُهُم فتغدُوَ في خبرِ كانَ.

ـ اللُّغةُ الصَّابِئِيَّةُ:

هذهِ اللُّغةَ فرعٌ مِنَ الفروعُ السَّامِيَّةِ قائمَةٌ بذاتِها، غيرَ أنَّ الكلامَ عنها يستغرِقُ كتَاباً برأسِهِ، أو على الأقلِّ مقالةً طويلَةً، ولهذا لا نذكُرُ عنْها هنا شيئاً.

إلَّا أنَا نقولُ: إنَّ الَّلفظَ الذِي يذكُرُهُ الإفرنجُ في كتُبِهِم قد اختلقُوهُ اختلاقاً برمَّتِهِ، وهو غيرُ لفظِ الصَّابِئَةِ! وقلْ مثلَ ذلكَ عنْ معانِي بعضٍ مِنَ الألفاظِ والعبارَاتِ فإنَّهُم قد وَهِمُوا فيها، وما ذلكَ إلَّا لاستنادِهِم إلى اللُّغةِ الآرامِيَّةِ بفرْعَيْها فَضَلُّوا سواءَ السَّبيلِ. وكانَ يجبُ عليهَم في مثلِ هذهِ الأمورِ أنْ يتلقَّوْا المُصْطَلَحاتِ والشُّروحَ عنْ أصْحَابِها لا عنْ غيرِهِم؛ ولولا ضيقُ المقامِ لذكرْتُ كثيرَاً مِنْ هذهِ الغلطاتِ. وعلى كلٍّ فإنَّهُم معذُورُونَ! لأنَّ الصَّابِئَةَ لا يبوحُونَ أبداً بأسرَارِ لغتِهِم ومعانِيها مهمَا دفعْتَ لهُم مِنَ الدَّراهِم والدَّنانِيرِ

ـ لغةُ العادةِ ولغةُ العبَادةِ:

وممَّا يتعلَّقُ بهذا البابِ أنَّ **للصَّابئَةِ لغتَيْنِ: لغةٌ فصيحَةٌ ولغَةٌ عامِّيَّةٌ. فالفصيحَةُ هِيَ لغتُهُم الدِّينيَّةُ، والعامِّيَّةُ هَيَ لغةُ التَّكلُّمِ**. وتختلفُ هذهِ الثَّانيَةُ عنْ الأُولى كلَّ الاختلافَ حتَّى إن كثيرينَ منهُم لا يفهمُون أبداً الُّلغةَ الفصيحَةَ! وإلى اليومِ لم ينتبِه إلى هذا الأمرِ أحدٌ. وبحجَّةٍ أقوَى: لمْ يكتبْ أحدٌ شيئاً عنْ الُّلغةِ العامِّيَّةِ، والسَّلامُ.

ـ كُتُبُهُم الدِّينِيَّةُ:

يدَّعِي المَنْدائِيَّةُ أنَّ لهُم كُتُباً كثيرَةً منزَّلَةً تكادُ لا تحصَى على ما يقولُونَهُ، إلَّا أنَّ النَّائباتِ التِي انتابتْهُم والرَّزايا التِي حلَّت بهِم، وكادَت تستأصِلُ شأفتَهُم لمْ تُبْقِ عندَهُم إلَّا غيضَاً مِنْ فيضٍ أو قيضَاً مِنْ بيضٍ، مِمَّا يتجَاوزُ عددُهُ الأربعِينَ كتَاباً.

أمَّا الوقُوفُ على هذهِ الأسفَارِ فيكَادُ يكونُ مِنْ رابعِ المُستحِيلاتَ[1] فإنَّهم يحرصُونَ عليها حرصَاً أشدَّ مِنْ حرصِهِم على حيواتِهِم وأعراضِهِم

[1] يُستخدم مثل هذا التّعبير للدّلالة على عدم وجود الشّيء المُتحدّث عنه. وقد قيل قديما المستحيلات ثلاثة: الغول والعنقاء والخلّ الوفيّ. فأمّا الغول والعنقاء، فإنّه يُضرب بهما المثل في الشّيء الذي لا وجود له، ففي مُصنّف ابن أبي شيبة من حديث جابر بن عبد الله أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال :لا غول ولا صفر.

وكانت العرب تزعم أنّ الغول من الجنّ تتغوّل لها وتتلوّن فتضلّها عن الطّريق، وقد نسجوا حول ذلك من الخرافات الشّيء الكثير، وكذلك العنقاء فيزعمون أنّها طائر عظيم طويل العنق كان في عهد سليمان ثمّ اختفى، وقيل إنّها كانت بالحجاز تخطف الأطفال، فدعا عليها أحد الأنبياء فاختفت.

والخلّ الوفيّ هو الخليل والصّاحب الذي يفيك حقّ صحبتك.

والمستحيلات عند المناطقة سبع: عرّو الجسم عن الحركة و السّكون. الجمع بين الضّدّين. لزوم ما لا يلزم. وقوع ما لا يتناهى. قبل الحقيقة. تحصيل الحاصل. بطلان الحصر.=

وقناهُم كلِّهَا جمعَاء.[1] فكمْ وكمْ مَنْ وارتْهُم القبُورُ وقُطِّعَت أعضاؤُهُم ودقَّت أعناقُهُم وحرِّقُوا بالنَّارِ وأهلكُوا غَرَقاً... على أنْ يفصِحُوا عنها فلمْ يفعلوا، ضنّاً بِهَا في أيدِيهِم مِنْها! وتسردُ تواريخُهُم في هذا الصَّددِ وقائعَ كثيرَةً تبيَاناً لِمَا أبدَوهُ مِنَ الامتِنَاعِ وشدَّةِ العزيمَةِ ممَّا يذهلُ العقولَ!.

ـ (الكنزا ربا) الخزانَةُ العظمَى:

وأوَّلُ هذهِ الكُتُبِ (الكنزا ربا) أو (السِدرا ربا) أو (سدرا دآدم) ومعنَاها الخزانَةُ العظمَى، أو الكتابُ العظِيمُ أو كتابُ آدمَ. وقدْ يكتفُونَ بقولِهِم: (السِّدرا) بوجه الإطلاقِ، وهو اليومَ مطبوعٌ على الحَجَرِ، وقدْ نشرَهُ الأديبُ "بترمن" بنصِّهِ الصَّابئِيِّ في "ليبك" وهو قسمَانِ: قسمٌ يمينِيٌّ وقسمٌ شِمالِيٌّ، فإذا أمسكْتَهُ مِنَ القسمِ اليمينِيِّ يكونُ القسمُ الشِّمالِيُّ مقلوبَاً أي أعلاهُ أسفلُهُ؛ وبالعكسِ؛ وإذا أمسكْتَهُ مِنَ القسمِ الشِّمالِيِّ يغدُو القسمُ الآخرُ مقلوبَاً كمَا تقدَّمَ شرحُهُ. أمَّا عهدُ كتابَةِ أصلِهِ فقدْ تباينَت فيه الآراءُ واشتبكَت، وكثُرَت فيه المذاهِبُ واحتدَمت! فمنهُم مَنْ قالَ: إنَّهُ أقدمُ مِنَ النَّصرَانِيَّةِ. وهو وهْمٌ ظاهرٌ! ومنهُم مَنْ ذهبَ إلى أنَّهُ مِنْ عهدِ يوحنَّا الحصورِ وهو أيضَاً وهْمٌ، ومنهُم مَنْ صرَّحَ بكونِهِ مِنَ المئينَ الأُولى مِنَ النَّصرَانِيَّةِ؛ ويردُّ هذا أيضَاً شواهدُ كثيرَةٌ تؤيِّدُ أنَّهُ لمْ يُكتبْ قبلَ سنةِ (٧٠٨) للمسيحِ. أمَّا بخصوصِ ذكرِ هذهِ الأدلَّةِ، فلعلَّنا نذكُرُها في مقالةٍ خاصَّةٍ نسمِّيها (الآدابُ المَنْدائِيَّةُ الُّلغويَّةُ. La literature

---

=والمستحيل الشّرعيّ هو ما يمكن وجوده عقلا لكنّه ممتنع ديانة. وقد مثّل له الفقهاء المسلمون ببعثة نبيّ بعد النّبيّ محمّد.(المقوّم اللّغويّ).

[1] القنا جمع قنية. وهو ما يقتنيه الإنسان ويتّخذه من أشياء وممتلكات ويحرص عليها. (المقوّم اللّغويّ).

mandaite) وأغلبُ كلامِ (السِّدرا) يدورُ على أمورٍ دينِيَّةٍ منها ما يرجعُ إلى المُعْتَقَدِ والدِّينِ، ومنها ما يرجعُ إلى القيامِ بسُنَنِ الدِّينِ، ومنها مُخاطَبَاتٌ أُلبِسَت لبوسَ النَّبوَّةِ؛ غيرَ أنَّ هذا الثَّوبَ الذِي يبدُو ثخِيناً في عيونِ الصَّابِئَةِ هو في عيونِ المنتقِدِينَ الجهابذَةِ شفَّافٌ يشفُّ عمَّا وراءَهُ مِنَ الأكاذيبِ والأقوالِ المختلفَةِ الموضوعَةِ المُنافِيَةِ للأصُولِ العقليَّةِ وللنُّقولِ العلمِيَّةِ.

. (درفشا ديهيي) أو (سدرا ديهيي) أي تعليمُ يحيَى أو كتَابُ يحيَى، وهو كتابٌ أحدَثُ مِنَ السَّابقِ ذِكْرُهُ، وقدْ **أُودعَ نصائحَ كثيرَةً وحِكَماً جليلَةً**، إلَّا أنَّها معقودَةُ العرَى بنواصِي فِرَىً عديدَةً[1] تذهبُ بما في هذا السِّفْرِ مِنْ حِلَى الآدابِ وروائعِ الزَّواجر.[2]

ـ (الفلستا) أي كتابُ الفرحِ:

والكتابُ الثَّالثُ (الفلستا) أي كتابُ الفرحِ أو الطَّربِ أو المديحِ، وهو سِفْرٌ **خاصٌّ بسُنَنِ الزَّواجِ والاصطِباغِ الذِي يجرِي في الزَّواجِ**. وأظنُّ أنَّ ما نشرَهُ حضرَةُ الدُّكتورِ الفاضلِ (أوتنك . D.J.Euting) ليسَ مِنَ الفلستا في شيْءٍ؛ بل قد وَهِمَ في ترجمَتِهِ بهذا العنوانِ، ليسَ إلَّا! وقدْ فسَّرَ المستشرِقُوَن لفظَةَ الفلستا بغيرِ ما فسَّرنَاهُ اعتمَاداً على نصوصِ الُّلغةِ الآراميَّةِ وأصولِها، لكنَّ هذا مردودٌ عندَ الصَّابِئَةِ.

[1] ج. فرية. الكذبة العظيمة. (المقوّم الّلغويّ).
[2] الزّوابر والزُّبور ج. الزِّبْرِ (الزُّبُرُ) أيضا الْكتابة. و (الزِّبْرُ) بالكسرِ الكتَابُ والجمعُ (زُبُورٌ). (المقوّم الّلغويّ).

ـ (سدرا دنشماثا) أي كتابُ النُّفوسُ:

والكتابُ الرَّابعُ (سدرا دنشماثا) أي كتابُ النُّفوسُ وهو يحوي السُّنَنَ التِي يقومُ بها المَنْدائِيَّةُ في **الاصطِباغِ الجَاري في أيَّامِ الآحَادِ والأعيَادِ وصلاةِ النَّزْعِ وخروجِ النَّفْسِ مِنَ الجسدِ**، ثمَّ خروجِها مِنْ (أردا دتيفل) أي الأرضِ إلى (آلما دنهورا) أي عالمُ النُّورِ وفيه غيرُ ذلكَ مِنَ الصَّلواتِ.

ـ (الدِّيونانِ) بنونينَ ـ الدِّيوانُ:

والكتابُ الخامسُ: (الدِّيونانِ) بنونينَ. ويسمِّيهِ بعضُهُم (الدِّيوانَ) وهذهِ الَّلفظةُ معنَى تلكَ. وهو سِفْرٌ تُذكَرُ فيه قَصصُ بعضٍ مِنَ الرَّوحانِيِّينَ مع صورِهِم **وهو عندَهُم مِنْ أنْفَسِ الكتُبِ المنزَّلَةِ**، ولا يكادُ يُفتحُ لأحدٍ، ولا يوجدُ اليومَ منه إلَّا نسخَةٌ واحدَةٌ. وندرَةُ هذا الكتابِ حادثَةٌ مِنْ صعوبَةِ رسمِ الصُّورِ والتَّماثيلِ التِي فيه، إذ يُطلَبُ لها مهارَةٌ دقيقَةٌ.

ـ (ترسر ألفي شيالا) اثنا عشرَ ألفَ سؤالٍ:

والكتابُ السَّادسُ: (ترسر ألفي شيالا) أي اثنا عشرَ ألفَ سؤالٍ. ويُرادُ بذلكَ الأسئلةُ التِي ألقَاها بعضٌ مِنَ الرَّوحَانِيينَ على (ملكا دنهورا) قبلَ خلقِ العالَمِ وبعدَهُ فيمَا يخصُّ الأمورَ الدِّينِيَّةَ وفرائضَ الأساقفَةِ والكهنَةِ والشَّمامسَةِ والمؤمنينَ؛ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الفوائدِ المهمَّةِ. **ويوجدُ مِنْ هذا الكتابِ نسخةٌ ناقصَةٌ في باريسَ في المكتبَةِ الوطنِيَّةِ.**

ـ (أسفر ملواشي) سِفْرُ البرُوج:

والكتابُ السَّابعُ: (أسفر ملواشي) وتسمِّيهِ العامَّةُ مِنَ المَنْدائِيَّةِ (أصفر ملواشا) ومعنَاهُ سِفْرُ البرُوجِ وقدْ توسَّعُوا بلفظِةِ (ملواشا) حتَّى أطلقُوها على وقتِ علوقِ المرأةِ بالولدِ وتعلقِ هذا الوقتِ بالبُروجِ. **وهو كتابٌ يستشيرُونَهُ في تسميةِ الوليدِ** حينَما يذكُرُ أبوهُ أو القائمُ بأمرِهِ للكاهنِ السَّاعةَ التِي وُلِدَ فيها الطِّفلُ واليومَ والشَّهرَ، فيبحثُ الكاهنُ حينئِذٍ في هذا السِّفرِ عنْ السَّاعةِ التِي حبلَت بهِ أمُّهُ ومِنْ ثمَّ عنْ الاسمِ الَّلائقِ به.

وفي هذا الكتابِ أمورٌ كثيرَةٌ ترجعُ إلى **علم الفلكِ وعلمِ التَّنجيمِ وفيه أيضَاً صلَواتٌ كثيرَةٌ ورُقىً عديدَةٌ**، تُتلى لكَي تكونَ التَّمائمُ فعَّالةً لَمنْ تُكتبُ لأجلِهِ في طردِ الأمراضِ والأَوصَابِ وإبعادِ النَّوائبِ والنَّوازلِ. وهو قديمُ الوضعِ والتَّأليفِ **وأكثرُ رقاهُ تشبهُ الرُّقَى التِي كانَ يستعمِلُها قدامَى الكِلدانِ،** وقدْ عَرَّفَ هذا الكتَابَ إبراهيمُ الباقلانِيُّ إذ قالَ عنه في كتابِهِ المَوسُومِ: بـ . Do origine nom. Papoe etc: paris altara, Romae,) 1660, p. 355) ما مُعرَّبُهُ: (أسفر ملواشي مجموعَةٌ في علمِ التَّنجيمِ) وقدْ قُسمَت فيه الكرَةُ الزَّرقاءُ إلى أربعةٍ وعشرينَ جزءاً متساوياً، اثنا عشرَ منها ذكورٌ واثنا عشرَ منها إناثٌ، ويُتَّخَذُ للنَّظرِ في أيَّامِ ولادةِ الوِلدَانِ.

ـ (كداوا كدفيانا) كتابُ التَّعويذات:

والكتابُ الثَّامِنُ (كداوا كدفيانا) أي كتابُ التَّعويذاتِ، وفيه ـ أنواعُ التَّعويذاتِ التِي تُقرأُ أو تُكتَبُ بمُوجَبِ ظرُوفِ الزَّمانِ وأحوالِ أهلِ البيتِ.

وهو غريبٌ في بابِهِ لِمَا يُذكَرُ فيه مِنْ أنواعِ الرَّوحَانِيِّينَ والجِنِّ والأرواحِ النَّجسةِ الشَّرِّيرَةِ.

ـ (الأنيانِي) الأناشيدُ أو الأغانِي:

والكتابُ التَّاسعُ: (الأنياني) أي الأناشيدُ أو الأغانِي. ويُرادُ بذلكَ الصَّلواتُ الدِّينيَّةُ التِي تُتلى في أربعةِ أوقاتِ النَّهارِ وفِي اللَّيلِ، وكذلكَ صلواتٌ خاصَّةٌ باليومِ الفلانِيِّ مِنْ كلِّ أسبوعٍ، وفيه ذِكْرُ السُّننِ المتَّبعةِ في دفنِ موتَى المَنْدائِيَّةِ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الفوائدِ الجليلَةِ عندَهُم، وهو كتابٌ يضنُّونَ به الضَّنَّ كلَّهُ.

ـ (قماها دهيفل زيرا) تعويذَةُ هيفل زيرا:

والكتابُ العاشرُ: (قماها دهيفل زيرا) أي تعويذَةُ هيفل زيرا. وهو عبارَةٌ عنْ سجلٍّ كبيرٍ فيه أكثرُ مِنْ ألفٍ ومئتَيْ سطرٍ، وهِيَ عبارَةٌ عنْ تعويذاتٍ شتَّى يحملُها متديِّنُوهُم ويزعمُونَ أنَّ مَنْ يلبسُهَا لا يؤثِّرُ فيه سلاحُ نارٍ أو سيفٌ بتَّار! **ولا يُكتبُ هذا السِّجلُّ لأحدٍ ما لمْ يكنْ المندائِيُّ المستكتِبُ قد أظهرَ علامَاتِ الصَّلاحِ والتَّقَى بمَا لا مزيدَ عليه.** وفِي آخرِ السِّجلِّ الأصْلِيِّ الذِي يُنسَخُ عليه، والمحفوظُ عندَ أسقفِهِم قرأْتُ هذهِ العبارَةِ: (إزدهر إزدهر إزدهر لكلِّ أنش لا تكدف) ومعناها: (تُحفظُ ثمَّ تُحفظُ ثمَّ أقولُ لكَ تُحفظُ مِنْ أنْ تُكتبَ (القماها) لكلِّ مَنْ كانَ أو لكلِّ أحَدٍ). وهُم يحرصُونَ عليها الحرصَ كلَّهُ حتَّى إنَّهُ **لا يجوزُ لهُم أنْ يَدَعُوا مَنْ لمْ يكنْ مِنْ دينِهِم أنْ (يمسَّ) هذا السّجلَّ خوفاً مِنْ أنْ يتنجَّسَ أو يفقِدَ أثرَهُ ومفعولَهُ.** وإذا فُقِدَ

منهُم فكلُّ ما يبذلُونَهُ مِنَ البيضَاءِ والصَّفرَاءِ في جانبِ ردِّهِ لا يُعدُّ شيئاً مذكُوراً.

وهناكَ كُتُبٌ كثيرَةٌ لا يمكنُ إيرادُ أسمائِها في هذهِ المقالَةِ، الَّلهمَّ إلَّا أنْ يُرصَدَ لها نبذَةٌ مخصوصَةٌ تتمَّةً للفائدَةِ.

ـ الكُتُبُ ليسَت للبَيْعِ:

جاءَت هذهِ البلادَ جمَاعَاتٌ مِنَ الإفرنجِ مِنْ ألمَانٍ وفرنسيِّينَ وإيطاليِّينَ وإنكليزَ لشراءِ بعضٍ مِنْ هذهِ الكُتُبِ، وعرضُوا ثمناً للكتَابِ الواحدِ خمسَةَ آلافِ فرنكٍ، ولكنَّهُم رجعُوا بخفَّي حُنَيْنٍ.[1]

ومهْما يكنْ مِنْ الأمرِ فإنَّ قلَّةَ هذهِ المَخطُوطَاتِ في خزائنِ كُتُبِ بلاد الفِرنجَةِ[2] معَ ما يبذلُ هؤلاءِ الأقوامُ مِنَ الأصفرِ الرَّنَّانِ[1] ويتكلَّفُونَ

---

[1] رجع بخفّي حنين. مثل يُضرب لمن يعود خائبا من أمر كان يرجو منه الخير والفائدة. وأصل المثل أنّ حنينا رجل كان حذّاء فجاءه أعرابيّ ليشتري منه خُفّين، غير أن الأعرابيّ لم يعجبه السّعر الذي طلبه حنين ثمنا لهما وأخذ يساومه ثمّ عدل عن الشّراء فغضب حنين، وأراد أن يغيظه، وفكر في خدعة يخدعه بها. فلمّا ركب الأعرابيّ جمله ليعود إلى قبيلته، أسرع حنين إلى الطّريق التي سيسلكها الأعرابيّ فوضع أحد الخفّين اللّذين ساومه عليهما وسط الطّريق، وسار مسافة ثمّ ألقى الخفّ الآخر في مكان أبعد قليلا.

فلمّا مرّ الأعرابي بالخفّ الأوّل أمسك به ونظر إليه وجعل يقلبه متعجّبا يقول: ما أشبه هذا الخفّ بخفّ حنين الإسكافيّ! وما أحسنه، ولو كان معه الخفّ الآخر لأخذته. فألقاه ثمّ مشى فوجد الخفّ الثّاني فنزل عن جمله وأمسك الخفّ يقلّبه ويقول: هذا الخف يشبه خُفَّ حنين فأخذه وترك ناقته وذهب يأخذ الأوّل فعمد حنين إلى ناقته فأخذها. فلمّا رجع لم يجد ناقته فحمل الخفّين ورجع بها إلى قبيلته. فلمّا رأوه سألوه عنها فأخبرهم الخبر، فقالوا: رجع بخفيّ حنين. (المقوّم اللّغويّ).

[2] الإفرنج والفرنجة مصطلحان وصفتان يطلقهما عامّة العرب وأهل المشرق على سكّان أوربا؛ بينما يطلق عرب الحجاز على كل من سواهم مسمّى (العجم).=

لاستحصالِهِ ما يُريهِم الموتَ الأحمَرَ! لا، بل وما كانَ منه بسائرِ الألوانِ[٢] يصدِّقُ كلامَنا؛ ولا يعودُ يُطلبُ منَّا برهانٌ آخرُ يدعمُ هذا البرهانَ. على أنَّهُ تعَالى قيَّضَ لي أنْ أرَى مِنْ هذهِ الأسفارِ ما لا أصدِّقُ أنَّ رجَلاً آخرَ رأَى مثلَ عدِدِها، إذ لمْ أعثرْ إلى الآنَ على كلامٍ يوقفُنِي على مَثَلٍ أقولُهُ؛ معَ أنَّ أكثرَ الكُتُبِ المُؤلَّفَةِ في الصَّابِئِيَّةِ والمطبُوعَةَ في بلادِ أوربَّا أو المذكورةَ أسماؤُها في لوائحِ خزائنِ الكتبِ موجُودَةٌ عندِي، إلَّا أنَّ المَقامَ لا يحتمِلُ تفصِيلاً فوقَ ما نوردُهُ، ولذلكَ نأخذُ بذِكْرِ بعضٍ مِنْ هذهِ الأسفارِ التِي يدَّعِي أصحَابُها أنَّها منزَّلَةٌ؛ وإنْ لمْ تكنْ كذلكَ.

ـ أخلاقُهُم وآدابُهُم:

تعتبرُ أخلاقُ أهلِ هذهِ البدعَةِ في منتَهى الوداعَةِ، وهُم يمتازُونَ بفضائلَ عديدَةٍ منها **العفَّةُ**، ولذلكَ تراهُم يُفرَقُونَ عنْ غيرِهِم مِنْ سيماهُم، فإنَّ ملامحَ وجوهِهِم تتعلَّقُ بحسنِ آدابِهِم، وتترجمُ بشاشَتُهِم عنْ نقاءِ سرائرِهِم، وتفصحُ ألسنتُهم عمَّا في ضمائِرِهِم.

=والعجمة في العربيّة هي عدم القدرة على الكلام مطلقا والإفصاح عمّا في مكنون صاحبه إنسانا كان أم غيره. (المقوّم اللّغويّ).

[١] الأصفر الرّنّان: الذّهب المسكوك نقودا، فإذا حرّكته بيديك سمّيت صوته رنينا. فإذا كان حليّا وسمعت صوت تحريكه سمّي الصّوت وسوسة. (المقوّم اللّغويّ).

[٢] يُطلق اسم الموت الأحمر على الموت بالسّيف ونحوه ممّا يرى فيه دم فاشتقّ اسمه من حمرته. والموت الأسود موت الغرق. والموت الأبيض موت الفجأة، سمّي بذلك لأنّه لا مقدّمات له. وتسمّيه العرب الموت الجارف واللّافت و(الفَلْتَة) تقول: افتتلت نفسه أي مات فجأة. (المقوّم اللّغويّ).

ومِنْ فضائلِهِم أيضاً **محبَّةُ بعضِهِم لبعضٍ**، وهي فيهِم على نوعٍ لا يُشاهَدُ إلَّا في الرُّهبانِ! وذلكَ أَنَّهُم إذا احتاجَ الواحِدُ منهُم إلى دراهمَ ولمْ يكنْ له شيْءٌ نَقَدَهُ إخوانُهُ في الدِّينِ كلٌّ حسبَ حالِهِ. وإذا أُودِعَ واحدٌ منهُم السِّجنَ ذهبُوا زرافَاتٍ إليه وبذلُوا ما في الوُسعِ لإطلاقِ سراحِهِ، وكذا قلْ عنْ سائرِ الفضائلِ. **لكنْ منذُ أنْ اختلطُوا اختلاطاً عظِيماً بسائرِ الأقوامِ مِنْ أهلِ الباديَةِ وغيرِهِم، اندفَعُوا إلى الكذبِ والسَّرقةِ وغيرِ ذلكَ مِنَ المعايبِ، لكنَّ هذا أيضاً في أفرادٍ منهُم لا في جميعِهِم.**

ـ الزَّواجُ، والتَّمليكُ:

قد ذكَرَ حضرَةُ الفاضلِ نيقولا السَّيوفِيُّ في كتابِهِ عنْ زواجِ الصَّابِئَةِ أموراً **تُضحكُ الثكلَى** ممَّا لا يُصدِّقهُ عاقلٌ مِنْ أنَّ ما رواهُ يوجدُ عندَ أمَّةٍ مِنْ أُممِ الأرضِ! ولهذا يحسنُ بنا هاهنَا أنِ نوردَ الحقيقَةَ على ما شاهدْنَاهُ عِيانَاً لا على ما سمعْنَاهُ، وقدْ تحرَّينا الاختصَارَ بقدرِ ما في الإمكانِ.

ـ رسولٌ وقورٌ لجسِّ النَّبضِ:

إذا أرادَ الشَّابُّ المندَائِيُّ التَّأَهُّلَ[1] بعثَ رجلاً كاملَ السِّنِّ أو امرأةً كاملَةَ السِّنِّ إلى بيتِ الابنةِ التي علقَ بها الشَّابُّ ليتجسَّسَ بأسلوبٍ لطيفٍ قبولَ الأبوينِ.

---

[1] وهنا يحسن بنا أن نعرّب كلام الفاضل الأديب المسيو نيقولا السّيوفيّ ونؤكّد أنْ ليس له من الحقيقة حظّ أبدا. قال رحمه الله: (قبل أن يجاوب الأبُ الابنة (رُسُل الشّاب) يستأذنهم بالخروج ملتمسا منهم أن ينتظروه ريثما يجيء. فيذهب إلى غرفة أخرى ليتشاور مع زوجته بحضور ابنته لكي يطلب منها رضاها ثمّ يعود إلى الوفد ليعلمهم بالقبول وحينئذ يعيّن الحضور مبلغ=

ـ الشُّروعُ بالتَّنفيذ:

فإذا تحقَّقَ الرُّسولُ مِنْ أنْ ليسَ هناكَ ما يمنعُ الطَّلبَ يُنْفِذُ الشَّابُّ في اليوم الثَّانِي باسمِهِ وباسمِ أهلِهِ (كنزَفريةٍ) أي أساقِفَةٌ أو رجلاً أو رجلَيْنِ مِنْ الصُّلحاءِ العقلاءِ ليخطِبُوا الابنةَ خِطبةً بمُوجَبِ الأصُولِ المرعِيَّةِ ويتَّفقُ الفريقانِ على تعيينِ العمداقِ (المهر). وهذا يتراوحُ ما بينَ الـ ٥٠٠ فرنك وبينَ الألفِ.

ـ المهرُ. وللصَّلاحِ والخُلق ثمنٌ:

وربَّما زادَ أو نقُصَ عنْ هذا المبلغِ، هذا إذا كانَ الطَّرفانِ صالِحَيْنِ ليسَ في أقاربِهما شائبةٌ في الجسمِ أو في العرضِ وإلَّا فالمبلغُ قد يزيدُ زيادَةً فاحشَةً تعويضَاً عنْ الشَّائبةِ؛ ومِنَ المَنْدائِيَّةِ مَنْ لا يقبلُ المهرَ أبداً إذا كانَ ثريَّاً، وبذلكَ أيضَاً إشارةٌ إلى أنَّ **مناقبَ كريمَتِهِ لا تُثَمَّنُ بمَالٍ.**

وفي اليومِ الثَّانِي (في أيِّ وقتٍ كانَ)[1] ينقدُ الخاطبُ المبلغَ الذِي تمَّ الاتِّفاقُ عليه لوالِدِ الخطيبَةِ وإذا لمْ يكنْ عندَهُ ما يدفعُهُ يكتبُ بذلكِ وثيقَةً يختمُها جماعَةٌ مِنَ الشُّهودِ (سواءٌ كانُوا مِنْ أساقفَةٍ أو كهَنَةٍ أمْ غيرَهُم مِنَ العوامِّ). هذا في الخِطبةِ.

=الصّداق. وفي اليوم الثّاني صباحا تحمل عدة نساء من أقارب الخطيب العروض اللّازمة للعروس لعقد الخطبة. أمّا هذه العروض فهي: حلقتان إحداهما من فضّة والثّانية من ذهب وصينيّة طافحة بالسّكّريّات وثلاث حليّ من ذهب وكمّيّة من الحنّاء تحنّي بها النّساء أرجل الخطيبة ويديها مع جميع البنات المدعوّات إلى الخطبة وبضمن الحلقتين في أصبعين من أصابعها ويعلقن الثّلاث الحليّ برأسها وبعد ذلك ينصرفن. التّعريب. فهذا الكلام مُختلق من أصله (لأنّ التّحنّي والتّبرج والتّزيّن والتّكحّل والتّحسّن وما كان من هذا الباب مُحرّم عندهم كلّ التّحريم إذ إن المتحنّي يكون أوّل من يدخل النّار من بين الأشرار. نعم قد أُبيح للصّابئة في هذه السّنين الأخيرة التّزيّن ببعض من الحليّ التي لا تزيد شيئا في حسن المرأة أمّا التّحنّي فهو ممنوع بتاتا.

[1] قد أشرنا بالقوسين إلى أنّ كلامنا يخالف قول حضرة نيقولا السّيوفيّ.

- **حضورُ واحدٍ مِنَ الكنزفريَّةِ شرطٌ لابدَّ منه:**

وأمَّا في الزَّواجِ فتكونُ المراسمُ على الوجهِ الآتِي. لكنْ عليكَ قبلَ كلِّ شيءٍ أنْ تعلمَ أنَّهُ لا يُعقدُ أيُّ زواجٍ ما لمْ يكنْ بحضورِ واحدٍ مِنَ الكنزفريَّةِ، وإلَّا فلا. وإذا لمْ يوجدْ في البلدِ واحدٌ مِنْ هؤلاءِ الأسَاقفَةِ يسافرُ العروسَانِ إلى البلدِ القريبِ مِنْ بلدِهِم ممَّا يكونُ فيه كنزفرا. وإذا كانَ العروسَانِ مِنْ أعيانِ الصَّابئَةِ يشهدُ التَّمليكَ اثنانِ مِنَ الأساقفَةِ عوضاً عنْ واحدٍ. ويكونُ مع الكنزفرا عاقدِ التَّمليكِ دائِماً اثنانِ مِنَ القساوسَةِ، وأغلبُ ما يكونُ يومُ العقدِ نهارَ الأحدِ (وقدْ يكونُ في غيرِ هذا اليومِ مِنْ أيَّامِ الأسبوعِ) بخلافِ ما ذكرَهُ المرحومُ نيقولا السَّيوفِيُّ.

- **العمَادَةُ:**

وفي اليومِ المُعيَّنِ يأتِي العروسَانِ النَّهرَ فيتقدَّمُ أحدُ التَّرامدَةِ، ويُعمِّدُ (هو وحدَهُ) العروسَ مرَّتينِ ويتقدَّمُ بعدَها الخاطبُ ويتعمَّدُ كذلكَ. وبعدَ الاصطباغِ ينزعانِ رستَهُما أي الحُلَّةَ الدِّينِيَّةَ، ويلبسَانِ لباسَ العرسِ. ويذهبانِ مِنَ النَّهر (إلى بيتِ الابن) لا إلى بيتِ التَّرميدَا وقدْ أُعدَّت الحَجَلَةُ وفي داخلِها كَلَّةٌ فتدخلُها العرُوسُ.[1] وأمَّا الخاطبُ فيذهبُ إلى صريفَةٍ[2] مِنْ عملِ المَنْدائِيَّةِ أنفسِهِم، ويقفُ حولَهُ اثنانِ مِنَ (التَّرامدةِ) ويقومُ الكنزفرا

[1] الحَجَلة مثل القُبَّة. وحَجَلة العروس معروفة وهي بيت يُزيَّن بالثّياب والأَسِرَّة والسّتور. (المقوم اللّغويّ).

[2] الصّريفة عندنا نحن العراقيّين أزج أو بيت أو كوخ يُعقد من السّعف اليابس ومنه اشتقاق اللّفظة، لأنّ الصّريفة السّعفة اليابسة. وربّما كانت من القصب وهذا من باب التّوسّع والتّساهل والغالب على هيئة الصّريفة شكل الأزجّ.

فِي صدرِ الصَّريفَةِ ويقرأ عليه مع التَّرمدةِ صلواتٍ كثيرَةً تدُوم زهاءَ ثلاثِ ساعاتٍ.

ـ البكارةُ والثُّيوبةُ وأثرُهُما في شخصِ العاقدِ:

بعدَ أنْ ينتهيَ خَدَمَةُ الدِّينِ مِنْ تلاوةِ الصَّلواتِ يبعثُ الكنزفرا والدَةَ وأختَ الخاطبِ (أو مَنْ يقومُ مقامَهُما مِنَ النِّساءِ الفاضِلاتِ التَّقيَّاتِ البعيدَاتِ عنْ الكذبِ) إلى العروسِ لتتحقَّقتا بكارتَها فإذا تثبَّتَت النِّساءُ مِنْ بتُولِيَّتِها هلَّهلْنَ وزغردنَ، وإنْ لمِ يفعلْنَ عُرِفَ أنَّها على الخلافِ، وفي مثلِ هذهِ الحالةِ يُخيَّرُ الخاطبُ بينَ فسخِ الخِطبةِ أو تتمَّةِ عقدِها، لكنْ لا تُعاملُ العروسُ حينئِذٍ إلَّا معاملَةَ الثَّيِّبِ، أي لا يستطِيعُ أنْ يزوِّجَها إلَّا كنزفرا خاصٌّ بالثَّيِّبَاتِ. ومِنْ مميِّزَاتِ هذا الأسقفِ أنَّهُ لا يجوزُ له أنْ يتولَّى الذَّبحَ ولا أنْ يعمِّدَ أحداً مِنْ أبناءِ طائفتِهِ واسمُ هذا الكنزفرا: بسكُ.

وأمَّا إذا كانَت العروسُ بِكْرَاً فتتمُّ سُنَّةُ الزَّواجِ، أي يُعيَّنُ حينئِذٍ واحدٌ مِنَ الحضورِ يكونُ بمنزلَةِ الوكيلِ عنْ العروسِ.

ـ تتمَّةُ المراسِم. حواراتٌ وصيغٌ:

والمألوفُ فِي مثلِ هذهِ الظُّروفِ أنْ يقومَ بهذهِ الوظيفَةِ أبُ الابنَةِ إذا كانَ على قيدِ الحيَاةِ وإلَّا فواحدٌ مِنْ أقاربِ أحدِ الطَّرفَيْنِ، ثمَّ يضعُ الكنزفرا بعدَ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ يدَ هذا الوكيلِ فِي يدِ الخاطبِ، ويقولُ له: (أتعطِي ابنتَكَ الفلانِيَّةَ لفلانِ ابنِ فلانٍ)؟ وبعدَ الجوابِ بالقبولِ يلتفتُ إلى الخاطبِ ويقولُ له: (أتقبلُ فلانةً ابنةَ فلانٍ امرأةً لكَ)؟ وبعدَ الجوابِ بالقبولِ يقولُ الكنزفرا للوكيلِ: (بأيِّ مبلغٍ أعطَيْتَ ابنتَكَ)؟ فيقولُ الوكيلُ: (بألفِ زوزيٍّ

ودينارٍ)[1] ثمَّ يقولُ له الكنزفرا: وأنتَ ماذا أعطيتَهُ)؟ فيجيبُ الوكيلُ: (أعطيتُهُ حِمْلَ جمَلٍ مِنَ الثِّيابِ الحريرِيَّةِ وحِمْلاً آخرَ مِنْ ثيابِ الكتَّانِ وعشَرَةَ مثاقيلَ زعفرانٍ).

وبعدَ هذهِ المحاوَرَةِ ينزعُ الأبُ أو الوكيلُ ثيابَهُ الدِّينِيَّةَ التِي ذكرْنا عنها أنَّها تُسمَّى عندَهُم (رسته) (ولبسُها واجبٌ على كلِّ مَنْ يُباشرُ أمرَاً دينِيَّاً مَهْمَا كانَ قليلاً) وبعدَ ذلكَ (يبقَى الأبُ بينَ الجمعِ الحاضِرِ) أو يخرجُ إنْ أحبَّ.

ـ بركَةُ الاقترَان:

فإذا تمَّ هذا يُشرعُ بسنَّةِ بركةِ الاقترَانِ، وأوَّلُ شيْءٍ يأتيهِ الكنزفرا هو صلواتٌ يصلِّيها في فِناءِ الدَّارِ ومعه التَّرميدانِ والخَاطبُ، ثمَّ يذهبُ المركبُ إلى حجلةِ العروسِ فيتَّكِئُ الخاطبُ وظهرُهُ على الكلَّةِ التِي فيها العروسُ؛ وكذلكَ تفعلُ العروسُ مِنْ عندِها بحيثُ يكونُ العروسَانِ ظَهْرَاً لظَهْرٍ، فيتلُو حينئِذٍ الكنزفرا صَلواتٍ أخرَى؛ وفي أثنائِها ينقرُ ثلاثَ نقرَاتٍ رأسَ العروسَيْنِ الواحدَ بالآخَرِ، وهو يقولُ كلَّ مرَّةٍ: (أنا ششبان هيدري (ana cheuchban hidoi) أي أنا عرَّابُ كلِّ واحدٍ منكُما). وبعدَ أنْ ينتهِيَ مِنْ تلاوةِ هذهِ الصَّلواتِ يذهبُ الحضُورُ إلى مكانٍ آخرَ، هو عبارَةٌ عنْ مشبكٍ مِنَ القصَبِ، وهناكَ يتلُو الكنزفرا على رأسِ الخاطبِ صلواتٍ أخرَى، وبذلكَ تتمُّ سنَّةُ الزَّواجِ عندَهُم.

[1] الزّوزي (zozi) هو غير الدّينار وهو نوع من الدّراهم القديمة لم أتمكّن من الاهتداء إلى قيمتها الحقيقيّة وكانت تُستعمل في غرب بلاد فارس في المئة التّاسعة للميلاد. وأعلم أنّ أسئلة الزّواج وأجوبتها لا تختلف صُورها مهما كان المبلغ المتّفق عليه بين أصحاب العروسين وإنّما ذلك من قبيل التّواطؤ والاصطلاح الدّينيّ. فاحفظه.

وتُهيَّأ في ذلكَ المشبكِ سبعُ طرائِنَ (مفردُها عندَهُم طريانةٌ، وهو نوعٌ مِنَ الآنيةِ مُتَّخَذٌ مِنَ الطِّينِ الحُرِّ) عليها خبزٌ وسمكٌ وبصلٌ وجوزٌ ولوزٌ وربَّما كانَ عليها غيرُ ذلكِ.

ـ صيامُ الحضور المتزوجِّين يومَ العرس:

وبعدَ أنْ يفرغَ المَدْعُوُّونَ مِنْ تناولِ الطَّعامِ يتأبَّطُ والدُ العروسِ خبزتَيْنِ، ويأخذُ بيدِهِ إبريقَ ماءٍ ملفوفاً بنسيجٍ أبيضَ، ويخرجُ بِهِم إلى خارَجٍ، وفي أثناءِ خروجِهِ يسقِطُ الخبزتَيْنِ الَّلتَيْنِ كانَ قد تأبَّطَهُما بحيثُ تقعَانِ خارجاً مِنَ المشبكِ؛ ثمَّ يعودُ بالإبريقِ فيأخذُهُ منه أحدُ التَّرميدَيْنِ، فيشمِّرُ الخاطبُ عنْ ساعِدِهِ، ويسكُبُ التَّرميدُ ماءً على يديهِ مرَّاتٍ عديدَةً، ثمَّ يناولُهُ التَّرميدُ جَوْزاً ولَوْزاً وزبيباً، لأنَّ المتزوِّجَ يكونُ إلى ذلكَ الوقتِ صائماً. أمَّا الذِي يطعِمُ العروسَ فهو أبوها، ويقولُ لها حينَ يناولُها الطَّعامَ: (أخلل تاها لا أخلت لبر مني) ومعنَاهُ: (كلِي مِنْ هذا ولا تأكُلِي مِنْ غيرِهِ).

ـ الاغتسالُ للعريس:

ثمَّ يقرَأ الكنزفرا بعدَ هذا صلواتٍ فوقَ رأسِ الخاطبِ، ويكونُ هذا وقتئذٍ جالسَاً أمامَهُ (بعدَ تلاوةِ الصَّلواتِ يفرُّ مركتَتَهُ أي عصَاهُ ثلاثَ فرَّاتٍ، وبذلكَ يشيرُ إلى أنَّ العرُوسَيْنِ أصبحا مِنْ هذهِ الهنيهَةِ نجسَيْنِ فيذهبُ الخاطبُ إلى ماءٍ جارٍ فيغتسلُ فيه.

ـ مراسمُ دفنِ الموتَى:

ـ غسلُ المُحتضَر:

إذا أرادَ المندائِيُّ أنْ يموتَ[1] ينزعُونَ عنه ثيابَهُ ويريقُونَ على رأسِهِ ماءً فاتِراً إذا كانَ في الشِّتاءِ وماءً بحرارتِهِ الطَّبيعيَّةِ إذا كانَ في غيرِ وقتِ الشِّتاءِ، ويغسلُونَ جسمَهُ مِنْ فوقَ إلى أسفلَ، ومنهُم مَنْ يأخذُونَ المُحتضَرَ إلى ماءٍ جارٍ في نهرٍ أو جدولٍ أو ساقيَةٍ ويغسلُونَهُ غُسْلاً ناعِماً ثمَّ (يبرخ) المُحتَضَرُ، أي يباركُ ويسبِّحُ، وإذا كانَ لا يستطِيعُ أنْ ينطقَ بشيْءٍ مِنْ عندِهِ يلقِّنُهُ أحدُ (الإشكندات) وبعدَ ذلكَ يُلبَسُ الرَّستةَ[2] ثمَّ يُعادُ إلى فراشِهِ ليستعِدَّ للموتِ.

ـ لا غسلَ لميْتِ الفَجْأةِ:

وإذا فاجأَ الموتُ شخصَاً على حينِ غرَّةٍ مِنْ دونِ مرضٍ فلا يغسَّلُ لأنَّ الغسلَ موضوعٌ عندَهُم لمِنْ به حيَاةٌ وإلَّا فإنْ كانَت النَّفْسُ قد فارقتْهُ فالغسلُ

---

[1] هذا من تعبير العرب الأنيق الخاصّ بلغتهم. فإنّهم يقولون: (أراد الحائط أن يقع) إذا مال. و (فلان يريد أن يموت) إذا كان محتضرا وهو من باب إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلا في الحقيقة عن المزهر (١٥٨:١) وهذا النّوع من التّعبير شائع ذائع في بغداد ولم يذكره من أصحاب المعاجم العربية إلّا صاحب التاج.

وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب في سياق حديثه عن النّبيّ موسى وقصّته مع معلمه: (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ...). سورة الكهف الآية (٧٧). (المقوّم اللّغويّ).

[2] أمّا تفصيل الرّستة أو الحُلّة الدّينيّة فليس محلها هنا. وما ذكره حضرة الأديب نيقولا السّيوفيّ يغلب عليه الوهم والخطأ وقلّة التّحقيق والتّدقيق في مدرجات كتابه. وقوله: (إنّ الرّستة عندهم من منشأ إلهيّ ومصدر إنجيليّ (ص ١٣٦) هو كلام موضوع! وعندهم إنّ الرّستة أتى بها (هيفل زبوا) من (آلما دنهورا) ليقطعوا عليها ثيابهم الدّينيّة. وذكر حضرة السّيوفيّ أنّ الرّستة هي بمنزلة الكفن للصّابئة المحتضرين وحلّة الكهنة في قضاء أمور الدّين. قلنا: بلى هي الحلّة الدّينيّة بوجه الإطلاق يلبسها جميع المندائيّة من رجال ونساء من صغار وكبار في الأمور الدّينيّة وفي أيّام الأعياد المشهودة.

عندَهُم لا يفيدُ، لأنَّهُم يزعمُونَ أنَّ الجسمَ بلا نفْسٍ هو مُجرَّدُ ترابٍ مَجموعٍ أو طينٍ مجبُولٍ، ولمَّا كانَ الماءُ لا ينظِّفُ الطِّينَ. وإنْ غُسلَ مرَاراً بل يبقَى طيناً. فكذلكَ تكونُ حالةُ الإنسانِ بعدَ موتِهِ.

والذِي يتولَّى غسلَ المُحتضَرِ (الإشكندا) وهو بمنزلَةِ الشَّمَّاسِ عندَ النَّصارَى، وإذا كانَ المُحتَضَرُ مِنَ الإناثِ فيتولَّى غسلَها (إشكندة) مِنْ جنسِها.

ـ ما بعدَ خرُوجِ الرُّوحِ:

وإذا ماتَ الصَّابئيُّ وُضعَت جثَّتُهُ على فراشٍ بحيثُ يكونُ رأسُهُ مقابِلاً أواثرَ (أي نجمَةَ القطبِ) ورجلاهُ مقابلتَانِ الجنوبَ. ثمَّ يُهيَّأُ له نوعٌ مِنَ الحصيرِ يكونُ صنعُها على هذا الوجهِ: تُؤخذُ سبعُ حُزَمٍ مِنَ البردِيِّ فتُوضعُ متباعدَةً الواحدَةُ عنْ الأخرَى بحيثُ تكونُ بشكلِ حصيرٍ وكافيةً للفِّ الجثَّةِ بها، ثمَّ تُشدُّ هذهِ الحزمُ بخيوطٍ مُتَّخَذَةٍ مِنْ خوصِ النَّخلِ المفتُولِ؛ وبعدَ ذلكَ تُلفُّ الجثَّةُ بها ثمَّ تُوضعُ على نعشٍ يُسَوَّى كمَا يأتِي: تُؤخذُ ثلاثُ جرائدَ مِن جريدِ النَّخلِ مفترقةً الواحدَةُ عنْ الأخرَى ويُمدَّ عليها مقدارٌ كافٍ مِنَ القصبِ فيُوثَقُ بالجريدِ. وبعدَ أنْ يتمَّ هذا كلُّهُ تُوضعُ الجثَّةُ على النَّعشِ؛ وبينَما أهلُ البيْتِ يهيِّؤُونَ ما يُحتاجُ إليه لدفْنِ الميْتِ يذهبُ واحدٌ مِنْ أقاربِهِ أو مِنْ أصدقائِهِ ينعاهُ للتَّرميدَا، ويطلبُ منه أنْ يأتِيَ ويحملَ السِّذرا وراءَهُ، فيجِيءُ التَّرميدا (بالدَّرفشا) وهو علَمٌ مُتَّخَذٌ مِنَ القزِّ فيغرسُهُ في أرضِ البيتِ (والأرضُ في دورِ الصَّابِئَةِ غيرُ مُبلَّطَةٍ).

ـ الصَّلاةُ على الميْتِ:

ثمَّ (ينبني رهمه) أي يصلِّي صلاةً يطلبُ بها رحمَةً مِنَ اللهِ لنفْسِ الفقيدِ، فإذا انتهَى مِنَ الصَّلاةِ يدنُو منه إشكندا، فيضعُ يدَهُ بيدِ رئيسِهِ ويتلُو صلاةَ[1] ثمَّ يجرُّ يدَهُ ويذهبُ التَّرميدا، ويحمِلُ الدَّرفشا والسّدرَا، هو أو غيرُهُ، ثمَّ تُحملُ (الطَّريانَةُ) (وهي المواقدُ) ثمَّ يتهيَّأ الموكبُ للذَّهابِ إلى المقبرَةِ.

وفي أثناءِ ذلكَ يتقدَّمُ أربعةٌ مِنَ الحلالِيَّةِ (أي الاشكندات) مِنَ الذينَ اشتهرُوا بصلاحِهِم فيَغرسُونَ (مندلته) وهِيَ عبارَةٌ عنْ قصبٍ يغرزونَهُ في الأرضِ على رزداقٍ واحدٍ،[2] ثمَّ بعدَ ذلكَ يقسمونَهُ ثلاثَ قسمٍ ويربطُونَ كلَّ قسمةٍ بخيطٍ مِنْ خيوطِ الخوصِ أو البرديِّ أو نحوِ ذلكَ لكنْ مِنْ دونِ أنْ يقطعُوهُ، وتكونُ هذهِ المندلةُ بعيدَةً عنْ جثَّةِ الميْتِ بعدَاً كافِياً يُمكِّنهُم مِنْ أنْ يجولُوا حولَهَا؛ ثمَّ يتقدَّمُ هؤلاءِ الأربعةُ الحلاليَّةُ ويحملُونَ نعشَ الميْتِ رافعِيهِ فوقَ رؤوسِهِم، وهُم يمشُونَ الواحدُ وراءَ الآخرِ، ولا يجوزُ لهُم أنْ يمشُوا غيرَ هذهِ المِشْيَةِ، ثمَّ يعبُرُونَ به فوقَ تلكَ المندلةِ. أمَّا الرَّابعُ مِنْ حاملِي النَّعشِ فمِنْ بعدِ أنْ يجوزَ المندلةَ مع أصحَابِهِ يعودُ على عقبِهِ ويقفُ وراءَ المندلةِ فيضعُ عليها طيناً ويقطعُهُ بسكِّينٍ قطَعَاً مستديرَةً ثمَّ يختمُهُ بخاتَمٍ

---

[1] وهذا منطوق الصّلاة: (بي واشكا أمر واشتما أشري ابتسغد مشبتين نهو يلخ ادباورا وسيماخا مهرقانا ومشوزبانا بشرا ربا ربا دنهورا وبدورا تاقنا. مشبن هيي).

[2] الرُّزتاق والرُّستاق واحد. فارسيّ مُعرّب أَلحقوه بقُرْطاس ويُقال: رُزْداق ورُستاق والجمع الرَّساتِيقُ وهي السّواد. (المقوّم اللّغويّ).

منقوشٍ عليه صورُ أربعِ حيوانَاتٍ: حيَّةٌ وأسدٌ وعقربٌ وزنبورٌ،[1] وعندَ وضعِ الخاتَمِ يطلبُ لنفْسِ الميْتِ الصَّفْحَ والغفرَانَ.[2]

ـ الدَّفنُ:

ـ المسيرُ إلى المقبرَةِ:

ثمَّ يرفعُ الخاتَمَ ويذهبُ فيلحقُ بحاملِي الميْتِ الثَّلاثَةِ فيكونُ رابعَهُم إلى أنْ يصِلُوا إلى مكانِ الدَّفنِ فيُنزلُونَ الميْتَ عنْ رؤوسِهِم ثمَّ يتقدَّمُ صاحبُ الختمِ ويمسِكُ بيدِهِ مسحَاةً ويسحِّي مِنْ مكانِ الدَّفنِ ما يملؤهَا ويقولُ ما قالَهُ عندَ ختمِهِ المندلةَ ثمَّ يلقِي ملءَ المسحَاةِ إلى وراءِ كتفِهِ الأيسرِ مِنْ فوقِهِ، ثمَّ يخطُو خطوةً ثانِيَةً وثالِثَةً، ويفعلُ ما فعلَ في المرَّةِ الأولى، وبذلكَ يكونُ قدْ عيَّنَ القبرَ ومكانَ الدَّفنِ وحدَودَهُ.

ـ حفرُ القبرِ وتحديدُهُ:

بعدَ أنْ يكتملَ هذا يتقدَّمُ الحفَّارونَ فيحفرُونَ القبرَ بمُوجَبِ الحدُودِ المَذكُورَةِ والتَّرميدا مِنْ بعيدٍ يقرأ في السِّدرا وأمامَهُ الدَّرفشا، وبعدَ أنْ يُحفرَ القبرُ يُنزَلُ الميْتُ في الحفرَةِ ويكونُ وجهُهُ ناظِرَاً (أواثر) ورجلاهُ متَجهتَينِ نحوَ الجنوبِ، وحينَما ينتهِي التَّرميدا مِنْ صَلاتِهِ في مثلِ هذهِ الحفلَةِ يُلقي على الميْتِ تراباً بقدرِ ما يغطِّيهِ ثمَّ يعودُ إلى القراءةِ فيتقدَّمُ الحاضرُونَ إلى دفنِهِ

---

[1] فالحيّة رمز إلى الأور والأسد إلى أشدوم والزّنبور إلى كاف وكافان. والعقرب رمز إلى سركيّ وسركانيّ.

[2] وهذه صلاته بالحرف: (بشميهن دهبي ربي لوفا ورواها ذهيي شارق عطايي نهوبلي لهازان شمتي أبلن بر أبلن وهازا مسقتا شاوق مطايي نهوبلي).

بالتَّمامِ ويدنُو صاحِبُ الختْمِ ويختِمُ القبرَ عندَ رأسِهِ ويكونُ ذلكَ مِنَ التُّرابِ ذاتِهِ.

ـ الغسلُ لكلِّ منْ مسَّ الجثَّةَ:

ثمَّ يرجعُ جميعهُمُ إلى بيتِ الميْتِ فيغتسلُ الحلاليَّةُ وكلُّ مَنْ كانَ معهُم،[1] وكذلكَ يغسلُونَ جميعَ الأدواتِ التِي كانَت معهُم إلَّا التَّرميدا فإنَّهُ لا يفعلُ ذلكَ لأنَّهُ لمْ يشاركْهُم بمسِّ الميْتِ.

ـ الوضيمَةُ، الطَّعامُ عن روحِ الميْت بعدَ الدَّفن:

وبعدَ أنْ يعودَ الحلاليَّةُ مِنَ النَّهرِ يوضَعُ الطَّعامُ الذي تكونُ النِّساءُ طبخْنَهُ، ويلبسْنَ الثِّيابَ البيضَ لأنَّهنَّ يعملْنَ عملاً دينِيّاً. وعندَما يتناولُ الحضُورُ الطَّعامَ يأمرُهُم التَّرميدا فيأخذُونَ لقمَةً بأيديهِم فيقرَأ الرَّئيسُ (لوفاني) وهِيَ ذاتُ الصَّلاةِ التِي ذكرنَاها عنْ خاتِمِ القبرِ، وفي أثناءِ القراءَةِ يكونُ الآكلُونَ قعُوداً لا وقُوفاً، وهُم يكرِّرُونَ ما يُلقَى على مسامِعِهِم، وبعد ذلكَ يسترطُونَ الُّلقمَةَ المذكُورَةِ.[2]

---

[1] يُشار إلى أنّه في الشّريعة الإسلاميّة يُستحبّ لمن يغسل الميْت أن يغتسل بعد ذلك. (المقوّم الّلغويّ).

[2] سَرِطَ الطّعامَ والشّيءَ بالكسر سَرَطاً وسَرَطانا بَلعَه، واسْتَرَطَه وازدَرَدَه ابتَلَعَه من دون مضغ. (المقوَّم الّلغويّ).

ـ مدَّةُ الوضِيمَة:

تدُومُ الوضيمَةُ أربعِينَ يومَاً ولو كانَ المدعوُّ واحدَاً لا غيرَ؛ وكانَ الطَّعامُ شيئاً لا يُذكَرُ وهو ما يُرَى مِنَ الفقرَاءِ. والسَّببُ في ذلكَ هو أنَّ المسافرَ في طريقِ الآخرَةِ يبلُغُهُ شيْءٌ مِنْ ذلكَ على يدِ (بتاهيل) وإلَّا فإنْ لم تُمدَّ سفرَةٌ عنْ روحِهِ ينقطعُ به فيقفُ دونَ طيِّ الطَّريقِ، وعلى هذا الوجهِ ينالُ بعضَاً مِنَ العذابِ.

زيارَات وَداعيَّةٌ أخيرَةٌ:

ويقولُ الصَّابِئَة: إنَّ نفْسَ الميْتِ تتردَّدُ بينَ القبرِ ودارِهِ مدَّةَ ثلاثَةِ أيَّامٍ وفي اليومِ الثَّالثِ يُفضُّ الخاتَمُ وتُنزَع (المندلة) وعندئِذٍ تبتدئُ نفْسُ الميْتِ بالسَّفرِ الذِي يدوم واحداً وأربعِينَ يوماً، وبعدَ هذهِ المدَّةِ تصلُ إلى سورِ المطراتي وهو سورٌ عظيمٌ مِنْ حديدٍ؛ وبعدَ أنْ تتعدَّاهُ تُرَى أمامَ الأورِ، وهو مِنَ الرَّوحانِيِّينَ الرَّاجعِينَ إلى ملكِ الظُّلْمَةِ، وهو واسعُ الفمِ فاغرُهُ غيرَ أنَّهُ يُسدُّ سدَّاً مُحْكَمَاً حينَما يرَى نفسَ صَالِحٍ، وينفتحُ شدقاهُ الانفتَاحَ كلَّهُ إذا رأى نفْسَ طالِحٍ فيبتلِعُهُ. (قلتُ) وهذا عندَهُم بمنزلَةِ الدَّينُونَةِ.

وقدْ ذكرَ حضرَةُ الأديبِ نيقولا السَّيوفِيُّ أنَّ أصحَابَ الميْتِ لا يزُورُونَ أحدَاً في مدَّةِ الشَّهرَيْنِ الأَوَّلَيْنِ مِنْ موتِ الفقيدِ.[1] وهذا كلامٌ لا أصْلَ له.

---

[1] الصّفحة ١٢٥.

ـ النَّدبُ ممنُوعٌ:

وندبُ الميْتِ ممنوعٌ عندَهم كلَّ المَنعِ، إلَّا أنَّ وجودَهُم بينَ العربِ أدخَلَ هذهِ العادَةَ!.

ـ قراءةُ الصَّلواتِ عندَ القبرِ:

والمفرُوضُ في دينِهِم أنْ يطلُبُوا مِنْ بعضٍ مِنْ كهنتِهِم أنْ يذهبُوا إلى قبرِ المُتوفَّى ليقرؤُوا عنْ نفْسِهِ أوراداً مِنْ أسفارِهِم الدِّينِيَّةِ ترويحاً عنْ نفْسِهِ في رحلتِهِ الأخرويَّةِ، ويدفعُ أصحَابُ الفقيدِ لهؤلاءِ الكهنةِ أجرَةً مبلغُها ليرةٌ أو أكثرُ.

هذا مُلخَّصُ ما يجري في مذهبِ هؤلاءِ القومِ مِنْ سُنَنِ دفنِ موتَاهُم.

ـ توثيقُ تاريخِ الوفاةِ بالتَّقويمِ الهجْريِّ:

وإذا كانَ المُتوفَّى مِنْ أكابرِ ملَّتِهِم فكثيرَاً ما يسجِّلُونَ تاريخَ موتِهِ ويذكرُونَ لُمعَةً مِنْ ترجمتِهِ.

أمَّا التَّاريخُ المُستعمَلُ عندَهُم فهو تاريخُ الهجرَةِ الإسلاميَّةِ لا غيرَ، ويحسبُونَ الشُّهورَ حسَاباً شمسِيَّاً؛ فما ينقصُ السَّنَةَ الهجريَّةَ ليسَاويَ السَّنَةَ الشَّمسَيَّةَ يزيدُونَهُ مرَّتَيْنِ في السَّنَةِ؛ في المرَّةِ الأُولى يزيدُونَ خمسَةَ أيَّامٍ وشيئاً بينَ الشَّهرِ الثَّالثِ والرَّابعِ، وخمسَةَ أيَّامٍ بينَ الثَّامنِ والتَّاسعِ، وهذا ما سمَّاهُ العربُ الأقدمُونَ "الازدلاف" وسمَّاهُ كُتَّابُ العصرِ "التَّحويلَ".[1]

[1] الازدلاف التّقريب. لم يذكر هذين اللّفظين أصحاب المعاجم، وقد ذكرهما صاحب شفاء الغليل. (ص ٢٨).

وقدْ أكَّدَ لِي بعضٌ مِنَ المُحقِّقينَ مِنْ أصحَابِ هذهِ النِّحلَةِ أنَّ المَنْدائِيَّةَ كانُوا فِي بادئِ الأمرِ يؤرِّخُونَ وقائعَهُم بتاريخِ ولادَةِ يوحنَّا المعمدَانِ، لكنْ لأسبَابٍ عديدَةٍ أبدلُوه بتاريخِ الهجرَةِ. غيرَ أنِّي لمْ أعثرْ إلى هذا اليومِ في كتُبُهم على تاريخٍ يؤيِّدُ هذا القولَ، والذِي وجدتُهُ فيما يربُو على ثلاثينَ كتاباً أو درجاً تاريخُ الهجرَةِ لا غير. وهكذا يرَى الفاحصُ لكتُبِهم الموجودَةِ في باريسَ ولندنَ، ولا يجدُ أثراً لتاريخٍ آخرَ سواهُ.[1]

---

[1] الظّاهر أنّ المرحوم نيقولا السّيوفيّ لم يكن يحسن قراءة اللّغة المندائيّة وبحجة أقوى لم يكن يفهمها. فإنّه قال في كتابه (ص ١٤١) إنّه لم يسأل أستاذه عن التّاريخ المُتّخذ عندهم ومن ثمّ لا يعرفه! فلو كان يحسن القراءة لطالع كتب المندائيّة الموجودة في باريس فإنّ التّاريخ فيها صريح واضح ولنا على ما نقوله دليل ثان وهو أنّ ما نقله من الصّابئة إلى الإفرنسيّة يغلب عليه الخطأ والغلط، والظّاهر أنّه ما كان يترجم إلّا ما كان يقوله أستاذه إن صحيحا وإن خطأ بغير تمحيص كلامه وتلخيص المعنى منه. وإليك دليلا ثالثا وهو أنّ في العبارات تقديما وتأخيرا ممّا لا يجوز فعله ولو كان الكاتب يعقل ما يعمل لما فعل. وفي هذا كفاية لتعرف أنّ الشّيخ إبراهيم اليازجيّ أخطأ في البيان (ص ٣٢٨) حيث قال: (ولا ريب أنّ ما جاء في هذا الكتاب هو أصحّ ما كُتب عن أولئك القوم لأنّه بجملته مرويّ عن واحد من أبناء كهنتهم المترشّحين للكهنوت بعد ما صبأ إلى دين النّصرانيّة. وغالب ما فيه مُؤيّد بالنّصوص من كتبهم ذاتها منقولة بلسانهم وحرفهم ممّا عني المؤلّف بدرسه لاقتباس الحقيقة من معدنها).
(قلنا) إنّ الشّيخ إبراهيم مخدوع للأسباب التي مرّ ذكرها. وأزيده فائدة أنّني أجتمعت بهذا المندائيّ المتنصّر في السّنة المنصرمة فعلمت أنّه رجل محتال. ولمّا ذكّرته بما لقّن تلميذه المرحوم نيقولا السّيوفيّ أخذ يضحك من الخديعة التي خدمه بها ليمتصّ شيئا من درّ كيسه.
ثمّ إنّ كلّ من له إلمام باللّغة المندائيّة، لا بل باللّغة الآراميّة يرى أنْ ليس في كتاب حضرة نيقولا السّيوفيّ شيء مأخوذ من ذات كتب أصحاب هذه البدعة. لا بل نقول: إنّ المؤلّف (لم يرَ) كتابا من كتبهم وإنّما رأى كُتيّبا بلغتهم وهو عبارة عن مجموع صلوات وجيزة بلغتهم وحرفها يكون مع كلّ صابئ. ومن البيّن أنّ هذا المعلم لم يرد أن يتكلّف عناء فتح كُتيّبه لنفسخ العبارات التي دفعها إلى تلميذه وقد كتب ما كتب ممّا كان قد حفظه عن ظهر قلبه حفظا ضعيفا. ويُرى ذلك ممّا كتبه إذ إنّه مشوّه أقبح التّشويه وتلفيق أكثر تلك العبارات يشهد بأنّ معلّمه لم يكن يفهم ما يقول وهو إلى اليوم لا يعرف إلّا الشّيء النّزر!. وقد كتبنا هذا كلّه لا فضاً من حضرة المؤلّف نيقولا السّيوفيّ بل إحقاقا للحقّ وإزهاقا للباطل إنّ الباطل كان زهوقا؛ لأنّنا في موقف علم وتحقيق لا في موقف تدليس وتوهيم. وبناء عليه فإنّ الكتاب لا حظّ له من العلم شيئا بل هو عبارة عن=

ـ الصَّابئةُ واللَّونُ الأزرقُ:

هتكُ سرٍّ غريبٍ.

الصَّابِئَةُ كاليزيدِيَّةِ لا يلبسُونَ الأزرقَ مِنَ الثِّيابِ![1] وقدْ حاولَ كثيرُونَ مِنْ كتَّابِ الإفرنجِ والعربِ معرفَةَ سببِ ذلكَ؛ أمَّا العربُ فإنَّهُم، هم أيضَاً يكرهُونَ كلَّ الكراهِيَةِ هذا اللَّونَ، لكنَّهُم لا يعرفُونَ سببَ نفُورِهِم منه معَ أنَّهُ مريحٌ للأبصَارِ مبهجٌ للخواطِرِ والفكْرِ، والنُّصوصُ في ذلكَ عديدَةٌ.

قالَ الزَّمخشرِيُّ:[2] إنَّ الزُّرقةَ أبغضُ شيْءٍ مِنْ ألوانِ العيونِ إلى العربِ، لأنَّ الرُّومَ أعداءَهُم زرقُ العيونِ، ولذلكَ قالُوا في صفةِ العدوِّ: أسودُ الكبدِ، أصهبُ النِّصَالِ، أزرقُ العينِ.

وقدْ كنَّوْا عنْ النِّصَالِ والأسنَّةِ (بالزُّرُقةِ) قالَ امرؤُ القيسِ:

أيقتلُنِي والمشرفيُّ مضاجعِي ومسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوالِ

وقالُوا: إنَّ سببَ هذهِ الكنايَةِ ما في لونِها مِنَ الزُّرقَةِ.

وقالُوا: العدوُّ الأزرقُ هو في الأصلِ خالصُ العداوةِ مِنْ زُرقةِ المَاءِ، وهِيَ صفاؤهُ وخلُوصُهُ. وقيلَ معناهُ: شديدُ العداوةِ لأنَّ زرقةَ العيونِ غالبَةٌ في الرَّوم والدَّيلَمِ، وبينهُم وبينَ العربِ عداوةٌ شديدَةٌ.

هذا مُلخَّصُ ما جاءَ عند لُغَويِّي العربِ مِنَ الكلامِ الموسومِ بالزُرقَةِ والمُؤَوَّلِ هذهِ التَّأويلاتِ؛ ولا بِدْعَ إذا رأيتَها غيرَ مقنعَةٍ؛ ثمَّ إذا كانَ العربُ

=سِفر جمع تلفيقات رجل مندائيّ جاهل احتال على رجل عاقل بهذه الوسيلة المستهجنة. و فوق كلّ ذي علم عليم.

[1] راجع مقالة اليزيديّة بهذا الخصوص في المشرق ٢:٥٥١.

[2] راجع الكشّاف (٢:٣٤) والنّهاية لابن الأثير في المادّة.

يكرهُونَ هذا الَّلونَ فلِمَ يُعلِّقُونَ الخرزَ الأزرقَ في أعناقِ أولادِهِم حفْظاً لهُمْ مِنَ الإصَابةِ بالعَيْنِ؟ بل لِمَ يُعلِّقوُنَ هذا الخَرَزَ على كلِّ شيْءٍ (عزيزٍ عندَهُم أو نفيسٍ)؟!. قلْ لي بحياتِكَ! ألمْ ترَ أنَّهُم يعلِّقُونَ الخَرَزَ الأزرقَ على الأبنِيَةِ الجديدَةِ وأنواعِ السُّفُنِ والزَّوارقِ والقُفَفِ ونحوِ ذلكَ؟ فلا شكَّ في أنَّ هناكَ سرَّاً غامضَاً محجُوباً عنْ عيونِ العوامِّ، وخاصَّةً أنَّ العربَ مُولعُونَ بلبسِ الثِّيابِ الزَّرقاءِ، فكيفَ إذاً يسوَّغُ الجمعُ بينَ الحبِّ والبغضَةِ، بينَ الائتلافِ والنُّفورِ) إنْ هذا إلَّا مِنْ أغربِ الأمورِ.

أمَّا الإفرنجُ فقدْ بثُّوا آراءً بهذا الخصُوصِ كلُّها غرائبُ، وقدْ ذكرَ منها شيئاً حضرَةُ الفاضِلِ نيقولا السَّيوفِيُّ في كتابِهِ. منها ما نقلَهُ عنْ معجمٍ دينِيٍّ للأبِّيلِ[1] برتوانَ ما مُعرَّبُهُ:[1] ويكرَهُ الصَّابِئَةُ الأزرقَ كراهَةً غريبةً لأنَّهُم

---

[1] الأبّيل. هي الّلفظة التي اخترناها لترجمةً كلمة abbe وهذا الحرف الفرنسيّ مأخوذ من الّلاتينيّة abbas وهي مُقتبسة من الّلغة العبريّة الآراميّة ومعناها (الأب). غير أنّ الإفرنج قد خصّصوا لفظة (أبا) برئيس الدّير وبكل من انقطع لخدمته تعالى من أي طبقة كان من طبقات خدمة الهيكل. وبهذا المعنى فنَقْلُ لفظة (أبّيل) إلى هذا المعنى المُحدث ممّا ينطبق على هذا الوضع؛ فإنّ معنى الأبّيل عند العرب: (رئيس النّصارى، ولم يعيّنوا درجته من الرّئاسة فمعناه إذا مُطلق) و ... و ... الخ) وقالوا: إنّه مُشتقّ من أبّل أي نسك. قال عديّ بن زيد الشّاعر النّصرانيّ:

إنّني وإن فاقبل حلفي بأبّيل كلّما صلّى جار

والكلمة . وإن جاوز القول: إنّها مُشتقّة من العربيّة . إلّا أنّها على الأصحّ آراميّة الأصل تعريب كلمة والذي يدفعنا إلى هذا القول تصريح بعضهم بذلك وكثرة الّلغات فيها وهي: الأيبُليّ بضمّ الباء والأيبَليّ بفتحها والهيبليّ بقلب الهمزة هاء والأبُليّ بضمّ الباء وأيبل كصيقل وأنكره سيبويه وقال: ليس في الكلام فيصل والأيبُل كأينُق والأيبِليّ بفتح الهمزة وكسر الباء وسكون الياء. بتصرّف عن التّاج. ومنه نرى أنّ ما قاله في هذا الصّدد حضرة الأب م. لامنس (كتاب الفروق ص ٣٩٥) فيه نظر:

والأصل في لغات الأبيليّ (الأبيل) والبقيّة تفرّعات بخلاف ما يقوله لغويّو العرب. ومن كلامنا هذا ترى أنّنا جعلنا لفظَة pore الفرنسيّة مقابلا لها في العربيّة لفظ (أب) ولكلمة abbe كلمة (أبيل) وهذا التّدقيق في التّعريب يطلبه اليوم علم الانتقاد دفعا للّبس ونفيا للشّبهات.

يزعُمُونَ أنَّ اليهودَ لمَّا عرفُوا مِنْ كتُبُهِم أنَّ عمادَ يوحَنَّا يفنِي شريعَتَهُم ألقَوْا في نهرِ الأردنِّ كمِّيَّةً وافرَةً مِنَ النِّيلةِ ليفسدُوا مياهَ ذلكَ النَّهرِ.[2] وغايةُ هذا الفِجَارِ[3] كانَت منعَ يوحَنَّا المعمدَانِ عنْ تعميدِ يسوعَ المسيحِ لولا أنَّ اللهَ أرسلَ ملاكاً فاستقَى ماءً مِنْ ذلكَ النَّهرِ قبلَ أنْ يتدنَّسَ.

قالَ تيفنُو (Thevenot) هذا هو رأيُ العامَّةِ (مِنَ الصَّابِئَةِ) أمَّا السَّببُ الحقيقِيُّ لهذِهِ الكراهِيَةِ فهو أنَّهُ يدخُلُ في تركيبِ هذا اللَّونِ شيءٌ مِنْ رجيعِ الكلبِ، والكلبُ عندَهُم مِنَ الحيوانَاتِ النَّجسَةِ. (قلْتُ) وهذا كلُّهُ اختلاقٌ مَحْضٌ! وقدْ نقلَ عنْ الفارسِ (لِكلاما .T.M.chevalier Lycklama) ما معنَاهُ: (والصَّابئاتُ يلبسْنَ لباسَ عربِيَّاتِ الأصْقاعِ التِي يسكُنَّها، لكنَّهنَّ لا يتَّخذْنَ الأسودَ ولا الأزرقَ، والأسودُ خاصَّةً (كذا. والأصَحُّ والأزرقُ

[1] الصّفحة ١٩٣.

[2] النّيلة: مسحوق شديد الزّرقة يلوّن الماء. (المقوّم اللّغويّ).

[3] المراد بالفجار هنا ما يقابله بالفرنسيّة كلمة (profanation) أو (sacrilege) أي انتهاك حرمة الشّيء المُقدّس. وقد أطلق عليها بعضهم لفظة (التّدنيس والتّلطيخ والتّنجيس) كما نرى ذلك في ترجمات الكتاب الكريم إلى العربيّة لكنّ معاني هذه الألفاظ واسعة وعندنا: إنّ الذي عرفه العرب بالمعنى المطلوب هو كلمة (الفِجار) ومنه عندهم (أيّام الفِجار) قال في القاموس: (أيّام الفجار بالكسر أربعة أفجِرَة في الأشهر الحرم وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدّبرة على قيس فلمّا قاتلوا قالوا: (قد فجرنا) وبالفرنسيّة Nous avons nous avons commis un sacrilege pendant ces mois saints أو profane les mois sacrds saints. و زاد التّاج: (فسمّيت لذلك فجارا وهو مصدر فاجر مفاجرة وفجارا: ارتكب الفجور. قلت: فيكون قد جاء هذا الباب هنا لغير المشاركة كما جاء مثل ذلك كثير في كلام العرب. كقولهم: (قاتلهم الله) أي قتلهم الله. (وعافاك الله) أي أعفاك. وقابلتُ فلانا ودانيته وشارفت وباعدت وجاوزت وسافرت وناولت وضاعفت الخ الخ. فيكون هنا معنى (فاجر) بمعنى (فجر) إلّا أنّ معنى الفجور انعقد بناصية المعنى المشهور ولا يجوز تحويله عن مجراه المألوف. وما بقي علينا إلّا أن نتّخذ (الفِجار) وفعله (فاجر) بمعنى دنّس الأشياء الحرم لأنّه معروف بهذا المعنى عند العرب.

لأنَّ الصَّابِئَةَ مِنْ رجالٍ ونسَاءٍ قد يتخذُونَ الأسودَ كما رأيتُهُ بعينَيَّ) مكرُوهٌ في عيونِهِنَّ كلَّ الكراهيَةِ. وهنَّ لا يتَّخذْنَهُ لا في الفرحِ ولا فِي الحزنِ).[1]

أمَّا السَّببُ الحقيقِيُّ فهو عريقٌ في القدَمِ، ولا يوجدُ هذا الاعتقادُ بالأزرقِ إلَّا عندَ الأممِ ساميَّةِ الأرُومَةِ، أمَّا سائرُ الأجيَالِ فلا تعتقدُ في شيْءٍ مِنْ ذلكَ، وإذا وُجِدَ عندَ بعضِهِم ممَّنْ ليسُوا بسامِيِّي السُّلالةِ، فإنَّهُم اقتبَسُوهُ مِنْ هؤلاءِ لمجاورتِهِم إيَّاهُم. وهذا السَّببُ، هو أنَّ السَّاميِّينَ يعتقدُونَ في أنَّ الُّلغَةَ الأصْلِيَّةَ كانَت سامِيَّةً، بينَما تقولُ الصَّابِئَةُ إلى يومِنا هذا: إنَّ لغتَهُم كانَت لغةَ آدمٍ؛ وأنَّ هذا توقيفِيٌّ (أي ليسَ اصطلاحِيَّاً بل هو مِنْ وضعِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو "ملكا دنهورا" وأنَّهُ علَّمَهَا لآدمَ بواسطَةِ هيفل زيرا) وأنَّ معانِيَ الألفاظِ تُشيرُ إلى مفعولِ الشَّيْءِ أو مزيَّتِهِ التِي امتازَ بها أو وصفِ حالتِهِ أو ذكرِ فعْلِهِ أو تأثيرِهِ الخ.

وتعنِي أصولُ كلمةِ الأزرقِ الفَنَاءَ والهَلاكَ والتَّبدُّدَ والتَّشتُّتَ، وبناءً عليه فإنَّ معنَى (الأزرقِ) في الأصلِ (المُفنِي) ثمَّ نُقلَ إلى هذا الَّلونِ لإيقاعِ هذا الفَناءِ. وما كانَ في معناهُ. بمَنْ ينظُرُ إلى هذا الَّلونِ، فإذا لبسُوا الأزرقَ فكأنَّهُم يطلبُونَ الفَنَاءَ لِمَنْ ينظرُ إليهِم، فكأنَّ لسَانَ حالِهِم يقولُ: عسَى هذا الَّلونُ الذي ترَاهُ يكونُ لكَ أزرقَ، أي سببَ فنَاءٍ. ومعنَى هذا الأصْلِ موجودٌ في الُّلغةِ الآرامِيَّةِ أيضَاً فإنَّ معنَى (ܙܪܩ) بدَّدَ وشتَّت وأفنَى، وكذا قلْ عنْ الُّلغةِ العبريَّةِ والحبشِيَّةِ، إلَّا أنَّ هذا المعنَى مفقودٌ في الأصلِ الغربِيِّ؛ وقدْ بقِيَ محفُوظاً في فروعِ هذهِ المَادَّةِ ممَّا ذكرنَاهُ فويقَ هذا، ومِنْ ذلكَ

---

[1] الصفحة ٢٠٠.

مثلاً: (العدوُّ الأزرقُ) فإنَّ معناهُ عندَنا العدوُّ المُبَدَّدُ المُشتَّت المفنِي الذِي لا يبقِي ولا يذَرُ).

ومعنَى ما يضَعُ العربُ والأعرابُ مِنَ الخرزِ الأزرَقِ على أولادِهِم وكلِّ شيْءٍ عزيزٍ لديهِم، أنَّهُم يتمنَّوْنَ الفَنَاءَ والهلاكَ لِمَنْ يريدُ أنْ يوقِعَ السُّوءَ بالموسُومِ بتلكَ الوسمَةِ الزَّرقاءِ.

أمَّا الصَّابِئَةُ فإنَّهُم لا يحِبُّونَ الدُّعاءَ بالشَّرِّ ولا يتمنَّوْنَ ضرَرَاً لأحَدٍ، فهُم أناسٌ ودعاءُ محبُّونَ للسَّلامَةِ والرَّاحَةِ. وبناءً عليه لا يجوزُ لهُم اتِّخاذُ الأزرقِ لباسَاً، ويشيرُونَ بالزُّرقةِ أيضَاً إلى (الرَّوهايَةِ) (أي رَوحايَة) وهِيَ عندَهُم مِنَ الرَّوحانِيَّاتِ الشِّرِّيرَاتِ الفاتِكاتِ بالنَّاسِ، ولذلكَ تراهُم إذا أرادُوا منعَ فتكِها بِهِم وضعُوا في بعضٍ مِنْ سُننِ دينِهِم قطعَةَ ثوبٍ أزرقَ معلَّقاً في مكانٍ مُعيَّنٍ مِنَ البيتِ حتَّى إذا جاءَت الرَّوهايَةُ يكونُ الضَّررُ واقعَاً بها، غيرَ قادرَةٍ على إحداثِ شيْءٍ مكرُوهٍ بساكِنِي البيتِ، وإلَّا فإنْ لمْ يكنْ هناكَ قطعَةٌ مِنْ هذا الثَّوبِ الأزرقِ، ففتْكُها بِهِم عظِيمٌ.

هذا هو سرُّ الأزرقِ فاحفظْهُ.[1]

---

[1] في القرآن الكريم إخبار بأنّ العصاة يُحشرون يوم القيامة زرق الألوان. ففي الآية (١٠٢) من سورة طه: (يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا). (المقوّم اللّغويّ).

الخلاصةُ.

الصَّابِئَةُ في الأصلِ عُبَّادُ الكواكبِ، ثمَّ لمَّا أشرقَ نورُ النَّصْرَانِيَّةِ أرادُوا أنْ يجمعُوا في ديانَتِهم بينَ الخرافَاتِ الوثنِيَّةِ والمُعتَقَدَاتِ النَّصْرَانِيَّةِ، فلمْ يصِيرُوا نصَارَى ولا يبقَوْا وثَنِيِّينَ، بل أدْرِيِّينَ، وهو معنَى الاسمِ الذِي يَتَسَمَّوْنَ به، أي المَنْدائِيَّةُ، لكنَّهُ لا يجوزُ أبداً أنْ يُقالَ عنهُم: إنَّهُم فرقَةٌ مِنَ النَّصَارَى لأنَّهُم لا يعتقدُونَ بشِيْءٍ مِنْ دينِهِم وخاصَّةً ألوهِيَّةَ المسيحِ. هداهُم اللهُ إلى الإيمَانِ الصَّحيحِ. اللَّهُمَّ آمينُ.